عمادة الدراسات العليا

جامعة القدس

الكنائس البيزنطية في بيت لحم

ومحيطها الشرقي دراسة تاريخية، وأثرية، ومعمارية

ميسون علي محمد ردايدة

رسالة ماجستير

القدس – فلسطين

1445هـ / 2023م

الكنائس البيزنطية في بيت لحم
ومحيطها الشرقي دراسة تاريخية، وأثرية، ومعمارية

إعداد:

ميسون علي محمد ردايدة

بكالوريوس أساليب تدريس الاجتماعيات من جامعة القدس المفتوحة 2009

المشرف: د. إبراهيم أبو أعمر

قدمت هذه الرسالة استكمالًا لمتطلبات درجة الماجستير في الآثار الإسلامية

برنامج ماجستير في الآثار الإسلامية/ كلية الدراسات العليا/ جامعة القدس

1445هـ / 2023م

جامعة القدس

عمادة الدراسات العليا

برنامج ماجستير الآثار الإسلامية

إجازة الرسالة

الكنائس البيزنطية في بيت لحم ومحيطها الشرقي دراسة تاريخية، وأثرية، ومعمارية

إعداد الطالبة: ميسون علي محمد ردايدة

الرقم الجامعي: 21912406

المشرف: د. إبراهيم أبو أعمر

نوقشت هذه الرسالة وأجيزت بتاريخ 27/ 12/ 2023م من أعضاء لجنة المناقشة المدرجة أسمائهم وتواقيعهم:

1. رئيس لجنة المناقشة: د. إبراهيم أبو أعمر التوقيع:
2. ممتحنًا داخليًا: أ. د. صلاح الهودلية التوقيع:
3. ممتحنًا خارجيًا: د. إبراهيم أبو ارميس التوقيع:

القدس – فلسطين

1445هـ / 2023م

الإهداء

أهدي عملي هذا إلى زوجي الغالي الذي دعمني وساندني وتحمل معي مشقة الرحلة ليدفع بي في رحلة العلم والمعرفة ..

إلى أولادي الذين تحملوا تقصيري في حقوقهم خلال رحلة علمي وبحثي ..

إلى أمي وأبي الذين زرعا في نفسي حب العلم ..

أطال الله في أعمارهم جميعًا.

الإقرار

أقر أنا معد هذه الرسالة بأنها قُدّمت لجامعة القدس لنيل درجة الماجستير، وأنها نتيجة أبحاثي الخاصة، باستثناء ما تم الإشارة له حيثما ورد، وأن هذه الدراسة أو أي جزء منها لم يقدم لنيل أي درجة عليا لأي جامعة أو معهد آخر.

الاسم: ميسون علي محمد ردايدة

التوقيع:

التاريخ: 2023/12/27

الشكر والتقدير

أشكر الله تعالى العلي القدير الذي أنعم علي بنعمة العقل والدين، القائل في محكم تنزيله: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾، أثني ثناءً حسنًا على القائمين على جامعة القدس بإدارتها وكادرها التعليمي الذي نهلت العلم على أيديهم، ولم يتوانوا في مد يد العون لي، وأخص بالذكر الدكتور إبراهيم أبو أعمر لما أبداه من جهود علمية وآراء سديدة أغنت البحث ليظهر بالصورة الحالية، والدكتور صلاح الهودلية، والدكتور عيسى الصريع، والأستاذ إبراهيم قطيط لمساعدته في رسم بعض المخططات الهندسية، والأستاذ جمال الخطيب للمراجعة اللغوية للبحث.

الباحثة:

ميسون علي ردايدة

الملخص

لمدينة بيت لحم أهمية دينية وقدسية عظيمة نتجت عن ولادة السيد المسيح عليه السلام فيها، والتي تعتبر وجهة مهمة للعالم المسيحي، حيث توالت عليها المؤثرات الحضارية المختلفة على مر العصور، والتي خلّفت وراءها إرثًا دينيا وثقافيا يعد شاهدًا على مكانتها، وكان لزامًا أن تحتوي على أهم دور العبادة للقيام بالطقوس الدينية والعبادات الروحانية، ومن هذه المؤثرات الحضارية مؤثر الحضارة البيزنطية. لقد تناولت الدراسة الكنائس المستخدمة المأهولة والمهملة والمهدمة في مدينة بيت لحم ومحيطها الشرقي، والتي تم بناؤها خلال الفترة الواقعة بين القرن الرابع الميلادي والقرن السابع الميلادي من الناحية التاريخية والأثرية والمعمارية على نوعيها، وفق منهج تحليلي وصفي اعتمد على المراجع التاريخية والمعاينة الميدانية.

هذا وقد اشتمل البحث على ستة فصول، تناول الفصل الأول المقدمة ومنهجية الدراسة، والثاني الإطار العام، والثالث مراحل تطور التخطيط المعماري للبناء كعامل داعم بالإضافة إلى الإطار التاريخي لعمارة الكنائس كعامل توضيحي. ثم تناولت الكنائس المستخدمة والمهدمة في الفصل الرابع حيث تم رصد عشر كنائس في المدينة ومحيطها الشرقي في دراسة مقارنة عبر البحث والتدقيق في المراجع التي تناولتها، هي: كنيسة المهد، وكنائس حقل الرعاة، وكنيسة دير ابن عبيد، وكنائس دير مار سابا، ، وكنيسة مغارة الحليب، وكنائس سير الغنم، وكنيسة خربة دير الراهب، وكنائس هيروديوم، وكنيسة خربة الدير، وكنيسة أم العمد، وذلك من خلال المعاينة الميدانية عبر زيارة الكنائس المستخدمة منها والبحث والتقصي عن المهملة ومعاينتها مباشرة، ورسم الخرائط الهندسية لأساساتها وتصميمها وتوثيق مخلفاتها بالصور والرسوم الهندسية.

كما تناول البحث فنون وزخارف الكنائس، كالفسيفساء والنقوش والرسوم والصور التي زينتها وكان لها مدلولات رمزية ودينية، والتي شكّلت أنماط فنون الكنائس الشرقية. وفي الفصل الخامس تم تناول فنون

وزخارف الكنائس عمومًا، وإسقاطها على مجموعة البحث عبر المقارنة والاستخدام للأنماط المذكورة لتثبيت المفاهيم في الكنائس الشرقية المحلية، ثم الفصل السادس خاتمة البحث ونتائجه وتوصياته.

The Byzantine churches in Bethlehem and its eastern surroundings: a historical, archaeological, and architectural study.

Prepared by: Mayson Ali Mohammad Radaidah.

Supervised by: Dr. Ibrahem Abu A'mar

Abstract:

The city of Bethlehem has great religious and sacred importance resulting from the birth of Jesus, the Christ, and it is considered an important destination for the Christian in the whole world, as various cultural influences have passed over it throughout the ages, which left behind a religious and cultural legacy that is a testament to its status, and it was necessary for it to contain the most important places of worship for carrying out religious and spiritual rituals, and among these cultural influences is the influence of the Byzantine civilization.

The study dealt with the used and abandoned/ destroyed churches located in the city of Bethlehem and its eastern surroundings that were built between the fourth and the seventh centuries AD, from a historical, archaeological, and archticutral perspective, according to a descriptive analytical approach that relied on historical references and field inspection.

The current study contains six chapters, the first chapter presents the introduction and the methodology of the study, the second chapter presents the general framework, and the third chapter presents the stages of the architectural planning development as a supporting factor, in addition to the historical framework of church architecture as an explanatory factor. The fourth chapter dealt with ten inhabited and demolished churches in Bethlehem city and its eastern surroundings using comparative study, namely the Church of the Nativity, the churches of the Shepherds' Field, the Church of Deir Ibn Ubaid, the churches of Mar Saba Monastery, the Church of the Milk Grotto, the churches of the Siyar El-Ghanam, the church of Khirbet Deir al-Raheb, and the churches of Herodium, the church of Khirbet al-Deir, and the church of Umm al-Amad, through field inspection by visiting the inhapited ones, searching and investigating the demolished ones, inspecting them directly, drawing maps of their foundations and architecture, and documenting their remains with pictures and engineering drawings.

The study presents the arts and decorations of churches, such as mosaics, engravings, drawings, and pictures that decorated them and had symbolic and religious connotations, which formed the patterns of the arts of the eastern churches. While in the fifth chapter the arts and decorations of churches were discussed and presented in general, then they were implemented to the study's selected group of churches using comparison and aforementioned patterns in order to prove local Eastern churches concepts. Finally, the sixth chapter concluded the study, its results, and its recommendations.

فهرس المحتويات

الإقرار ..... أ

الشكر والتقدير ..... ب

الملخص ..... ت

Abstract: ..... ج

الفصل الأول: المقدمة 1

1.1 تمهيد: 2

1.2 مشكلة الدراسة: 3

1.3 أهداف الدراسة: 3

1.4 أسئلة الدراسة: 3

1.5 أهداف الدراسة: 4

1.6 منهجية الدراسة: 4

1.7 حدود الدراسة: 4

1.8 معوقات الدراسة: 5

1.9 مبررات الدراسة: 5

1.10 الدراسات السابقة: 6

الفصل الثاني: بيت لحم التسمية والموقع والإطار التاريخي 10

2.1 الموقع 12

2.2 التسمية 13

2.3 المناخ والتضاريس 15

2.4 بيت لحم في أقوال الرحالة 17

2.5 تاريخ بيت لحم منذ القدم وحتى العصر الروماني 18

2.6 ولادة المسيح عليه السلام 24

2.7 ظهور المسيحية وانتشارها.....27
2.10 نشأة الحضارة البيزنطية ودورها في تبني المسيحية 28
2.11 الامبراطور قسطنطين والاعتراف بالمسيحية 274 – 337م 29
2.12 مرسوم ميلان وتوطيد المسيحية 313 م.....31
2.13 الفترة البيزنطية المبكرة وتمايز التصميم السكني (330م– 636م).....32
الفصل الثالث: مراحل تطور التخطيط المعماري للكنائس الشرقية (شرقي بيت لحم) 34
3.1 الإطار التاريخي للتطور المعماري للكنائس البيزنطية.....35
3.2 أنماط الكنائس 38
3.2.1 الكنيسة – البيت.....39
3.2.2 كنيسة البازيلكا 40
3.2.3 كنيسة الكهف.....42
3.2.4 الكنائس ذات الشكل الصليبي.....42
3.2.5 الكنائس ذات الشكل المربع 43
3.2.6 الكنائس ذات الشكل المثمن:.....44
3.3 العناصر المعمارية للكنيسة البيزنطية 44
3.3.1 الهيكل (البيما).....45
3.3.2 حاجز الهيكل 45
3.3.3 الحنية.....46
3.3.4 المذبح 47
3.3.5 المظلة فوق المذبح.....47
3.3.6. مقاعد رجال الدين.....47
3.3.7 المقاعد الجانبية.....48
3.3.8 المنبر 48
3.3.9 جرن المعمودية 49
3.3.10 غرفة الدفن 49

3.3.11 غرفتان جانبيتان، أو غرفة جانبية.....49
3.3.12 المجاز.....49
3.3.13 الساحة المكشوفة.....50
الفصل الرابع: كنائس مدينة بيت لحم ومحيطها الشرقي (دراسة مقارنة)..... 51
الكنائس المستخدمة.....53
4.1 كنيسة المهد.....53
4.1.1 المعالم الأثرية في كنيسة المهد الحالية (قسطنطين وجستنيان).....60
4.1.1.1 الساحة الخارجية أمام الكنيسة.....60
4.1.1.2 الواجهة الأمامية للكنيسة (الباب الرئيس).....60
4.1.1.3 المجاز.....61
4.1.1.4 مدخل البازليكا.....61
4.1.1.5 البازليكا.....62
4.1.1.6 كنيسة مغارة الميلاد.....63
4.1.1.7 الواجهة الجنوبية.....64
4.1.1.8 جرن المعمودية.....64
4.1.1.9 المذبح.....65
4.2. كنيسة حقل الرعاة.....65
4.2.1 الكهف الطبيعي (الكنيسة الأولى).....66
4.2.2 كنيسة الكهف أو المغارة (الكنيسة الثانية).....67
4.2.3 الكنيسة الثالثة.....67
4.2.4 بازيليكا الكنيسة.....68
4.2.5. الدير.....69
4.3 كنيسة دير ابن عبيد.....71
4.4 كنائس دير مار سابا.....73
4.5 كنيسة مغارة الحليب.....82

الكنائس المهدمة 83
4.6 كنائس هيروديوم.....83
4.6.1 الكنيسة الشمالية 84
4.6.2 الكنيسة المركزية.....87
4.6.3 الكنيسة الشرقية 90
4.7 كنائس خربة سير الغنم 95
4.8 كنيسة دير الراهب 99
4.9 كنيسة خربة أم العمد.....100
4.10 كنائس خربة الدير 102
4.10.1 كنيسة الكهف 103
4.10.2 كنيسة القديس نيقولا.....104
الفصل الخامس: فنون الكنائس الشرقية 106
5.1 الفسيفساء.....107
5.2 الرسومات 115
5.3 النقوش.....118
الفصل السادس: الخاتمة 119
6.1 الخاتمة 120
6.2 النتائج 121
6.3 التوصيات 123

ملحق الأشكال

شكل 1: خارطة مادبا 125

شكل 2: مواقع الكنائس في الجزء الجنوبي الشرقي من مدينة بيت لحم 125

شكل 3: المرحلة الأولى من بناء كنيسة المهد في عهد قسطنطين، 126

شكل 4: كنيسة القيامة 126

شكل 5: المرحلة الثانية من بناء كنيسة المهد في عهد جستنيان، 127

شكل 6: المرحلة الثانية من بناء كنيسة المهد في عهد جستنيان 127

شكل 7: المرحلة الأولى من بناء الواجهة الأمامية لكنيسة المهد في عهد جستنيان 128

شكل 8: المرحلة الثانية من بناء الواجهة الأمامية لكنيسة المهد 128

شكل 9: المرحلة الثالثة لبناء الواجهة الأمامية لكنيسة المهد 129

شكل 10: الكنيسة الأولى من حقل الرعاة تعود للقرن الرابع 129

شكل 11: الكنيسة الثانية من حقل الرعاة تعود للقرن الخامس 130

شكل 12: كنيسة حقل الرعاة في القرنين الرابع والخامس الميلادي 130

شكل 13: الكنيسة الثالثة من حقل الرعاة في القرن السادس الميلادي 131

شكل 14: مراحل بناء كنيسة حقل الرعاة من القرن الرابع حتى السادس الميلادي 131

شكل 15: كنيسة الدير من حقل الرعاة في القرن السابع الميلادي 132

شكل 16: مراحل بناء كنائس حقل الرعاة من القرن الرابع حتى السابع الميلادي 132

شكل 17: كنيسة ابن عبيد 133

شكل 18: كنائس دير مار سابا 133

شكل 19: الصوامع التي تناولتها الدراسة في دير مار سابا 134

شكل 20: الكنيسة الشمالية من كنائس هيروديون.....135
شكل 21: الكنيسة الوسطى من كنائس هيروديون 135
شكل 22: الكنيسة الشرقية من كنائس هيروديون 136
شكل 23: كنيسة سير الغنم في الفترة الأولى 136
شكل 24: كنيسة سير الغنم في الفترة الثانية 137
شكل 25: كنيسة سير الغنم في المرحلتين الأولى والثانية 137
شكل 26: كنيسة خربة دير الراهب 138
شكل 27: كنيسة خربة أم العمد 138
شكل 28: كنيسة القديس نيقولا (خربة الدير) 139

ملحق الصور

صورة 1: الهيكل في كنيسة المهد 140
صورة 2: حاجز الهيكل في كنيسة المهد 140
صورة 3: الحنية الموجودة في كنيسة أم العمد 141
صورة 4: المذبح الموجود في كنيسة المهد 141
صورة 5: المظلة فوق المذبح في كنيسة المهد 142
صورة 6: مقعد رجال الدين في كنيسة المهد 142
صورة 7: المقاعد الجانبية في كنيسة المهد 143
صورة 8: المنبر في كنيسة المهد 143
صورة 9: جرن المعمودية في كنيسة المهد 144
صورة 10: الساحة المكشوفة لكنيسة المهد 144
صورة 11: أعمدة كنيسة المهد تحمل تيجانًا كرونثية 145
صورة 12: الواجهة الأمامية لكنيسة المهد على هيئتها الحالية 145
صورة 13: الباب الخشبي لمدخل البازليكا في كنيسة المهد 146
صورة 14: جزء من أرضية فسيفسائية كبيرة في كنيسة المهد 146
صورة 15: السقف الخشبي لكنيسة المهد 147
صورة 16: الجدار الشمالي لكنيسة المهد 147
صورة 17: النجمة الفضية في مكان ميلاد السيد المسيح في كنيسة المهد 148
صورة 18: جرن المعمودية في كنيسة المهد حيث يظهر الجرن الصغير بداخله 148
صورة 19: فسيفساء ملونة تحتوي على صليب باللون الأسود موجودة في كنيسة حقل الرعاة..... 149

صورة 20: فسيفساء مرصوفة فوق الصخر الطبيعي موجودة في كنيسة حقل الرعاة 149
صورة 21: فسيفساء موجودة في كنيسة حقل الرعاة 150
صورة 22: جزء من فسيفساء المجاز في كنيسة حقل الرعاة 150
صورة 23: مدفن الرعاة 151
صورة 24: أرضية فسيفسائية موجودة في كنيسة حقل الرعاة 151
صورة 25: نقش يوناني موجود في كنيسة حقل الرعاة تحت القوارير الفسيفسائية 152
صورة 27: تاج كرونثي يعود لأعمدة البازليكا في كنيسة حقل الرعاة 153
صورة 28: أرضية فسيفسائية محيطة بكنيسة حقل الرعاة وبقيت كفناء مفتوح 153
صورة 29: كنيسة دير ابن عبيد 154
صورة 30: السور الخارجي لدير ابن عبيد 154
صورة 31: دير مار سابا 155
صورة 32: كنيسة دير مار سابا 155
صورة 33: الصوامع في دير مار سابا 156
صورة 34: الكنيسة الوسطى من كنائس هيريديوم 156
صورة 35: الكنيسة المصلى في هيروديوم العلوي 157
صورة 36: كنيسة هيروديوم الشمالية مغلقة بسياج 157
صورة 37: حنية كنيسة دير الراهب 158
صورة 38: حنية كنيسة أم العمد 158
صورة 39: بئر في خربة أم العمد 159
صورة 40: بئر موجودة في خربة أم العمد على شكل إجاصة 159

صورة 41: قطع فسيفساء وفخار من كنيسة أم العمد.....160
صورة 42: عمود ضخم من أعمدة أم العمد تم تركه في الموقع.....160
صورة 43: حنية كنيسة القديس نيقولا (خربة الدير).....161
صورة 44: جرن المعمودية من كنيسة القديس نيقولا يظهر نقش الصليب.....161
صورة 45: جرن المعمودية من كنيسة القديس نيقولا يظهر عليه نقش النجمة الثمانية 162
صورة 46: زخارف نباتية وحيوانية على أرضية فسيفسائية موجودة في كنيسة المهد 162
صورة 47: زخارف حيوانية على أرض فسيفسائية موجودة في كنيسة مار سابا 163
صورة 48: زخارف حيوانية على أرضية فسيفسائية موجودة في كنيسة المهد.....163
صورة 49: زخرفة مواد وادوات على أرضية فسيفسائية في كنيسة حقل الرعاة.....164
صورة 50: زخرفة رموز دينية 164

الفصل الأول: المقدمة

1.1 تمهيد

1.2 مشكلة الدراسة

1.3 أهداف الدراسة

1.4 أسئلة الدراسة

1.5 فرضيات الدراسة

1.6 منهجية الدراسة

1.7 حدود الدراسة

1.8 معوقات الدراسة

1.9 مبررات الدراسة

1.10 دراسات سابقة

1.1 تمهيد:

تمتاز فلسطين منذ القدم بأهميتها ومكانتها الدينية والتاريخية، فقد مرّت بالكثير من الأحداث التي تركت آثارًا لا تزال حتى يومنا الحاضر شاهدًا على عراقتها وعظمتها، وبطبيعة الحال توال عليها الاحتلال والهجمات الشرسة والاستيطان، ولم تسلم من الاحتلال البابلي والفارسي واليوناني والروماني والبيزنطي. حيث أن كلٌ منها ترك ندباته وويلاته من جهة فكانت الحروب والتشريد والموت؛ ومن جهة أخرى وُجد الإبداع والفنون والهندسة وبنيت القلاع والحصون والمباني السكنية والدينية. ولا شكّ في أن كل محافظةٍ منها تروي الظروف التي ساعدت في بناءها وتشييدها، ولعلّ أبرزها محافظة بيت لحم. تشتهر محافظة بيت لحم بأهميتها الدينية وقدسيتها العظيمة الناتجة عن ولادة السيد المسيح عليه السلام فيها. وتعتبر مركز وعاصمة العالم المسيحي. ولابد وأن يحتوي مثل هذا المركز الديني على أهم أماكن العبادة التي يمكن للناس من خلالها تنفيذ طقوسهم الدينية وعباداتهم الروحانية مهما كان دين المحتل. وفي هذه الدراسة تناولت الباحثة الكنائس البيزنطية في مدينة بيت لحم والتي تم بنائها خلال الفترة الواقعة بين القرن الرابع الميلادي والقرن السابع الميلادي من الناحية التاريخية والأثرية والمعمارية. وقد تم التطرق لعدد من الكنائس البيزنطية الموجودة في بيت لحم خلال هذه الدراسة.

1.2 مشكلة الدراسة:

تكمن المشكلة في تركيز جُل الباحثين على الكنائس المأهولة وبالتحديد كنيسة المهد، وإهمال عدد كبير آخر منها، وكذلك صرف النظر عن الكنائس المهدمة المتروكة، في محيط بيت لحم الشرقي مما خلق فجوة معرفية بين المهتمين والدارسين، وكذلك عامة الناس.

1.3 أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى:

- التعرف على الكنائس البيزنطية في بيت لحم ومحيطها الشرقي.
- معرفة وجه الشبه بين كنائس بيت لحم ومحيطها الجغرافي الشرقي.
- معرفة الطبيعة المعمارية لكنائس بيت لحم المأهولة والمهدمة.
- معرفة مراحل تطور العمارة في هذه الكنائس.
- التعرف على الفنون الزخرفية الموجودة في هذه الكنائس مثل الفسيفساء والرسومات.
- التعرف على التصنيف الزمني لهذه الكنائس.

1.4 أسئلة الدراسة:

تم الإجابة عن أسئلة الدراسة التالية:

1. هل كان للموقع الجغرافي الذي بنيت فيه الكنائس أهمية في إبراز مكانة وأهمية هذه الكنائس؟
2. ما هي أهمية الإطار التاريخي للمسيحية في بيت لحم؟
3. ما الأهمية المعمارية للكنائس في بيت لحم ومحيطها الشرقي؟

4. ما الأهمية الأثرية للكنائس البيزنطية المأهولة والمتروكة في بيت لحم ومحيطها؟

1.5 أهداف الدراسة:

تعمل الباحثة على إثبات الفرضيات التالية:

- هناك وجه شبه بين كنائس بيت لحم المدينة وكنائس في ريفها الشرقي.

- تأثرت الكنائس البيزنطية الشرقية بالتقاليد الشرقية والنمط الشرقي من حيث العمارة .

- تأثرت الكنائس البيزنطية الشرقية بالطابع الشرقي من حيث الفنون المستخدمة فيها مثل الفسيفساء.

- هناك أهمية تاريخية كبيرة للكنائس البيزنطية الشرقية في محافظة بيت لحم.

1.6 منهجية الدراسة:

استخدمت الباحثة في دراستها منهج البحث التاريخي الوصفي التحليلي، والرفع المعماري، والمعاينة الميدانية المباشرة، والدراسة المقارنة.

1.7 حدود الدراسة:

تتمثل حدود الدراسة بالحدود التالي:

الحد المكاني: مدينة بيت لحم ومحيطها الشرقي.

الحد الزماني: من القرن الرابع الميلادي إلى القرن السابع الميلادي.

1.8 معوقات الدراسة:

هناك تحديات ومعوقات واجهت الباحثة أثناء بحثها في موضوع الدراسة، منها:

1. صعوبة الوصول إلى أماكن الكنائس في الميدان بسبب فرض الإغلاق وخطر المنطقة عسكريًا، الأمر الذي تطلب من الباحثة إلى المغامرة قدر الاستطاعة في الوصول إليها.

2. شُح المراجع والمصادر الكافية عن موضوع هذه الدراسة باللغة العربية، الأمر الذي تطلب من الباحثة ضرورة البحث عنها باللغة الإنجليزية واللغات الأخرى مثل العبرية والإيطالية، وترجمة المتوفر منها ودراستها وتمحصها بشكل موسع.

3. تهميش العديد من الكنائس الموجودة في بيت لحم ومحيطها الشرقي وعدم الاستدلال على مصادر معلومات حولها إن وجدت.

1.9 مبررات الدراسة:

1. إهمال عدد كبير من الكنائس المتروكة المهدمة في محيط بيت لحم الشرقي.

2. عدم توافر الدراسات التي تناولت الكنائس المهدمة، وكذلك شح المصادر العربية التي تناولت الكنائس المأهولة.

1.10 الدراسات السابقة:

اعتمدت الباحثة الدراسات والكتب التي تناولت موضوع فترة الحكم البيزنطي لفلسطين بشكل عام وبيت لحم بشكل خاص، إضافة إلى الدراسات التي حملت في ثناياها موضوع الكنائس التي بنيت في تلك الفترة. ومن خلال البحث الأولي الذي أجرته الباحثة للحصول على المعلومات لإثراء البحث تمكنت من الوصول إلى الدراسات التالية:

1. دراسة: Palestinian Mosaic Art Comparing Experiences

فن الفسيفساء الفلسطيني مقارنة تجارب، المؤتمر الدولي لفن الفسيفساء الفلسطيني (2016):

تتناول الدراسة فن الفسيفساء وتقاليده بشكل عام، وفي فلسطين بشكل خاص، حيث أنه تراث فريد ومورد استثنائي لمصير حضارة وثقافة البحر الأبيض المتوسط التي تضم العديد من المواقع الأثرية، والتراث الثقافي الغني على فترات تاريخية وأديان وثقافات مختلفة. وتتناول الدراسة النسخة الأولى من المؤتمر الدولي للفسيفساء الفلسطينية، حيت تم مناقشة الوضع الحالي لها، وأهمية تعزيز تراث الفسيفساء وفهمه والحفاظ عليه في منطقة حوض البحر الأبيض المتوسط.

2. دراسة: العمارة المسيحية المبكرة (أمين،2015):

تتناول هذه الدراسة السلم التاريخي للمسيحية المبكرة، ومراحل تطور مكان العبادة لدى المسيحيين، حيث تطرق الكاتب لعمارة الكنائس التي أنشئت في عصر الإمبراطور قسطنطين باعتباره الشخص الأول المسؤول عن سيادة الديانة المسيحية بحكم أنه جعل الديانات المسيحية ديانة رسمية للدولة، إضافة إلى أنماط الكنائس المبكرة ومخططاتها وأصولها وأشهر نماذجها.

3. دراسة: Archaeological Minor Sites in the Mediterranean Basin, Case Study: Beit Sahur in Palestine, Gadra in Jordan, Vito Soldano and Finziade in Italy

المواقع الأثرية الصغيرة في حوض البحر الأبيض المتوسط، دراسة حالة: بيت ساحور في فلسطين، جدارا في الأردن، فيتو سولدانو وفينزياد في إيطاليا (2014):

تهدف الدراسة إلى تعزيز أهمية مواقع التراث الأثري المهمشة في منطقة حوض البحر الأبيض المتوسط، من خلال دراسة حالة لمواقع أثرية صغيرة ومحددة في مناطق أثرية مهملة ومهمشة، وهي: بيت ساحور في فلسطين، وجرادا في الأردن، و فيتو سولدانو وفينزياد في إيطاليا، وذلك لتوضيح هذه المواقع وتاريخها ومميزاتها، ووصف السياق الجغرافي والاجتماعي والاقتصادي والبيئي والثقافي لها. كما استخدم الباحثون التحليل الميداني، والمقابلات الشفوية، والبحث العلمي لإجراء هذه الدراسة. وأظهرت الدراسة أن المواقع المستهدفة تعاني من الإهمال والتهميش والاستهانة في حفظ إرثها وتراثها الأثري والمعماري والثقافي.

4. دراسة: Influence of Eastern and Western Architectural Models on the Churches Built in the Province Macedonia in the 5th-6th C.

تأثير النماذج المعمارية الشرقية والغربية على الكنائس المبنية في دولة مقدونيا في القرن الخامس الميلادي والسادس الميلادي (Filipova, S. 2013):

تناولت الدراسة تأثير الشرق وبلاد المشرق في بناء الكنائس في مقدونيا في القرن الرابع والخامس والسادس الميلادي ومنها فلسطين، وكيف أن التصميم المعماري وشكل أماكن عبادة المسيحيين المبكرة كانت متأثرة بشكل كبير بهياكل المعابد والتصورات الذهنية الوثنية الشرقية، كذلك أظهرت التشابه الكبير بين رسومات القبة الأولى للاكليسيا والرسومات الموجودة في المعابد اليهودية، ونتيجة للتوسع الديموغرافي

للامبراطورية البيزنطية منذ القرن الرابع حتى السادس الميلادي كان هناك توسع وامتداد للتصميم المعماري وفن الفسيفساء المستخدم في كنائس مقدونيا وتأثير للكنائس الشرقية عليها.

5. دراسة: Early Christian Churches in The Holy Land.

الكنائس المسيحية الأولى في الأرض المقدسة (Patrich, J. 2006):

تطرق الباحث فيها إلى التحول العمراني الذي شهدته كنائس فلسطين في العصر البيزنطي، كما تناولت الدراسة التوزيع الجغرافي والوضع الاجتماعي للمنطقة ومدى تأثيرها على التصميم العام العمراني للكنيسة سواء في المدن أو الريف، ثم استعراض الاكليسيا وهي مكان الصلاة الأول للمسيحيين، والعمارة الجديدة للكنائس في الشرق مثل الكنائس المركزية والمصلبة والبازيليكا والمثمنة والكنائس الملحقة، كما قدم الباحث أمثلة على الكنائس المبنية خلال هذه الفترة مثل كنيسة القيامة وكنيسة المهد وكنائس النقب.

6. دراسة: Mosaic Artists in the Byzantine East

فنانو الفسيفساء في الشرق البيزنطي (Zohar, D. 2006):

قدمت الدراسة منهجية للتعريف بعاملي الفسيفساء الأفراد بناء على تحليل المورفولوجيا أو آلية ترصيع الزخارف التصويرية، وقد تم مناقشة أعمال فنانين اثنين من الذين كانوا يعملون خلال القرن السادس الميلادي في منطقة مادبا في الأردن، كما تحدثت عن أسلوب فنان الفسيفساء في تخطيط الفسيفساء وتلوينها لتظهر بالزخارف التصويرية، حيث تتداخل التقنية مع الأسلوب والإبداع بشكل كبير في هذه الجزئية، كما وضحت الدراسة معايير ترصيع الفسيفساء وخصائصها من تدرج في الألوان إلى كثافة القطع.

7. دراسة: An Empire’s New Holy Land: The Byzantine Period

امبراطورية الأرض المقدسة الجديدة: العصر البيزنطي (Parker, S. 1999):

تناولت الدراسة البحث المعماري المنظم الذي بدأ في فلسطين لدراسة الفترة البيزنطية من القرن الرابع الميلادي حتى بداية القرن السابع الميلادي، وقد سلطت الضوء على السياق التاريخي للعمارة في الفترة البيزنطية في فلسطين، كما قدمت مراجعة تاريخية لفلسطين وللجغرافية التاريخية، إضافة إلى التركيز على البيانات الوثائقية الجديدة، والمسوحات والتنقيب، والتطور في استخدام منهجية ونشر المعلومات.

خاتمة:

إن أهمية فلسطين الدينية حقيقة لا يمكن إنكارها، وإنما يجب التعامل معها ومع كل حقبة تمر على فلسطين على أنها جزء لا يتجزأ من كينونة فلسطين، وهي كذلك بالفعل، وقد تركت الديانة المسيحية بصمةً واضحة في كينونة فلسطين منذ ميلاد السيد المسيح عليه السلام على أرضها، وكانت بصمتها مميزة جدًا فقد تركت خلفها حضارة عريقة والكثير الكثير من منتجاتها القيمة، ولعل أحد أهم هذه المنتجات والمخرجات الحضارية هي العمارة الرائعة والهندسة المتفوقة، ومثال ذلك الكنائس التي بنيت في فلسطين؛ فهي تعبر بالضرورة عن كل التطور الحاصل في المنطقة سواء الفني أو المعماري أو الصناعي، وغيره الكثير، وعليه، فإن الكنائس بئر لا ينضب من الثقافة والعلم والعمارة الرائعة، ولذلك، تأمل الباحثة بأن تكون قد قدمت المعلومات الكافية لإثراء موضع الدراسة، وأن تصبح هذه الدراسة مرجعًا للباحثين عن الحضارة الشرقية وكنائسها.

الفصل الثاني: بيت لحم التسمية والموقع والإطار التاريخي

2.1 الموقع

2.2 التسمية

2.3 المناخ والتضاريس

2.4 بيت لحم في أقوال الرحالة

2.5 تاريخ بيت لحم منذ القدم وحتى العصر الروماني

2.6 ولادة المسيح عليه السلام

2.7 ظهور المسيحية وانتشارها

2.8 نشأة الحضارة البيزنطية ودورها في تبني المسيحية

2.11 الامبراطور قسطنطين والاعتراف بالمسيحية 274 – 337م

2.12 مرسوم ميلان وتوطيد المسيحية 313 م

2.13 الفترة البيزنطية المبكرة وتمايز التصميم السكني (330 – 636)

الفصل الثاني

تمهيد:

لا شكّ في أن موقع فلسطين الاستراتيجي في مركز الحضارات التاريخية بين العراق ومصر، جعلها محط اهتمام العالم عبر التاريخ قديمًا وحديثًا[1]. فقد كانت فلسطين جغرافيًا وجهةً لاستقرار الشعوب والهيمنة على مواردها، وتجاريًا نقطة تبادل ووسيط في التجارة الدولية، وسياسيًا عنصرًا مؤثرًا في السياسة الإقليمية، وعسكريًا جسرًا يصل بين جيوش الممالك المجاورة (أشور، وبابل، وفارس) ومملكة مصر القديمة، ودينيًا موطنًا للديانات التوحيدية الثلاث – اليهودية والمسيحية والإسلامية. وقد قامت في فلسطين كغيرها من بلاد الشام ممالك مختلفة مثل الفلسطيون والفينيقيون وغيرهم، وأيضًا نالت منها العديد من القوى الخارجية المحتلة مثل اليونانية والرومانية، وذلك للسيطرة على ثرواتها.[2]

ولما كانت بيت لحم جزءًا لا يتجزء من كينونة فلسطين، فقد مر عليها من حضاراتٍ وممالكٍ واحتلالٍ ما مر على فلسطين. حيث ساعدت الظروف السائدة في سكن واستيطان مدينة بيت لحم عبر العصور، والمعطيات الأثرية والتاريخية تدل على ذلك. فوجودها على قمة الهضبة جعل منها بلدًا محصنًا وصحيًا في الوقت نفسه، وهذا ما وفر الأمن للسكان، بالإضافة إلى خصوبة المنطقة المحيطة التي أمنت الغذاء كضرورة استقرار، فسكنها الكنعانيون وسموها أفراتا، وبنوا منها معبدًا لآلهة الخصب، أما الصحراء إلى الشرق منها فقد سكنت مبكرًا وباتت بيت لحم سوقًا يتوافد عليه قاطنوها.

[1] الحضارة الولى هي وادي دجلة والفرات، والحضارة الثانية هي وادي النيل، الشوفاني، إلياس. (1996): الموجز في تاريخ فلسطين السياسي منذ فجر التاريخ حتى سنة 1989م. مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، لبنان. ص 4.

[2] الشوفاني، مرجع سابق، ص: 4 -5.

تتمثل أهمية المدينة الدينية في كونها مسقط رأس عيسى المسيح عليه السلام، وازداد ذلك بعد الاعتراف بالديانة المسيحية في القرن الرابع الميلادي، وبات لزامًا على من يزور فلسطين وبيت المقدس أن يزور بيت لحم، ومن لم يزرهما فكأنما لم يزر الأرض المقدسة نظرًا لأهميتها الدينية عند كل من المسلمين والمسيحيين.[3]

من الدلائل التاريخية على أهمية المدينة الدينية أنها ذكرت في رسائل تل العمارنة خلال القرن الرابع عشر قبل الميلاد، وذكر اسمها في القتال الذي نشب جنوب القدس في بيت إيلي لاحاما، إضافةً إلى ظهورها في خارطة كنيسة مادبا الشهيرة (شكل 1) والتي تظهر عليها بتاريخ 560م، وقد ميزت هذه الخارطة بيت لحم بفسيفساء اللون الأحمر للأهمية وقد كانت كنيسة جوستنيان قد بنيت عام 532م، أي أن الرسم الموجود على الخارطة هو رسم الكنيسة نفسها.[4]

2.1 الموقع:

تقع المدينة على الطريق التاريخي الواصل بين القدس والخليل على بعد ثمانية كيلو مترات جنوب القدس، ويحدها من الجنوب، والجنوب الغربي جبال الخليل، ومن الشرق البحر الميت، ومن الغرب جبال القدس، كما تبعد أربعين كيلومترًا غربي البحر الميت، وستين كيلومترًا شرق البحر الأبيض المتوسط، وستة وعشرون كيلومترًا شمال الخليل.[5]

[3] مصطفى، وليد، (2008): قصة مدينة بيت لحم. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم دائرة الثقافة بمنظمة التحرير الفلسطينية. رام الله، فلسطين. ص 10.

[4] Britannica, T. Editors of Encyclopaedia (2023, October 19). Bethlehem. Encyclopedia Britannica. https://www.britannica.com/place/Bethlehem

[5] الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، 2007، ص7.

تبلغ مساحة بيت لحم الكلية حوالي 608 كم²، وتعتبر رابع أكبر المحافظات في الضفة الغربية التي يبلغ عددها 11 محافظة، ويقترب عدد سكانها من 229 ألف نسمة بحسب تقدير جهاز الإحصاء المركزي لعام 2020م.[6]

ولموقع بيت لحم أهمية في الماضي والحاضر، فهي الممر الرئيس الواصل بين مدينتي القدس والخليل، وهي المدينة الأولى على الخط التجاري الفرعي المار إلى قلعة هيروديوم، فعين جدي، ثم إلى جبال موآب، كما تقع على خط تقسيم المياه في جبال الخليل كمدينتي القدس والخليل[7]، ومن جهة أخرى، تمتد المدينة فوق هضبتين يصل أعلاها إلى 765م فوق مستوى سطح البحر، وهاتين الهضبتين جزء من جبال الوسط في فلسطين، وتقع بموازاة سفوح غور الأردن والبحر الميت إلى الشرق.

تمتد الهضبة الأولى من الشرق إلى الغرب وتقوم عليها كنيسة المهد والبلدة القديمة، أما الهضبة الثانية فتمتد من الشمال إلى الجنوب وتقوم عليها المدينة الحديثة التي توسعت في مطلع القرن العشرين الميلادي، وقد ظلت بيت لحم منذ القدم حتى مطلع القرن الحالي على حالها تقريبًا من حيث الحجم، وقد يرجع السبب في ذلك كي تظل محصنة أعلى الهضبة ويسهل الدفاع عنها.[8]

2.2 التسمية:

ذكرت بيت لحم في رسائل تل العمارنة، حيث يوجد مئة وثمانية عشرة اسمًا لمدنٍ كنعانية، ومنها القدس وما يتبعها جنوبًا، وبالأخص بيت لحم، ومن المرجح أن الاسم الذي ذكر في هذه الرسائل (بيت ايلي لحاما) هو اسم بيت لحم الكنعاني، ولما كان الكنعانيون يقيمون بيوتًا لآلهتهم فقد بنوا بيوتًا لإله الخصب

---

[6] الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني (2020): دليل التجمعات السكانية 2020، رام الله فلسطين. ص: 10.

[7] السلطة الوطنية الفلسطينية الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني. (2011): كتاب محافظة بيت لحم الإحصائي السنوي (3). رام الله، فلسطين. ص 29.

[8] جقمان، ح. (2009): جولة في جغرافية بيت لحم من أقدم الأزمنة حتى اليوم. ملفات بلدية بيت لحم، ص40.

بقرب السهول، وبالتالي نُسب اسم بيت ايلي لحاما إلى إله الخصب الكنعاني الذي قام في بيت لحم مطلًا على سهول المدينة وخاصةً حقول الرعاة الخصبة، وبقيت تتوارثه الأجيال[9]، ومن الجدير بالذكر أن الكنعانيون بنوا بيوتًا أخرى لإيلي لحاما في الجليل، وشمال غرب الناصرة. [10]

وبيت لحم اسم مركب من كلمتين وهما: (بيت) و (لحم) ويعني بيت الخبز، فكلمة بيت تعني اليوم مكان المبيت أو السكن، وكلمة لحم تعني الخبز في اللغة الآرمية، كما ذكرت المدينة بـ (بيت إيلي لحاما) وكان أول من أطلق عليها هذا الاسم هم الكنعانيون، وهو اسم معبد الخصوبة لديهم، وعرفت فيما بعد باسم (بيت لا حاما) ومن ثم (أفراتا) أي الخصوبة الوافرة، وأفراتا تعني الخصوبة في اللغة الآرمية، مما يدل على خصوبة المدينة الزراعية.[11]

من المحتمل أن تسمية بيت لحم بمعنى الخبز أو بيت الخبز قد جاء في فترة لاحقة للفترة الكنعانية، وهذا قد يدل على أن المنطقة كانت خصبةً وفيها حقول القمح أو الشعير، وفي العهد القديم ذكرت باسم بيت الخبز أيضًا، حيث ذكرت في سفر التكوين عندما توفيت راحيل، "فماتت راحيل ودفنت على طريق إفراته، التي هي بيت لحم، فنصب يعقوب عمودًا على قبرها" كما ذكرت أيضًا في سفر ميخا: "أما أنت يا بيت لحم إفراته" وعليه فإن أقرب الروايات إلى صحة التسمية هي رواية الاسم الذي اشتق من إله الخصب الكنعاني.[12]

---

[9] **تل العمارنة**: بلدة قديمة في مصر العليا بناها اخناتون حوالي 1111ق م عندما نادى بوحدانية اهلل وجعل فيها عاصمة جديدة لمملكة، ولكنها سرعان ما فجرت بعد وفاته. اسمها القديم اخناتون اكتشفت فيها ايضا وسائل العمارنة "مجموعة رسائل دبلوماسيين... فرعون مع أمراء آسيا، منقوشة بالخط المسماري في الواح من الطين، عثر عليها عام 1111م "موسوعة الموارد العربية، تأليف منير البعلبكي ،1991م.

[10] جقمان، حنا عبد الله، **"جولة في جغرافية بيت لحم من أقدم الأزمنة حتى اليوم 1984"**، ملفات بلدية بيت لحم، 2009. ص 8.

[11] الدباغ، مصطفى مراد. (1991): بلادنا فلسطين؛ جغرافية فلسطين وتاريخها – نظرة عامة. الجزء الثامن – القسم الثاني، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، لبنان. ص402.

[12] بنورة، توما. (1982): تاريخ بيت جالا بيت لحم بيت ساحور. مطبعة المعارف، القدس. ص 9.

أما في الإنجيل فذكرت بيت لحم باسم أفراته "أما أنت يا بيت للحم أفراته"[13]، وترجع تسميات المدينة أفراته دلالة على الوفرة والإثمار وبالتالي الخبز إسقاطًا على البيئة الخصبة للمنطقة التي امتازت بمناخ صالح للزراعة وخاصةً الحبوب بدلالة العهد القديم، وكذلك توفر المراعي وبالتالي وجود قطعان الأغنام والرعاة.[14]

أما قصة الرعاة الذين كانوا في الحقل مع أغنامهم وجاءهم المجوس ببشرى المسيح فتدل على خصوبة المنطقة والمناخ الجيد وكثرة الأغنام واللحم، ومن هنا كانت تسمية المدينة بـ (بيت لحم) وعليه أصبح اسم (بيت لحم) هو المعروف والمتداول إلى يومنا، وهي من أشهر مدن العالم لارتباطها بمولد المسيح عليه السلام قبل عشرين قرنًا.

وفي القرآن الكريم فقد تمت الإشاردة إلى بيت لحم من دون ذكر اسمها، وذلك في سورة مريم الآية 23، حيث قال تعالى: "فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ۞ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا".[15]

2.3 المناخ والتضاريس:

مناخ فلسطين شبه معتدل، فهي تقع في منطقة معتدلة بين خطي عرض 31°و 33° شمال خط الاستواء، وهي منطقة شبه مدارية يسيطر عليها مناخ البحر الأبيض المتوسط، فالصيف فيها طويلٌ حار وجاف، والشتاء قصير معتدل وماطر، وتتفاوت درجات الحرارة باختلاف المنطقة وفق طبيعة الأرض والارتفاع عن سطح البحر، فمنطقة الأغوار تتسم بأعلى درجات حرارة في الصيف، وتتميز بالدفء في

---

[13] الإنجيل، سفر التكوين، 19 SİC.

[14] الإنجيل سفر راعوت، الإصحاح الرابع، 11-12.

[15] القرآن الكريم، سورة مريم، آية: 22.

الشتاء، أما الجبال فمناخها لطيفٌ معتدل في الصيف، وبالنسبة لمدينة بيت لحم فهواؤها جاف صيفًا وشديد البرودة شتاءً، ومعدل الحرارة يصل فيها إلى 17.5° درجة مئوية.[16]

تفتقر بيت لحم لوجود الأنهار والينابيع المركزية وتعاني من شح المياه خاصةً في الصيف، ولذلك عمل الانسان منذ القدم على حل المشكلة بحفر آبارٍ لجمع مياه الشتاء، وقد تم العثور على عدد كبير منها تعود لفترات مختلفة، وبسبب قلة مصادر المياه في بيت لحم والقدس فقد قام القدماء أيضًا بمد قنوات وبرك تجميع مياه من الجنوب إلى المدينة ثم القدس لتزويدهما بالماء.[17]

تتنوع تضاريس منطقة بيت لحم جبالًا وسهولًا ووديانًا وصحاري، وتقطع المرتفعات الجبلية الوسطى القسم الغربي منها من الشمال إلى الجنوب، وتقع فوق مرتفعين بارزين في الجهة الشرقية لسلسلة جبال القدس التي تفصل البحر الميت عن البحر المتوسط بارتفاع عن مستوى سطح البحر يصل أعلاه إلى 850م، وتنحدر نحو الشرق حتى البحر الميت لتنخفض عن سطح البحر بأكثر من 300م في منطقة أريحا، وفي الشرق والجنوب الشرقي للمدينة تقع التلال الصحروية (البرية)[18] وهي عبارة عن جبالٍ منخفضة وأراضٍ شبه صحراوية قاسية تحتوي على الكهوف الطبيعية والمُغُر التي حفرها الانسان قبل أكثر من أربعة آلاف عام لتكون مأوى له ولأغنامه، ومخازن لحفظ حبوبه ومؤنه[19]، وقد ذكر في كتب الرحالة أن هذه (البرية) وجبالها كانت قد احتوت عددًا كبيرًا من الكنائس والأديرة مثل دير ابن عبيد، ودير مار سابا، وخريطون، وكنائس الفرديس، وتقوع، أما المقدسي فذكر أن بيت لحم تحتوي على كنيسة ليس في الأرض بمثل

[16] Britannica, T. Editors of Encyclopaedia (2023, October 19). Bethlehem. Encyclopedia Britannica. https://www.britannica.com/place/Bethlehem

[17] Britannica, T. Editors of Encyclopaedia (2023, October 19). Bethlehem. Encyclopedia Britannica. https://www.britannica.com/place/Bethlehem

[18] جقمان، حنا عبد الله. (2009): **"جولة في جغرافية بيت لحم من أقدم الأزمنة حتى اليوم"**، ملفات بلدية، بيت لحم. ص: 11.

[19] أريج معهد الأبحاث الطبيعية، (2007). ص: 13.

جمالها[20]، وعلى الأغلب فإن عددًا كبيرًا منها قد شُيّد في برية بيت لحم للخلوة والعبادة أبرزها كنيسة مار سابا.

2.4 بيت لحم في أقوال الرحالة:

اختلف الرحالة في أداة قياس المسافة بينها وبين المدن الأخرى، كما حرصوا على ذكرها في معظم كتبهم، فقد ذكرها المقدسي بقوله: "بيت لحم قرية على طرف فرسخ من نحو حبري، بها ولد عيسى، ومن ثم كانت نخلة، وليس يرطب النخيل بهذا الرستاق، ولكن جعلت له آية، وبها كنيسة ليس بالكورة مثلها، وتشرق عليها الشمس من خلف جبال موآب، وتغرب خلف سلسلة جبال ممتدة من الشمال إلى الجنوب".[21]

أما الإصطخري فيقول: "وعلى ناحية جنوب بيت المقدس على ستة أميال منه قرية تعرف ببيت لحم".[22]

وذكرها ابن بطوطة بقوله: "زرت أيضًا بيت لحم موضع ميلاد عيسى عليه السلام، وبه أثر جذع النخلة، وعليه عمارة كثيرة، والنصارى يعظمونه أشد التعظيم، ويضيفون من نزل بها"[23]، كما يذكرها سايولف الذي زار بيت المقدس حوالي عام 1,102م، ويقول: "تقع مدينة بيت لحم في بلدانية بيت المقدس على بعد ستة أميال في الجهة الجنوبية من مدينة القدس نفسها".[24]

---

[20] المقدسي، شمس الدين أبو عبدالله. (2002): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. ص: 172.
[21] المقدسي. مرجع سابق. ص: 172.
[22] الاصطخري، أبو اسحاق ابراهيم بن محمد الكرخي. (1927): المسالك والممالك. ليدن، مطبعة بريل. ص 210.
[23] ابن بطوطة. (2003): "رحلة ابن بطوطة"، مؤسسة الكتب الثقافية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان. ص 95.
[24] سايولف. (1997): وصف رحلة الحاج سايولف لبيت المقدس والأراضي المقدسة. ترجمة: سعيد البيشاوي، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن. ص 49.

ويصفها بورشارد بأنها تقع على جبل صغير شاهق الارتفاع يمتد من الشرق إلى الغرب وله بوابة من الجهة الغربية، وفيها النبع الذي تمنى داود عليه السلام الشرب منه عندما كان محاصرًا في الجانب الشرقي للمدينة، وتحت الصخرة الواقعة قرب سور المدينة ولد السيد المسيح ووضع المذود.[25]

أما الرحالة الروسي دانيال الراهب فيقول: "تبعد مدينة بيت لحم المقدسة ستة فرستات جنوبي مدينة بيت المقدس".[26]

وعليه فإننا نجد أن معظم الرحالة الذين زاروا الأرض المقدسة قد ذكروا بيت لحم ومكان ولادة المسيح، ومنهم من وصف الكنيسة وأحوال البلد، ومن خلال البحث في أقوالهم نجد تقاربًا في الوصف العام حول موقع المدينة وارتفاعها وهيئتها وحجمها وبعض عادات أهلها، والممر التاريخي بين القدس والخليل.

2.5 تاريخ بيت لحم منذ القدم وحتى العصر الروماني:

العصر الحجري القديم 1,500,000 – 180,000 ق.م:

إن منطقة بيت لحم من أقدم المناطق التي عاش فيها الانسان وسكنها منذ العصور الحجرية القديمة، وقد تم العثور على مخلفاتٍ أثرية تعود لتلك العصور في مواقع مختلفة من فلسطين، ومنها في بيت لحم، ومن هذه الأماكن موقع أم قطفة في واد خريطون جنوب بيت لحم، وتعود إلى فترة العصر الحجري القديم 1,500,000– 400,000 ق.م، وفي المراحل اللاحقة لحياة الانسان من مرحلة العصر الحجري القديم الأعلى حوالي 40,000– 17,000 ق.م وجدت آثار في العرق الأحمر جنوب بيت لحم في واد خريطون

[25] بورشارد. (2016): **وصف الأرض المقدسة بوساطة الرحالة الألماني بورشارد من دير جبل صهيون**. ترجمة: سعيد البيشاوي، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان الأردن. ص56.

[26] دانيال، (2003): **وصف الأرض المقدسة في فلسطين للحاج الروسي دانيال الراهب 1106 – 1107م**. ترجمة: سعيد البيشاوي، دار الشروق للنشر، عمان، الأردن. ص 24.

المشهور بكهوفه الموغلة في القدم، وقد تعاقب الانسان للعيش فيها من مختف العصور، ووجدت أدواتٌ صوانية وحجرية استخدمها الانسان في عصره، وهذا شاهدٌ على أن هذه المنطقة كانت ملائمة لحياة الانسان منذ القدم.

ولا بدّ من ذكر كهوف واد خريطون لما لها من أهمية في حياة الانسان القديم، فمن أهم هذه الكهوف هو كهف أم قطفة الذي تشير الدلائل الأثرية على أنه سُكن في العصر الحجري القديم الأدنى، أي حوالي 500,000 – 120,000 سنة ق.م، كما عُثر على إشاراتٍ لأول استخدامٍ للنار في فلسطين، أما الكهف الثاني وهو العرق الأحمر فقد عاش فيه الانسان قبل حوالي 80,000 سنة ق.م، والكهف الثالث هو أم قلعة الذي سُكن أيضًا حوالي 8,000 سنة ق.م، وكان واد خريطون يمتاز بأشجاره ومياهه ومناخه، وقد بنى فيه القديس خريطون ديرًا في القرن الرابع الميلادي، والذي هجر لاحقًا ودمر.[27]

العصر الحجري الوسيط (النطوفي) 12,000– 8,300 ق.م:

وجدت مخلفات أثرية في مواقع فلسطينية كثيرة تدل على هذا العصر، وتعتبر أهم مميزاته سكن الملاجئ الطبيعية، وصنع الانسان أحجار الرحى والجواريش والمدقات لطحن الحبوب، والمهارس والأدوات الصوانية الهندسية الصغيرة بأشكالها المتعددة، والتي صنعت منها مناجل الحصاد، وذلك كما في كهف كباره. وقد تميزت هذه الحضارة ببداية الاستقرار غير الدائم أو الموسمي، وبداية بناء البيوت البسيطة بسبب اعتدال المناخ، وكفاية المصادر المائية، والأحوال الطبيعية المناسبة لزراعة نباتات القمح والشعير والعدس وغيرها، وبالتالي إنتاج الغذاء عن طريق الزراعة وتدجين الحيوانات، وقد سميت بالحضارة النطوفية نسبة إلى

[27] الدباغ، مرجع سابق، ص: 354.

وادي النطوف الذي يقع غربي القدس، ويعتقد أن هذه الحضارة بدأت من فلسطين، كما كانت بداية طريق المجتمعات الزراعية في بلاد الشام. [28]

العصر الحجري الحديث 83,000 – 4,500 ق.م:

شهد هذا العصر ثورة اقتصادية واجتماعية كبيرة، وارتفع مستوى التقدم الانساني الحضاري والمادي، وانتقل الانسان إلى مرحلة الانتاج والعمل من خلال الزراعة وتدجين الحيوانات بصورة واضحة، وكان قد صنع الانسان الفخار واللباس وأدوات الزينة في هذه المرحلة. وتميزت هذه الحضارة بصناعة رؤوس السهام والتي سميت بالخيامية ذات النتؤين على جانب، والمثاقب المشذبة على الوجهين[29]، وهناك الكثير من الأدلة على أن منطقة الهلال الخصيب وفلسطين خاصةً كانت مهد الزراعة الأولى بسبب المناخ المناسب والبيئة الملائمة، ولما كان الانسان يلاحظ الظواهر الطبيعية وتناوب الفصول وتقلبات الطقس وغيرها، تشكلت لديه مجموعة من المعتقدات والعبادات وجهها الانسان لقوى الطبيعة، ومارس طقوس الخصب طلبًا للنعمة وصدًا للنقمة. [30]

العصر الحجري النحاسي 4,500– 3,200 ق.م:

تتمثل هذه الحضارة بعدد من المواقع الموجودة في بيت لحم، ومن أهمها الكهوف الصخرية التي سُكنت، مثل أم قطفة، وأم قلعة، والعرق الأحمر والتي تقع في جنوب بيت لحم، بالإضافة إلى مئات الكهوف إلى الغرب من البحر الميت، مثل خربة قمران، والمربعات[31]، وفي هذه الفترة كانت منطقة بيت لحم تدب فيها

---

[28] الشوفاني، مرجع سابق، ص 26-27.

[29] محيسن، سلطان، (1994)، **"بلاد الشام في عصور ما قبل التاريخ: المزارعون الأوائل"**، الأبجدية للنشر، دمشق، سوريا. ص: 45.

[30] الدبش، أحمد مصري.(2003): فلسطين أصل الحضارة. ***مجلة صامد الاقتصادي***. ص:8-10.

[31] كفافي، زيدان، (2005)، **"أصل الحضارات الأولى"**، دار القوافل للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية. ص: 32.

الحياة بشكل لم يسبق له مثيل حيث انتقل الانسان لمرحلة استخراج النحاس جنبًا إلى جنب مع زراعة القمح والشعير والرعي[32].

عصر دويلات المدن أو العصور البرونزية 3,200– 1,200 ق.م:

منذ حوالي ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد دخلت عدة قبائل عربية وكنعانية قدمت من الجزيرة العربية فبنت المدن والمزارع وأقامت حضارةً لهم. وفي ذلك الوقت عرفت فلسطين في التاريخ باسم أرض كنعان، وأصبحت المدن الكنعانية مدنًا كبيرةً ومحصنة، وبيوتها متقنة الصنع، كما كان هناك حكومةً لكل مدينة. وقد عمل الكنعانيون في الزراعة وتربية الأغنام، وانتشرت مدنهم على أرض فلسطين، ومن بين هذه المدن كانت مدينة بيت لحم، وبيت ساحور[33].

وأنشأ الكنعانيون قبل حوالي ألفين وخمسمائة سنة قبل الميلاد معابد للأوثان في فلسطين، ومن جملتها معبدًا في بيت لحم عرف باسم "بيت ايلي لحاما" أي بيت الإله لحاما، وهو إله الخصب، وذلك بسبب خصوبة أراضي بيت لحم وغناها بالأشجار والحبوب والمواشي. وكان الكنعانيون قد بنوا أيضًا في الجليل في شمال فلسطين معبدًا آخرًا لنفس الإله، ويبعد 12 كم شمال غرب الناصرة، والذي عرف باسم بيت لحم الناصرة، وتم ذكره في العهد القديم.

العصر الحديدي 1,200– 538 ق.م:

قدم الفلست في هذه الفترة أو ربما قبل ذلك بعدة قرون وسكنوا الساحل وأصبحوا شركاء للكنعانيين في الحياة على هذه الأرض، وتمكن الفلسطينيون في الساحل، وتفوقوا برًا وبحرًا، فقويت شوكتهم واشتهروا بالتجارة

---

[32] الشوفاني مرجع سابق، ، (1996). ص: 13.

[33] ياسين، خير نمر، (1991)، **"جنوبي بلاد الشام تاريخه وآثاره في العصر البرونزي"**، لجنة تاريخ الأردن، عمان، الأردن. ص: 65.

في البر والبحر، وكانوا أيضًا قد فرضوا الضرائب على الطرق التجارية المارة من مناطقهم، وأدخلوا معهم صناعة الحديد، ونقلوا منطقة الشرق من العصور البرونزية إلى عصر استخدام الحديد. وحصل بينهم وبين اليهود عدة معارك في القرن التاسع والثامن قبل الميلاد حتى ضعفت دولتهم. وفي النهاية استطاع داود عليه السلام هزيمتهم. ومن مزايا بيت لحم مولد داود عليه السلام في المدينة، حيث تربى فيها، واتخذ الخليل في البداية عاصمةً له، ومن ثم يبوس القدس. ثم خلف داود ابنه سليمان والذي ولد في القدس[34].

كما ذكرت بيت لحم في رسائل تل العمارنة حوالي 1350 ق.م، في رسائل الحاكم المصري لفلسطين إلى الفرعون أمنحوتب الثالث، وعند دخول الفلست إلى فلسطين كان لهم بيت لحم حامية ونقطة انطلاق[35]، وبقي مكان المعبد مكرسًا للعبادة حتى قبل عهد داود بقليل. وفي فترة داود تم خوض المعارك مع الفلست في بيت لحم، وتمنى أن يشرب من آبار داود شمال بيت لحم، ثم تفوق عليهم في النهاية، وتبعه ابنه سليمان. لاحقًا في القرن الثامن الميلادي استولى على المنطقة المصريون ثم الأشوريون ثم البابليون "نبوخذ نصر"، وتلاه العصر الفارسي[36].

العهد الفارسي 538 – 365 ق.م:

في عام 538 ق.م. سيطر الفرس على فلسطين نحو مائتي سنة، وامتازوا بالعدل والانسانية، وجعلوا الولاة من أهل الأرض الأصليين، مما ساعدهم على بقاء حكمهم لفترةٍ طويلة.[37]

العهد الهيلنستي 365 – 323 ق.م:

---

[34] الدباغ، مرجع سابق، ص: 23

[35] الشمري، نهاد، (2019) ،" الجذور التأريخية وأصولها الحضارية في فلسطين دراسة تطبيقية في النصوص القديمة"، عدد خاص بالمؤتمرات للعام الدراسي 2018-2019 الجزء الثاني، **مجلة مداد الأدب**، كلية الآداب، الجامعة العراقية. ص: 21.

[36] بنورة، مرجع سابق، ص: 25

[37] بنورة، مرجع سابق، ص: 27

في سنة 334 ق.م. اجتاز الاسكندر البحر من اليونان إلى آسيا الصغرى وهزم الفرس واستطاع إخضاع بلاد الشام ومصر لحكمه بالحرب والسلم، وأنشأ العديد من المدن[38]، وكانت أهم نتائج فتوحات الاسكندر انتشار الحضارة اليونانية في الشرق، واصطباغ الشرق بالصبغة اليونانية، وأدى امتزاج الحضارة اليونانية الغربية بالحضارة الشرقية إلى ظهور حضارةٍ جديدة أطلق عليها "الحضارة الهيلنستية".[39]

الرومان 63 ق.م – 323م:

جاء الرومان سنة 63 ق.م، واستولوا على فلسطين على يد قائدهم بومبي، وبذلك أصبحت فلسطين تحت حكم الرومان. وقد ترك الرومان حكم البلاد للوطنيين يديرون مقاطعاتهم، وكان فيهم زعماءٌ من العرب، وفي البداية حكم المكاييون، ثم انتقل الحكم للهرادسة الأدوميون سنة 37 ق.م، واستمر 100 عام، وكان أولهم هيرودوس الأدومي، أو هيرودس العظيم، وقد حكم فلسطين وعدة ولايات أخرى، وبنى العديد من المدن والمعابد، وبنى في بيت لحم هيروديوم أو جبل الفرديس، وفي آخر سنوات حكمه كان ميلاد المسيح عليه السلام.[40]

الفتوحات العربية الإسلامية 648م:

جاء عمر بن الخطاب إلى فلسطين عام 648م، وزار بيت لحم وصلى فيها، وبني مسجد تيمنًا به في هذه المنطقة لا يزال قائمًا حتى اليوم مقابل كنيسة المهد. ومنذ ذلك الوقت يعيش كل من المسلمين

[38] الشوفاني، مرجع سابق، ص6.
[39] الدباغ ، مرجع سابق ، ص: 89.
[40] الدباغ، مرجع سابق، ص: 92.

والمسيحيين متعايشين مع بعضهم البعض. وقد ازدهرت بيت لحم في زمن هارون الرشيد (786م – 809م)، والدولة الفاطمية (952م – 1094م)، ونشطت التجارة، وعم الأمن، وتم ترميم الكنائس ودور العبادة.[41]

الفترة الصليبية (1099م – 1244م):

وقعت مدينة بيت لحم تحت الحكم الصليبي الذي عمل على تدمير المدينة باستثناء كنيسة المهد، حتى استعادها الخليفة صلاح الدين الأيوبي (1138م – 1193م) عام 1187م. لاحقًا في عام 1229م حكم الصليبيون بيت لحم مرة أخرى إلى أن قام الصالح نجم الدين (1205م – 1249م) عام 1244م بتحريرها من الصليبيين بشكل نهائي.[42]

2.6 ولادة المسيح عليه السلام:

كان يواكيم رجلًا نقيًا وعالمًا يقضي معظم وقته في المعبد، وكذلك كانت زوجته حنة، وعندما حملت حنة وهبت ما في بطنها لخدمة المعبد، فولدت بنتًا وأسمتها مريم، هذا ما ورد في القرآن الكريم في سورة آل عمران، حيث قال تعالى: "فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ"[43]، وقد ترعرعت مريم في بيئة صالحة متعبدة، وخطبت شابًا اسمه يوسف، وبينما كانت مريم في صلاتها في الناصرة ظهر لها ملاكٌ وبشرها بحملها بسيدنا عيسى عليه السلام، كما ورد في سورة آل عمران آية 45 – 46 حيث قال تعالى: "إِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ

[41] مصطفى، وليد، مرجع سابق، ص: 13 – 14.
[42] مصطفى، وليد، مرجع سابق، ص: 15 – 16.
[43] القرآن الكريم، سورة آل عمران، آية: 36.

الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ، وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ".[44]

كما ذكر إنجيل لوقا ليلة ميلاد المسيح في الإصحاح الثاني، حيث ورد فيه: "وفي تلك الأيام صدر أمر من أوغسطس قيصر بأن يكتتب كل المسكونة، وهذا الاكتتاب الأول جرى إذ كان كيرينيوس والي سورية، فذهب الجميع ليكتتبوا كل واحد إلى مدينته، فصعد يوسف أيضًا من الجليل من مدينة الناصرة اليهودية إلى مدينة داود التي تدعى بيت لحم".[45]

وعند وصول يوسف وخطيبته مريم للاكتتاب في بيت لحم لم يجدوا مكانًا للمبيت، حيث كانت المدينة لا تتسع لتوافد السكان للاكتتاب، ما دفع يوسف للبحث عن مكانٍ للنوم، فوجد خارج أسوار المدينة في الجهة الشرقية كهفًا بسيطًا به مذودٌ لإطعام الأغنام، فقرر المكوث فيه، وأثناء ذلك أنجبت مريم سيدنا عيسى عليه السلام[46]، وعلى هذا يتفق المسيحيون، أن مكان ميلاده هو مغارة في بيت لحم.

ويذكر الإنجيل قصة الرعاة وظهور ملاك الرب لهم في منطقة سهل الرعاة في بيت ساحور الملاصقة لبيت لحم وتبشيرهم بمولد سيدنا عيسى عليه السلام، "وكان في تلك الكورة رعاةً متبدين يحرسون حراسات الليل على رعيتهم، وإذا ملاك الرب وقف بهم ومجد الرب أضاء حولهم، فخافوا خوفًا عظيمًا، وقال لهم الملاك لا تخافوا فها أنا أبشركم بفرحٍ عظيم يكون لجميع الشعب؛ أنه وُلد لكم اليوم في مدينة داود مخلص هو المسيح الرب، وهذه لكم العلامة، تجدون طفلًا مقمطًا مضجعًا في مذود".[47]

---

[44] القرآن الكريم، سورة آل عمران، آية: 45- 46.
[45] إنجيل لوقا، الاصحاح الثاني، 1-5.
[46] طبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم والملوك (تاريخ الطبري). اعتنى به أبو صهيب الكرمي. الأردن: السعودية: بيت الأفكار الدولية. ص195 .بلا طبعة وتاريخ نشر. ص: 47
[47] إنجيل لوقا، الإصحاح الثاني، 8-13.

وهنا جاء المجوس الثلاثة لرؤية الملك المولود من بلاد الشرق، ووجدوا إشارات ولادة السيد المسيح، وهي الكهف والمذود، كما وجدوه مقمطًا بقماشٍ بالٍ، وقد وردت هذه القصة في إنجيل متى في الإصحاح الثاني وتروي ما حدث بينهم وبين هيرود "ولما ولد يسوع في بيت لحم اليهودية في أيام هيرودس الملك إذا مجوسٌ من الشرق قد جاءوا إلى أورشليم قائلين أين هو المولود ملك اليهود، فإننا رأينا نجمه في المشرق وأتينا لنسجد له، فلما سمع هيرودوس الملك اضطرب وجميع أورشليم معه، فجمع كل رؤساء الكهنة وكتبة الشعب وسألهم أين يولد المسيح، فقالوا له في بيت لحم اليهودية."[48]

"حينئذٍ دعا هيرودس المجوس سرًا وتحقق منهم زمان النجم الذي ظهر، ثم أرسلهم إلى بيت لحم وقال اذهبوا وأفصحوا بالتدقيق عن الصبي، ومتى وجدتموه فأخبروني لكي آتي أنا أيضًا وأسجد له، فلما سمعوا من الملك ذهبوا، وإذا النجم الذي رأوه في المشرق يتقدمهم، حتى جاء ووقف فوق حيث كان الصبي."[49]

"وبعد ذلك انصرف المجوس من طريق آخر مارين بحقل الرعاة شرقًا كي لا يقابلوا هيرود الذي ظنوا فيه شرًا، كذلك هرب يوسف ومريم والطفل إلى مصر من وجه هيرودس الذي غضب من حنث المجوس بوعدهم له بالرجوع إليه، فأمر بقتل أطفال بيت لحم والقرى المجاورة لها من عمر عامين فما دون حتى يضمن موت الطفل الجديد."[50]

[48] إنجيل متى، الإصحاح الثاني، 1-5.
[49] إنجيل متى، الإصحاح الثاني، 7- 10.
[50] بنورة، توما، مرجع سابق. ص: 22-23.

"وعندما رجع يوسف به إلى فلسطين سكن أرض الجليل وعندما كبر المسيح وبدأ بالدعوة، وظهرت معجزاته من إحياء الموتى وشفاء البرص والصرع تبعه جموعٌ كثيرة، وفي نهاية الأمر تكاتل عليه الحساد عند الوالي الروماني حتى صُلب."[51]

كما ورد ذكر ذلك في القرآن الكريم بقوله تعالى: "إِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُون."[52]

2.7 ظهور المسيحية وانتشارها:

في زمن تلاميذ السيد المسيح ظهر العديد من النساك والرهبان الذين نشروا الديانة المسيحية، وهؤلاء هم أول من أسس الأديرة، والتي بدورها حافظت على الديانة طوال فترات الاضطهاد، وانتشرت الرهبنة في بيت لحم وحولها، خاصةً منطقة الصحراء، أو ما كان يعرف بصحراء القدس، أو برية يوحنا المعمدان[53]، وقد مر الامبراطور هدريان ببيت لحم عام 103م، وأمر ببناء معبد للإله أدونيس فوق كهف ميلاد السيد المسيح[54]، ليخفي مكان ولادته ومكان صلبه في القدس، إذ كانت ديانة الامبراطورية الرومانية هي الديانة الوثنية.[55]

استمر الاضطهاد الكبير للمسيحية وأتباعها حتى فترة قريبة من اعتلاء قسطنطين سدة الحكم، ففي عهد الامبراطور دقلديانوس الذي أعاد تنظيم الحكم في الامبراطورية عام 285م بتوجهٍ واضح نحو نظام

---

51 إنجيل متى، الإصحاح 27، 1-50.

52 القرآن الكريم، سورة آل عمران، آية 55.

53 جقمان، حنا عبد الله، (2009): جولة في جغرافية بيت لحم من أقدم الأزمنة حتى اليوم. ملفات بلدية بيت لحم. ص: 10.

54 ابراهيم، ابراهيم خميس وآخرون. (2003): معالم التاريخ البيزنطي السياسي والحضاري. دار المعرة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع، الاسكندرية، جمهورية مصر العربية. ص 37.

55 القيصري، يوسابيوس. (1998): تاريخ الكنيسة. ترجمة القمص مرقس داود. مكتبة المحبة، القاهرة. الطبعة 3. 63

الحكم الفردي مقلدًا الأنظمة الاستبدادية لإعادة استقرار الحضارة اليونانية الرومانية، واعتبر المسيحية خطرًا يهدد هذه الحضارة، فأراد أن يقضي عليها تمامًا، وحاول إعلاء شأن الامبراطورية وحارب المسيحيين الذين ازداد عددهم، وأصدر عدة مراسيم عام 303م تدعو إلى قيام جميع المواطنين بتأدية جميع فروض الديانة الوثنية، وسمي هذا العهد باسم (الاضطهاد الأعظم)، وفي هذه الفترة هدمت الكنائس وحرقت الكتب المقدسة في جميع أنحاء الامبراطورية، وما خفف من وطأة هذه الهجمة هو انشغال الأباطرة بالخطر الخارجي القادم من البرابرة.[56]

وبالتالي فإن التلاميذ ونشرهم لتعاليم المسيحية والبيوت الخاصة للصلاة هي من العوامل التي ساعدت على بقاء الديانة المسيحية وانتشارها، وبقيت المسيحية مضطهدة من قبل الرومان حتى عام 313م عندما أصدر قسطنطين مرسوم ميلان الذي دعا للتسامح الديني، وفي عام 325م أعلن قسطنطين أن الديانة المسيحية هي دين الدولة في مجمع نيقيه.[57]

ومن هنا بدأ العهد الجديد، وجاء قرار الامبراطور ثيودوسيوس الأول الذي أصدر سنة 392م مرسومًا يقضي بمنع العبادة الوثنية، وإغلاق معابدها، وبالفعل تم إغلاق معظمها، وكان ذلك مؤشرًا لنهاية الوثنية.[58]

2.10 نشأة الحضارة البيزنطية ودورها في تبني المسيحية:

كانت الحضارة البيزنطية امتدادًا للحضارة الرومانية في الغرب، وتم اعتبارها جزءًا من الامبراطورية الرومانية القديمة التي امتدت عبر القارات الثلاث (أوروبا، وآسيا، وإفريقيا)، وترامت أطرافها من المحيط الأطلسي حتى الفرات، وكانت تضم في كنفها العديد من الشعوب والأجناس واللغات بفضل حكمة الأباطرة

[56] نسيم، جوزيف. (1984): تاريخ العصور الوسطى الأوروبية وحضارتها. دار الحسن للنشر والتوزيع، عمان، الأردن. ص: 23.
[57] عطية، عزيز سوريال. (2005): تاريخ المسيحية الشرقية. مكتبة المحبة السلسلة: دراسات تاريخية متعمقة، القاهرة، مصر. ص: 61.
[58] الحويري، محمود، (1993): رؤية في سقوط الإمبراطورية الرومانية. القاهرة، مصر. ص: 92.

وقوتهم الدينية والسياسية، وقد بلغت ذروة النجاح والتميز في القرن الثاني الميلادي، ولكنها تعرضت لعوامل أضعفتها وساهمت في انهيارها، حيث ضعفت القوة المطلقة لروما العاصمة. وبمرور الوقت بين عامي 235 و300م أصبحت أولوية الامبراطورية الوحيدة هي محاربة الأعداء والدفاع عن حدودها من الهجمات المستمرة من البرابرة والفرس؛ ونتيجة للحروب المستمرة كان الحفاظ على الجيش مكلفًا للغاية، وأصبحت الامبراطورية مشلولة بالديون، مما أدى إلى إفقار السكان وتشكيكهم بمعتقداتهم الدينية، خاصةً مع ظهور مذاهب جديدة في الشرق.[59]

2.11 الامبراطور قسطنطين والاعتراف بالمسيحية 274 – 337م:

كان قسطنطين ابنًا غير شرعي للقائد العسكري الروماني قسطنطيوس وزوجته المسيحية ذات الأصول الشرقية هيلينا أو هيلانة، وقد اتخذ قسطنطين من الكنيسة حليفًا، مما أدى إلى اتفاق ضمني بين الكنيسة والدولة، وبالتالي انفرد قسطنطين بالسلطة وسيطر على مقاليد الحكم في الدولة الرومانية[60]، وقد اعتبر بعض المؤرخين عام 323م بداية العصر البيزنطي، وهو العام الذي اعتلى فيه الإمبراطور قسطنطين الكبير العرش، وفي عصره حدثت تغيرات دينية واجتماعية هائلة، كما انتصرت المسيحية على الوثنية بعد صراعٍ مرير، وأصبحت المسيحية دين الدولة، وأغلقت كل المعابد، أو حولت إلى كنائس، ونشطت حركة بنائها.[61]

[59] Heather, Peter. (2007):The Fall of the Roman Empire: A New History of Rome and the Barbarians. Oxford University Press, New York, the United States of America. P: 52.

[60] الشوفاني، إلياس، مرجع سابق.، ص: 55.

[61] ابراهيم، ابراهيم خميس وآخرون. (2003): معالم التاريخ البيزنطي السياسي والحضاري. دار المعرة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع، الاسكندرية، جمهورية مصر العربية. ص: 46.

كانت الكنيسة المسيحية هي كنيسة الدولة، والامبراطور هو الرئيس الأعلى لها، وذلك بموجب مرسوم ميلان الشهير 313م، وقد قام قسطنطين ببناء مدينة جديدة سميت باسم القسطنطينية كانت بداية تأسيس الدولة الشرقية المستقلة البيزنطية[62]، وأصدر الامبراطور ثيودوسيوس الأول (379م – 395م) مرسوم القسطنطينية الذي قضى على الوثنية ومنعها، وفي فترة جستنيان (527م – 565م) كانت الضربة القاضية للوثنية عندما أمر بإغلاق مدرسة الفلسفة في أثينا، كما كانت فترة حكمه فترة ازدهار وقوة في تاريخ الامبراطورية البيزنطية، حيث بنيت العديد من الكنائس وأعيد إعمار بعضها مثل كنيسة المهد، وعرفت مباني جستنيان بضخامتها دلالةً على القوة والعظمة.[63]

تأثر الامبراطور قسطنطين بالديانة المسيحية وأراد رفع شأنها، وإقران اسمه بتاريخ الكنيسة، لذلك أمر وبمساعدة والدته في البحث عن مواقع الأحداث الدينية الهامة التي مرت في حياة المسيح، كمكان صلبه، وصعوده، وأوكلت الملكة هيلانة إلى الأسقف مكاريوس أن يحدد مواقع هذه الأماكن، والذي بدوره بيّن للملكة والامبراطور أنه قد تم طمرها وتشييد الهياكل الوثنية فوقها، ولذلك ترأست الملكة هيلانة الحملة بنفسها على فلسطين عام 326م، حيث قادها الأسقف إلى مكان الصليب الذي صلب عليه المسيح، فحفرت الملكة الأرض حتى وجدته، كما عثرت على موضع الجلجة، واستخرجت الحربة التي طعن بها المسيح، كذلك عُثر على تاج الشوك الذي وضعه اليهود فوق رأسه[64]، إضافة إلى العثور على آثار الصلبوت الأخرى، ثم شيدت كنيسة القيامة، مما جعل العالم المسيحي يهتز لهذه الاكتشافات التي وسمت أم الامبراطور بالعظمة والخلود، واقترن اسمها واسم الملك قسطنطين بالاحترام والتقدير في تاريخ الامبراطورية.[65]

---

[62] الشوفاني، إلياس، مرجع سابق.، ص: 33.

[63] نسيم، جوزيف. (1984): تاريخ العصور الوسطى الأوروبية وحضارتها. دار الحسن للنشر والتوزيع، عمان، الأردن. ص: 11.

[64] أمين، أحمد. (2015): العمارة المسيحية المبكرة. مكتبة الاسكندرية، الاسكندرية، مصر. ص: 29.

[65] رأفت، عبد الحميد. (2014): الدولة والكنيسة. دار القباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر. ص: 36.

ومنذ تلك الفترة انتهى اضطهاد المسيحية وبدأت مرحلة سلام وأمن واستقرار، فأظهر قسطنطين اهتمامًا كبيرًا ببناء الكنائس، ففي عام 334م وجه كتابًا للحاكم الإمبراطوري في قرطاجة يشير إلى الحاجة إلى أكبر عددٍ من المهندسين وتشجيع الشباب على دراسة الهندسة والفنون[66]، وقد شيد الكثير من الكنائس خاصةً في فلسطين، ومنطقة بيت لحم التي كانت من أهم المناطق التي انتشرت فيها الكنس والأديرة، والتي ما يزال العديد منها قائمًا، وكذلك أعطى الإمبراطور الأسقف مكاريوس صلاحيات كبيرة لتنفيذ مشاريع بناء كنائس فلسطين.[67]

2.12 مرسوم ميلان وتوطيد المسيحية 313 م:

عانت الديانة المسيحية منذ ظهورها الاضطهاد، وكانت إملاءات التسامح الديني قصيرة المدى وتنتهي بانتهاء النظام، ولكن ظهور مرسوم ميلان أرسى قيم التسامح الديني فعليًا ووطد الممارسة العلنية للعبادة المسيحية، حيث اتفق كل من الامبراطور قسطنطين الأول وليسينيوس[68] عام 313 م على إعلان يؤسس للتسامح الديني داخل الامبراطورية الرومانية، وكان هذا الإعلان وثيقة موجهة من الإمبراطور قسطنطين إلى حاكم نيكوميديا تدعو إلى حسن معاملة أتباع الديانة المسيحية وعدم اضطهادهم، والاعتراف بالمسيحية في الامبراطورية الرومانية والسماح لأتباعها بالتجمع في أماكن عبادتهم، وتركت للناس حرية اختيار العقيدة التي يريدونها، ما فتح الباب للمسيحية على مصراعيه ويضمن حقوقهم القانونية مثل الحق في إنشاء الكنائس، فقبل عام 313م لم يعرف سوى القليل عن أماكن عبادتهم، إذ كانت عبارة عن غرف في

[66] Krautheimer, R. Early Christian and Byzantine Architecture. Penguin Book. P: 24.

[67] Patrich, J. (2006): Early Christian Churches in The Holy Land. Christians and Christianity in the Holy Land From the Origins to the Latin Kingdoms. Turnhout : Brepols. P: 74.

[68] ليسينيوس (308م – 324م) هو امبراطور روماني كان يحكم في الجزء الشرقي من الأمبراطورية، وكان منافسًا لقسطنطين، وشارك في مرسوم ميلان.

البيوت خصصت لخدمات الجنازة، وأماكن معيشة رجال الدين، والدراسة، ويعتقد أن أسماء الكاتدرئيات المسيحية ال25 الموجودة في روما اليوم هي أسماء البيوت الخاصة التي تأسست فيها في تلك الفترة.[69]

2.13 الفترة البيزنطية المبكرة وتمايز التصميم السكني (330م- 636م)

يعتبر عهد الامبراطور قسطنطين هو بداية الفترة البيزنطية، وعندما بدأ بناء عاصمته الجديدة على مضيق البسفور جمع الكثير من الحرفيين لهذا الغرض، وكان غالبيتهم من روما، لذلك غلب الفن الروماني على البناء المسيحي المبكر، حيث تم إنشاء التماثيل الشخصية للأباطرة كما في العصور الوثنية، وكذلك نحت التوابيت، واستخدام الفسيفساء الأرضية، والأعمال المصنوعة من العاج والمعدن احتفظت بطابعها الروماني الأساسي، كما ظهرت هندسة الأقواس والأقبية والقباب المصنوعة من الطوب، والزخرفة النحتية، ولكن مع وجود العاصمة الجديدة بالقرب من آسيا الصغرى وسوريا فلم تلبث أن تأثرت بها من حيث الأفكار الفنية المختلفة، وسرعان ما استقل الفن الجديد عن الفن الروماني، وأخذت العمارة الكنسية في التقدم بشكل كبير في تلك المناطق بين القرنين الرابع الميلادي والسابع الميلادي، واعتمدت الفنون البصرية منحى التعبير والشكليات بدلًا من الطبيعة المثالية للفن الكلاسيكي.[70]

تم تصميم العاصمة الجديدة بعناية حيث وجدت فيها المباني العامة، والجدران، وميادين سباق الخيل، والشوارع المقنطرة، والقصر الامبراطوري، وقد اعتمدت الهياكل الدينية نوعين رئيسين من التصميم وهما البازيليكا الطويلة والمباني المركزية، حيث تشكل التصميم الأول من ثلاثة أروقة مخصصة للعبادة الجماعية، بينما كان التصميم الثاني على شكل دائرة أو مربع أو مثمن الأضلاع، وقد تم العثور على كلا التصميمين

[69] Treadgold, Warren. (1997): A history of the Byzantine State and society. Stanford University Press, Claifornia, the United States of America. P: 25.
[70] Treadgold, Warren. (1997). A history of the Byzantine State and society. Stanford University Press, Claifornia, the United States of America. P: 14.

بشكل واسع برغم وجود اختلافات محلية، كما تم مزج التصميمان وتشكيل تصميم جديد ومميز لكنيسة الامبراطورية البيزنطية خاصة في منطقة شرق البحر الأبيض المتوسط في القرن الخامس الميلادي، إذ اعتمد تصميم البازيليك ذو الحنية الشرقية مع ثلاثة أروقة، ولكن المبنى المركزي كان شبه مربع على عكس تصميم البازيليك المستطيل الشكل[71]، إضافةً إلى وجود منحوتات منخفضة الارتفاع تزين الواجهة، وتستخدم زخارف رسمية، على عكس المنحوتات الرومانية عالية الارتفاع واستخدامها للصور بأشكالها الطبيعية، وقد تميزت هذه الهياكل بشكل السقف وهو القبة، بحيث ترتكز القبة على قاعدة مثمنة أو مربعة الأضلاع.[72]

اعتلى جستنيان عرش القسطنطينية عام 527 م، وكان يهدف إلى استعادة أراضي الامبراطورية الغربية من سيطرة الغزاة البرابرة، حتى يحكم امبراطورية رومانية موحدة من العاصمة القسطنطينية، ولعل أهم أعماله إصدار القوانين التي عرفت بقوانين جستنيان، حيث أعاد صياغة القوانين الرومانية وتنميتها لحماية الناس.[73]

ومن أعماله القيام بتمويل العديد من مشاريع الأشغال العامة، وبناء الجسور والطرق والقنوات، وبناء الكنائس في جميع أنحاء الامبراطورية والمدارس، وعمل على بناء بئر لتخزين المياه تحت الأرض لتلبية احتياجات الناس، وتعتبر إعادة بناء كنيسة آيا صوفيا هي أفضل إنجازات جستنيان على الإطلاق، كما اعتبر راعيًا للفنون وداعمًا للفنانين، فصنعوا المجوهرات والحلي من الذهب والفضة، ولوحات الفسيفساء الكبيرة، والأيقونات المختلفة.[74]

[71] Treadgold, Warren. P.r. P: 21.
[72] Treadgold, Warren. P.r. P: 32.

[73]Baker G. P. P.r. P: 23.
[74] Baker G. P. P.r. P: 74.

الفصل الثالث: مراحل تطور التخطيط المعماري للكنائس الشرقية (شرقي بيت لحم)

3.1 الإطار التاريخي للتطور المعماري للكنائس البيزنطية

3.2 أنماط الكنائس

3.3 العناصر المعمارية للكنيسة البيزنطية

الفصل الثالث

3.1 الإطار التاريخي للتطور المعماري للكنائس البيزنطية:

حوّل هادريان مغارة المهد إلى مزار وثني، ومنذ عهده وحتى عهد قسطنطين كان الناس يعبدون أدونيس في المغارة حيث ولد السيد المسيح[75]، وبالتالي كانت فلسطين وثنية، وظل المجتمع المسيحي صغيرًا نسبيًا حتى عام 312م عندما اعتنق قسطنطين الديانة المسيحية كدين للدولة، وعليه تم بناء الكنائس على نطاق واسع، وحصل تغيير جذري في عمارة الكنائس[76]، وكانت ممارسة الطقوس الدينية تتم في الخفاء وفي السر[77] ؛ كما كانت العبادة المسيحية تقام في بيوت المؤمنين.

بالإضافة إلى ذلك، كانت أعداد المسيحيين في تلك الفترة قليلة في المكان الواحد، وكانوا ينتمون إلى الطبقات الفقيرة، ومع العداء المستمر وأعمال العنف والاضطهاد التي خلقت توترًا في إنشاء مباني العبادة، لذلك كان الهدف أن يحافظ المسيحيون على وجودهم، ومن هنا ظهرت (الكنيسة البيت) التي تتوافق تمامًا مع تعاليم المسيح، وعليه فقد اجتمع المسيحيون الأوائل في البيوت لتجنب الممارسات الوثنية للمعابد اليونانية والرومانية.[78]

[75] Finegan, J. (1969): Light from the Ancient Past, Vol. 1: The Archaeological Background of the Hebrew-Christian Religion. Princeton: Princeton University Press. P: 49.

[76] Finegan, J. (1992): BETHLEHEM. In The Archeology of the New Testament: The Life of Jesus and the Beginning of the Early Church. (pp. 22-43). PRINCETON, NEW JERSEY: Princeton University Press. Retrieved August 18, 2021, from http://www.jstor.org/stable/j.ctt7ztgb0.13 . P: 65.

[77] Dreyer, W.A. (2012): The Amazing growth of the early church. HTS Teologiese Studies. P: 69.

[78] Arterbury, A.E. (2005): Entertaining angels: Early Christian hospitality in its Mediterranean setting, Phoenix Press, Sheffeld. P: 12.

وحقيقةً إن كلمة (كنيسة) كانت تشير إلى فعل التجمع وليس المبنى نفسه لدى المسيحيين الأوائل، حيث كان المسيحيون يجتمعون حيثما أمكنهم ذلك، وغالبًا في بيوتهم مثل بيت بطرس، أو في البراري والحقول، واتخذت هذه البيوت أشكالًا مختلفة، وذلك حسب البيت المتوفر، وكان يتم إجراء بعض التعديلات حتى تقوم بوظيفتها الجديدة، واستمر استخدامها خلال القرن الثالث الميلادي حتى الربع الأول من الرابع الميلادي.[79]

وقد كانت الممارسة الاجتماعية في الكنيسة الأولى تعبر عن العائلة الواحدة المتماسكة في البيوت، فبدلًا من أن يكون هناك مجموعة من العائلات المؤمنة كانت الكنيسة بأفرادها المؤمنين من العائلات المختلفة عبارة عن عائلة واحدة كبيرة ومتماسكة، تشكل جزءًا من حياة بعضهم بعضًا، وتلتقي مرة أو مرتين أسبوعيًا في خدمة الكنيسة، ودراسة تعاليم المسيح، وتتقاسم ممتلكاتها، وتقدم القربان المقدس وتكسر الخبز، وتصلي. وقد ذكر في سير القديسين أن القديس بولس بقي لمدة عامين يستقبل أتباعه في منزله لإقامة الصلوات وإلقاء المواعظ، وبذلك شكلت الكنيسة البيت مجتمعًا منظمًا مؤمنًا قياديًا يهدف إلى خدمة احتياجات الكنيسة مثل احتياجات الأرامل، والتمكين الروحي والمالي واللوجستي والاقتصادي، وبذلك عملت الكنيسة على تحويل نفسها من كنيسة مضطهدة إلى مؤسسة قوية وديناميكية من خلال الشراكة بين أعضائها والاعتماد على إيمان الأفراد ليحافظ على تماسكها في خدمة الكنيسة.[80]

كشفت حفريات مدينة الصالحية الواقعة على طريق القوافل في الصحراء قرب نهر الفرات عن أقدم بناء (لبيت–كنيسة) في الشرق، ويعود إلى ما قبل 256م، وأهم مكان فيه هو صالة صغيرة رُفع جزءٌ من

[79] Chadwick, H., (1967) 1986: The early church. Pelican, Harmondsworth. P: 73.
[80] Viola, F. & Barna, G. (2008): Pagan Christianity ?: Exploring the roots of our church practices, Tyndale House Publishers Inc., Carol Stream, Il. P: 51.

أرضيتها كمكان لراعي الكنيسة أو مكان للمذبح، وقد احتوت نهاية القاعة الشرقية على منصة بأبعاد 1.44×1.8م استخدمت لجلوس الأسقف، وكان هذا مثالًا مبكرًا على اتجاه الكنيسة، وفي القاعة كانت تتم الصلاة، كما تم تحويل الغرفة الشمالية الغربية إلى معمدانية احتوت في نهايتها الغربية على حوض ماء للتعميد، وغرف أخرى لإقامة القسيس وللمخازن، وفي مدينة ترير الألمانية (Trier) وجدت صالة كبيرة المساحة نسبيًا وبسيطة التصميم، وفي أكويليا (Aquileia) الواقعة في شمال إيطاليا والمبنية عام 314م وجدت صالة صلاة ذات أبعاد 37×17.5م ، وبها أعمدة لحمل السقف، وفي شمال شرق سوريا في كنيسة قلب لوزة أو كرك بيزة (Kirk Bize) وجدت كنيسة بيت تتبع لفيلا، وكانت صالة مستطيلة سقفها جملون وبدون أعمدة، وفي أرضيتها جزء مرتفع.[81]

أما أول ذكر للكنيسة في فلسطين فكان غير مباشرٍ في وثيقة للمؤرخ أيوسبيوس في كتاب شروحات الأناجيل ويذكر عن زمن حصار الامبراطور هدريان عام 135م أن في القدس كنيسةً عظيمة[82]، ويواجه الأثريون صعوبةً في الكشف عن الكنائس المبكرة لأنها متواضعة ويصعب تمييزها عن البيوت الأخرى في المدينة، إضافةً إلى تدمير معظمها وخاصةً في زمن الامبراطور ديوقلديانوس 305م، كما تم استبدال معظم الكنائس الأولى بكنائس بنيت مكانها وأطلق عليها نفس الاسم القديم. وقد تم العثور على كنيسة بيت أسفل كنيسة في مدينة كفر ناحوم شمال فلسطين على ضفاف بحيرة طبريا تعود إلى القرن الخامس الميلادي، ويعود البيت حسب التقاليد إلى القديس بطرس[83]، وقد احتوى بداخله على قاعة اجتماعات وهي عبارة عن

[81] مصطفى، صالح لمعي. (1983): نظرة على الحضارة الأوروبية. دار النهضة العربية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان. ص:26.
[82] خميس، سامح فؤاد. (1995): الكنائس البيزنطية المركزية في الأردن. أطروحة ماجستير غير منشورة. الجامعة الأردنية. ص: 27.
[83] مصطفى، صالح. مرجع سابق. ص: 18.

غرفتين تم فتحهما على بعضهما، وفي القرن الرابع الميلادي أعيد ترتيب البيت وأحيط بجدار خارجي إلى أن هدم في النصف الثاني من القرن الخامس الميلادي وتم بناء كنيسة ثمانية التخطيط مكانه.[84]

3.2 أنماط الكنائس:

لم يهتم أتباع الديانة المسيحية في العقود الأولى للمسيحية بإنشاء كنائس، ولقرون عديدة كانت أساليب بناء الكنيسة قد قادت الطريق للابتكار المعماري، والذي بدوره أثر على شكل المدن لأن الكنيسة في الأساس ظاهرة حضرية[85]. وبشكل عام بدأت نشأة الكنائس بغرفة صغيرة، ثم بيت بأكمله، وأخيرًا شيدت المباني المستقلة المعروفة باسم اكليسيا أو الكنيسة، إلا أن بناء الكنائس فعليًا قد تم مع قدوم الملكة هيلانة إلى فلسطين إثر حملتها عام 326م على الأراضي المقدسة[86]، ومن الجدير بالذكر أن الكنائس في القرن الرابع الميلادي لم تكتف بالعمارة البسيطة وإنما تطور تصميمها ولكن مع الحفاظ على النمط المعروف وجوهر الكنيسة.[87]

كان الشكل التقليدي للكنائس يقوم على وجود قاعة بسيطة تحتوي على رواق داخلي بسيط، إلا أنها تبعت بناء القصور الذي تطلب الفخامة والتعقيد فيما بعد؛ فرفع فوق الرواق قبة أضفت طابع العظمة على الكنيسة، وكان لا بد للقبة أن تبنى على مربع في البداية، ولكن مع انصرام القرن الخامس الميلادي كان هناك طرق أفضل لبنائها فاستخدمت الأكتاف الكروية، وهي مثلثات ترتفع من أركان المربع وتنحني إلى الداخل وتجتمع على شكل دائرة؛ وقد استحدثت طريقة الأركان المحرابية من خلال قبوات الحنايا الصغيرة في

---

[84] خميس، سامح فؤاد، مرجع سابق. ص: 33.

[85] BIRNBAUM, R., & OVADIAH, A. (1990): A Greek Inscription from the Early Byzantine Church at Apollonia. Israel Exploration Journal2/3), 182-191. Retrieved August 18, 2021, from http://www.jstor.org/stable/27926182

[86] جقمان، حنا عبد الله. (1994): جولة في تاريخ الأرض المقدسة من أقدم العصور حتى سنة 1800م. بيروت، لبنان. ص: 14.

[87] Yonah, Avi. (1977): The Encyclopedia of Archaeological Excavations in the Holy Land. Prentice-Hall, New Jersey, the United States of America. P: 57.

زوايا المربع، ومن الجدير بالذكر أن القباب هي طابع شرقي في عمارة الشرق وقد استخدمته الحضارة البيزنطية في بنائها.[88]

وقد وجدت عدة أنماط للكنائس في العصر البيزنطي، وهي على النحو التالي:

3.2.1 الكنيسة – البيت: أو البيت – الكنيسة، كانت المسيحية كما ذكر سابقًا مضطهدة، لذلك كان أتباع الدين الجديد يتعبدون في بيوت خاصة، أطلق عليها اسم الكنيسة – البيت، ولم يكن هناك طراز معماري محدد للبناء في تلك الفترة، فقد كانت بيوتًا متواضعةً لا يمكن تفريقها عن البيوت السكنية[89]، وإنما عبارة عن قاعاتٍ أو غرف في المنازل يجتمع فيها المؤمنون لممارسة عباداتهم وطقوسهم، وقد كانت ملكيتها تعود لأفراد من الجماعات نفسها[90]. ثم تدرج الأمر لاستخدام منزلٍ بأكمله بحيث يتم تكريسه كله للعبادة، ثم تعديله بما يتناسب مع الاحتياجات، وكانت لا تختلف عن غيرها من المنازل المجاورة في التصميم أو العمارة، وعادةً ما كانت تقع في أطراف المدينة أو القرية، أو بالقرب من أسوارها، وقد ازدهرت عمارة الكنائس وبدأت بالتطور الحقيقي بداية القرن الرابع الميلادي خاصةً بعد مرسوم ميلان.[91]

كان الانتقال من الكنيسة – البيت إلى كنيسة البازيلكا انتقالًا غير مفهوم للكثيرين، فالنموذج البازيليكي هو التصميم المعماري الذي انتشر بعد قسطنطين والذي يدل على مكانة الديانة المسيحية الجديدة ومحاولة إثبات وجودها من خلال الهندسة المعمارية.[92]

---

[88] BIRNBAUM, R., & OVADIAH, A. (1990): A Greek Inscription from the Early Byzantine Church at Apollonia. Israel Exploration Journal2/3), 182-191. Retrieved August 18, 2021, from http://www.jstor.org/stable/27926182

[89] Lassus, J. (1967): The Early Christian and Byzantine Architecture. Penguin Book, Harmondsworth, Middlesex, England. P: 85.

[90] Fitts, R. (2001): The Church in the House a Return to Simplicity. Preparing the Way Publishers. P: 9.

[91] Stark, R., (2007): Discovering God: The origins of great religions and the evaluation of belief. Harper Collins, New York. P: 26.

[92] مصطفى، صالح. مرجع سابق. ص: 39.

كما يمكن ملاحظة تأثير الحضارة الرومانية على العمارة المسيحية، حيث فرض تصميم المنازل الرومانية نفسه بسهولة تلبيةً لاحتياجات طقوس العبادة إلى أن أصبحت (الكنيسة – البيت) مبانٍ تقوم بوظيفتها الخاصة ولم تعد ملكًا لأفراد بعينهم، ويعود هذا إلى نمط العبادة الجماعية التي أدت إلى تطوير البيوت بما يتناسب مع المتطلبات الجديدة، حيث تكوّن البيت المستخدم ككنيسة على طابقين، وفيه غرف عديدة، استخدم الطابق العلوي للسكن في حين استخدم السفلي ككنيسة[93]، ومن الأمثلة على وجود هذا النمط بيت كنيسة شيد خلال القرن الأول الميلادي في مدينة كفر ناحوم، ثم تحول إلى كنيسة عامة تعود للقرن الخامس الميلادي فيما بعد.[94]

3.2.2 كنيسة البازيلكا:

بازيليكا أو باسيليكا، وهي كلمة يونانية كانت تطلق على عدة أبنية منها قاعة الاجتماعات الملكية في العصر الهلينتسي، ومنزل الملك في العصر الروماني، والصالة العامة الكبيرة، وكانت تستخدم في العصر الروماني بالقرب من أماكن التجارة والقضاء لاتساعها واستيعابها لأعداد كبيرة من الناس. وبعد انتشار الديانة المسيحية استخدمت لإقامة الصلاة وممارسة الشعائر والطقوس، وذلك لكبر حجمها واتساعها لمئات المصلين.[95]

وعلى مر السنين أصبح هذا النمط هو أحد أهم أنماط الكنائس البيزنطية وأكثرها شهرةً، ويتكون شكل البازيليكا المعماري من قاعة أو ردهة أو صالة مستطيلة الشكل تنتهي بحنية ويفصل بينهما عقد كبير، ثم

---

[93] Grabar, A. (1968): Early Christian Art from the Rise of Christianity to the Death of Theodosius. Odyssey Press, New York. P: 62.
[94] Corbo, V. (1993): The Churches of the House of St. Peter at Capernaum. In: Tsafrir, Y. ed, Ancient Churches Revealed. Israel Exploration Society. Jerusalem. P: 71.
[95] Swift. P: 448.

أضيف إلى جانبي الردهة جناحان أو رواقان جانبيان، ومدخل الكنيسة، ويفصل بين هذه الأجزاء أعمدة، وتغطى بسقف خشبي، وجدرانها مليئة بالرسومات والزخارف والفسيفساء والرخام، وتحتوي على حنية شرقية كبيرة، وقد كان للمبنى البازيلكي سقف ذو قبة وجدران تحتوي على صف واحد أو صفين من النوافذ الضخمة، وقبلته نحو الشرق.[96]

كان لاستخدام التصميم البازيليكي دور بارز في إضفاء الهيبة على الديانة المسيحية في الإمبراطورية الرومانية، فبعد عام 312م أضحى هذا التصميم يضاهي مستوى المباني العامة في الامبراطورية، إذ اعتبرت قبل ذلك غير مناسبة للعبادة، وقد ويرجع ذلك جزئيًا لدلالاتها الوثنية، حيث ظهر التصميم كنتيجة مباشرة لسياسة الامبراطور قسطنطين التي أعقبت مرسوم ميلان، وقد اعتمد هذا التصميم على الأشكال القياسية للعمارة العامة في روما والمستمدة من القاعات المدنية والقصور والعمارة الكلاسيكية للأعمدة، حيث استخدمت هذه العمارة لتتناسب مع الوضع الاجتماعي الجديد للكنيسة المسيحية تحت رعاية الامبراطور، فأصبح هناك حضور عام للمسيحية وأصبح جزءًا لا يتجزأ من البيئة الحضرية التي نمت فيها المسيحية وازدهرت خلال القرون الأولى الميلادية.[97]

ومن أهم الأمثلة على استخدام نمط البازيليكا في فلسطين كنيسة المهد التي تتميز بوجود ردهة كبيرة تحتوي على خمسة أروقة طولية يفصل بينها أربع مجموعات من الأعمدة، وينتهي الرواق الأوسط بعنصر معماري مثمن يحتوي على المغارة التي ولد فيها المسيح عليه السلام. كذلك كنيسة خربة أم العمد، وكنيسة

[96] أمين، مرجع سابق. ص: 38.
[97] مصطفى، صالح. مرجع سابق. ص: 61.

خربة الدير، والكنيستين الشرقية والوسطى من كنائس هيروديوم، وتقع جميعها في محافظة بيت لحم، كما وجد التصميم البازيلكا في الكنيستين الشرقية والغربية في خربة الطيرة غرب مدينة رام الله[98].

3.2.3 كنيسة الكهف:

ظهر نوع جديد من الكنائس بجانب الأديرة المنتشرة في صحراء بيت لحم في الفترة البيزنطية وسميت بالكنيسة الكهف، وقد اشتهرت بها برية بيت لحم لاحتوائها على الكثير من الوديان والكهوف الطبيعية، والتي استغلها الرهبان للعبادة، وأضافوا عليها حتى تصبح كنائس ثم أديرة متكاملة، ومثالها خربة الدير التي تقع جنوبي قرية تقوع، وأيضًا كنيسة الرعاة، وكذلك دير مار سابا في محافظة بيت لحم.[99]

3.2.4 الكنائس ذات الشكل الصليبي:

ساد اعتقاد أن الكنيسة التي تبنى على شكل صليب تُجسد هيئة السيد المسيح المصلوب، أو أن الصليب هو المخلص، وبالتالي فالكنيسة سوف تخلص المؤمنين كما الصليب، وغالبًا ما يكون التصميم الداخلي للكنيسة على هذا الشكل، بحيث يكون الشعاع الرأسي للصليب هو الرواق الأوسط، ويكون الشعاع الأفقي وتقاطعه هو البيما والمذبح.[100]

[98] Al-Houdalieh, Salah & Others. (2016): Palestinian Mosaic Art International Conference. 11 – 13 May 2016 Jericho – Sebastia – Bethlehem (Palestine). Studio Alpha, Al Ram, Palestine. P: 16.

[99] Hirschfeld, Yizhar. (1999): The Early Byzantine Monastery at Khirbet ed-Deir in the Judean Desert: The Excavations in 1981-1987. Institute of Archaeology, the Hebrew University of Jerusalem . P: 26.

[100] أبو بكر، جلال. (2011): الفنون القبطية. مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر. ص: 19.

كما يمكن أن يكون تخطيط الكنيسة على شكل صليب بحيث تتشكل من كتلة مركزية مربعة وأربعة أذرع متساوية الطول، وأربعة أجنحة متساوية الحجم من منطقة عبور مركزية مربعة مقببة، ولعل أشهر مثال على هذا الشكل هو كنيسة آيا صوفيا في القسطنطينية[101]، وكنيسة دير ابن عبيد في محافظة بيت لحم.

3.2.5 الكنائس ذات الشكل المربع:

إن بناء كنيسة على شكل مربع أو مستطيل أعقد من بنائها على نمط الصليب وذلك لأن الأمر يتطلب وجود شكل صليب داخل المربع بحيث تبرز الحنية خارج الجدار الشرقي للكنيسة، وكان يرمز للجوانب أو الزوايا الأربعة بأركان الأرض الأربعة وفقًا للحضارة المصرية القديمة، كما يفتقر هذا النوع من الأنماط إلى الحيوية على الرغم من دوره في تاريخ العمارة، فقد كان الشكل المستطيل الأول من نوعه للنمط البازيلكي، والذي وجد بدايةً في بلاد الشرق، وقد كانت أسقف هذه الكنائس مقببة وليست مسقوفة بالخشب.[102]

وعلى الرغم من أن البناء البازيلكي هو له أربعة جدران أساسًا إلا أنه لم يرض المصممين المعماريين والمهندسين، فقد كانوا يتوقون لما هو أفخم، وسرعان ما تم اكتشاف تقاطع زوايا بشكل مختلف في مبنى البازيلكا لينطلق من الشكل الرباعي المعتاد إلى ما هو أعقد ليرضي أذواق المهندسين والأباطرة المهووسين بالضخامة والروعة المفرطة، وفي عهد قسطنطين فقد بنيت الكنائس الرباعية وخدمت ما يقارب اثنا عشر قرنًا قبل أن تتعرض للهدم وإعادة البناء في عصر النهضة[103] ، ومن أمثلتها الكنيسة الشمالية من كنائس هيروديوم في محافظة بيت لحم.

---

[101] أبو بكر، جلال. مرجع سابق. ص: 19.

[102] Kuilman. 1947. P: 75

[103] Kuilman 1947. p: 78

3.2.6 الكنائس ذات الشكل المثمن:

ظهر هذا النمط في بداية القرن الرابع الميلادي، وهو بشكل مثمن أو شكل نجمة، تعبيرًا عن أن الكنيسة تجلب الضوء والنور إلى العالم. وللرقم ثمانية خصوصية في المسيحية بحيث يعبر عن قيامة المسيح بعد ثمانية أيام، وكذلك يعبر عن مياه المعمودية. وتمتلك الكنيسة ثمانية أضلاع متساوية، وتنتهي بالنارثكس[104]. ومن أمثلتها كنيسة المهد في عهد قسطنطين.

ومن الجدير بالذكر أن قبة الصخرة في القدس تعتبر أول مبنى ديني ذو مخطط مثمن الشكل في العمارة الإسلامية، فقد أمر ببنائها الخليفة الإسلامي عبد الملك بن مروان[105] (646م – 705م)، وهي مثمنة من الخارج ودائرية من الداخل.[106]

3.3 العناصر المعمارية للكنيسة البيزنطية

من المعروف أن العمارة المسيحية في عصرها الأول لم تتخذ طابعًا خاصًا أو شكلًا معينًا له خصائص معمارية، ولكن بعد فترة طويلة من انتشار المسيحية أصبحت العمارة البيزنطية ذات ميزات خاصة، ومن هذه الميزات العناصر المعمارية التي تتشابه في كنائس العالم من حيث الوظيفة، مع الاختلاف في الشكل أو الصفة أو الموقع داخلها، وترتبط وظيفة العناصر المعمارية في الكنيسة حقيقةً بالطقس المقدس الذي يتم تنفيذه داخلها من حيث أبعاده المادية والرمزية، وبالتالي ضرورة وجود عناصر تتلائم مع هذه

[104] https://www.hisour.com/ar/octagonal-churches-in-norway-33005/

[105] عبد الملك بن مروان هو الخليفة الإسلامي الخامس من خلفاء بني أمية، والمؤسس الثاني للدولة الأموية، ولد عام 26 هـ/ 646م، وتوفي عام 86 هـ/ 705م، واستمرت فترة حكمه 20 عامًا.

[106] Darwish, Mahmoud Ahmed. (2016): The Architectural Octagonal Planning (Dome of the Rock and European Churches). ***The Journal of International Academic Research for Multidiscilinary***. Impact Factor 2.417, ISSN: 2320-5083, Volume 4, Issue 8. P:1.

الطقوس خلال تأدية الصلاة العامة والتي يشارك فيها الجمهور والمشاهدون لها حدٍ سواء[107]، ومن أهم العناصر التي اشتركت فيها الكنائس البيزنطية ما يلي:

3.3.1 الهيكل (البيما)

وهو غالبًا جزء ثماني الأضلاع، ويعتبر المنطقة المقدسة في الكنيسة والذي اقتصر استخدامه على رجال الدين خلال الاحتفال بالطقوس المسيحية، حيث يؤدون الفعل الدرامي في الصلاة الجماهيرية، ووفقًا للمجالس المسكونية فهو يعتبر وحدة مغلقة ومخصصة لرجال الدين فقط، ويحتل دائمًا القسم الشرقي من الكنيسة، وأرضيته مرتفعة قليلًا عن أرضية الكنيسة بمقدار درجة إلى خمس درجات، ومحددة بواسطة حاجز الهيكل[108]، وبدايةً كانت الهياكل طويلة وعميقة وتمتد إلى الداخل، ولكن في القرن السادس الميلادي ظهر نوع جديد من الهياكل الذي اتخذ شكلًا مستعرضًا غطى الجزء الشرقي بشكل كامل، وفصل عن جسم الكنيسة بحاجز الهيكل بشكل مستقيم يمتد من الجدار الشمالي إلى الجدار الجنوبي[109]، وقد وجد هذا الحاجز في كنيسة المهد قبل إزالته في القرن التاسع عشر الميلادي[110] (صورة 1).

3.3.2 حاجز الهيكل

وهو حاجز منخفض يفصل منطقة الهيكل المقدسة عن باقي أجزاء الكنيسة، أي أنه يفصل رجال الدين عن المصلين، ويتكون من من أعمدة قصيرة بينها ألواح، مثبتة في أرضيتها، وهي مصنوعة إما من

---

[107] قاقيش، رنده فؤاد. (2007): عمارة الكنائس وملحقاتها في الأردن في العهدين البيزنطي والأموي: دليل ودراسة تحليلية. دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع، عمن الأردن. ص: 144.

[108] Habas, Lihi. (2008): "The Art of Imported Marble Chancel Screens and its Influence onLocal Production in the Churches of the Provincesof Palaestina and Arabia: A Case Study". SOMA 2008: Proceedings of the XII Symposium on Mediterranean Archaeology, Famagusta, North Cyprus, 5-8 March 2008, pp 100-108. ArchaeopressPublishers of British Archaeological Reports, England. P: 100.

[109] قاقيش. مرجع سابق. ص: 145.

[110] Butler, H. C. (1929): Early Churches of Syria. Princeton University Press, New Jersy. P: 36.

الخشب أو الحجر، وعادةً ما زينت الأعمدة بإطار غائر أو أكثر، وتعلو الحاجز كتلة شبه كروية، أما الألواح فقد نحت فيها أشكال صلبان محاطة بإكليل غار على جانبي الصليب[111]. وحقيقةً عمل الحاجز هو الفصل بين المشهد الطقسي وبين الجمهور سواء كان ماديًا أو رمزيًا، وليضفي تأثيرًا دراميًا على تنفيذ الطقوس، كما يقع وراءه المذبح والمذاخر التي تحتوي على رفات القديسين والشهداء وذخائرهم، والتي يتم تقديسها بشكل لا متناه، وقد رافق وضع هذا الحاجز رفع منطقة المحراب والخورس[112] عن مستوى أرضية الكنيسة بدرجة أو درجتين، ويعتقد أنه تم وضع الحواجز منذ القرن الرابع الميلادي وفقًا للمؤرخ (يوسيبيوس)، كما وجد بكثرة في الكنائس البيزنطية في فلسطين خاصةً نمط البازيليكا، وما زال موجودًا حتى الآن في كنيسة المهد[113] (صورة 2).

3.3.3 الحنية

وهي تجويف نصف دائري في النهاية الشرقية للكنيسة مسقوف بقبة نصف دائرية، وغالبًا ما تتخذ شكل درج نصف دائري مكون من درجة أو درجتين أو ثلاث وأكثر، وبعض الكنائس لها ثلاث حنيات، بارزة للخارج كما في معظم الكنائس[114]، وتحتوي الحنية على مقاعد رجال الدين، التي يتوسطها مقعد الأسقف الذي يرتفع قليلًا عن المقاعد الأخرى[115]، وتكاد لا تخلو أي كنيسة من الحنية (محراب الكنيسة) ومن الأمثلة عليها كنيسة المهد، وكنيسة أم العمد، وكنيسة حقل الرعاة (صورة 3).

---

[111] Smith, R. H. & Day , L. P. (1989): Pella of Decapolis. The College of Wooster, Ohio, Vol. 2. P: 14.

[112] الخورس: كلمة يونانية معناه الحرفي صف، ومعناها الاصطلاحي قسم من أقسام الكنيسة، وخورس الكنيسة يقسم إلي ثلاث أقسام خورس المرتلين الذين يجلسون أمام الهيكل، وخورس المؤمنين، وخورس الموعوظين.

[113] خميس. مرجع سابق. ص: 25.

[114] Armstrong, G. T. (1990): Apse, Encyclopedia of Early Christianty. Garland Publishing, New York and London. P: 78. .

[115] خميس. مرجع سابق. ص: 15- 16.

3.3.4 المذبح

وهو عبارة عن طاولة من الحجر أو الخشب تقام عليها الشعائر الدينية خلال الاحتفال الديني، ويقع المذبح داخل منطقة المحراب أو خارجها ضمن منطقة الخورس على امتداد محور الحنية، ومن أشكاله المذبح الرباعي الذي يستند على أربعة أعمدة أو قوائم، وهذا الشكل من أقدم الأشكال وأولها، وقد وجد في كثير من الكنائس، مثل كنيسة خربة الدير، ومن أشكاله أيضًا الثماني أو الدائري. وكانت صناعة المذبح حتى النصف الثاني من القرن الرابع الميلادي من الخشب، ثم تطورت لاحقًا لتكون من الحجر، والعاج، والمعادن الثمينة مثل الذهب، فقد أهدى الإمبراطور قسطنطين مذبحًا مصنوعًا من الذهب والفضة لكنيسة القيامة في القدس[116]، ويوجد المذبح في كنيسة المهد أيضًا (صورة 4).

3.3.5 المظلة فوق المذبح

تعلو المذبح مظلة تتكون من أربع قوائم حجرية أو خشبية تحمل القبة، وتغلف أحيانًا من الجوانب بستائر، ويعتقد أنها وجدت في القرن الرابع الميلادي، وقد ذكرها الجغرافي ياقوت الحموي عند حديثه عن كنيسة القسيان في أنطاكية[117]، كما عثر عليها في الكنائس ضمن الدراسة مثل كنيسة المهد (صورة 5).

3.3.6. مقاعد رجال الدين

وصفها (يوسيبيوس) بأنها عروش تتناسب مع عظمة رجال الدين، وهي مقاعد داخل الكنيسة، ولها نماذج عديدة، وكذلك نماذج مختلفة للأدراج التي تحملها، وقد وجدت هذه المقاعد في مختلف كنائس المدن والأرياف في فلسطين، وفي أنماط العمارة المختلفة سواء البازيليكا أو القاعة أو الكنائس المركزية، وكان من

[116] أمين. مرجع سابق. ص: 56.

[117] Sahas, D. J. P. R. p: 27 -29.

المتعارف في عمارة الكنائس والمباني الكلاسيكية جلوس أهل المنطق والقضاة في مكان مرتفع ليتميزوا عن المرافقين في المجلس[118] (صورة 6).

3.3.7 المقاعد الجانبية

وهي المقاعد المصفوفة على امتداد جدار واحد أو أكثر من جدران الكنيسة من الداخل، وقد وجدت هذه المقاعد في مختلف كنائس المدن والأرياف في فلسطين، وفي أنماط العمارة المختلفة سواء البازيليكا أو كنيسة القاعة أو الكنيسة المركزية، ولها نماذج مختلفة، وهذه المقاعد مصنوعة من الحجر أو الطين أو الجبص أو الخشب[119] (صورة 7).

3.3.8 المنبر

ويصعد إليه بدرج ويرتبط بالهيكل من خلال فتحة في حاجز الهيكل، ويتكون من عدة أدراج تقود لمنصة تحملها أعمدة أو دعامات مثبتة في قاعدة سداسية، ويمكن أن يكون المنبر خشبيًا وقاعدته حجرية، وبعض الكنائس احتوت على منبرين، الأول يسمى منبر الرسل ويستخدم لقراءة الرسائل، والثاني يسمى منبر الإنجيل ويستخدم لقراءة الإنجيل، وقد صنع المنبر من الرخام أو الحجر أو الخشب، ويعتقد أن المنابر إضافة متأخرة طرأت على عمارة الكنائس في نهاية القرن السادس الميلادي وبداية القرن السابع الميلادي، ويرجح أن مكان تثبيتها المألوف هو الجهة الجنوبية الشرقية من الصالة الوسطى، كما وجد المنبر في نمط العمارة البازيليكا وكنيسة القاعة[120] (صورة 8).

---

[118] قاقيش. مرجع سابق. ص: 151 - 152.

[119] قاقيش. مرجع سابق. ص: 152- 153.

[120] Armstrong, G.T. (1990): Ambo, Encyclopedia of Early Christianty. Garland Publishing, New York and London. P: 29-30.

3.3.9 جرن المعمودية

وهو حوض حجري له عدة أشكال وعدة وظائف، وتختلف أماكن وضعه من كنيسة لأخرى، سواء في الجهة الغربية على يمين الداخل، أو أسفل المذبح أو قربه، وكان يستخدم لحفظ ماء غسل الأواني المقدسة المستعملة للقربان المقدس، أو غسل أيدي وأرجل الكاهن[121] (صورة 9).

3.3.10 غرفة الدفن

وتوجد عادةً أسفل أرضية الكنيسة، واستخدمت لدفن الشهداء والقديسين والعظماء.[122]

3.3.11 غرفتان جانبيتان، أو غرفة جانبية

وهي من العناصر المضافة للكنيسة واستخدمت الغرفة الشمالية لتحضير القربان المقدس، والغرفة الجنوبية لحفظ الأدوات المستخدمة في الشعائر الدينية وهدايا المصلين، ولاحقًا حل محل هاتين الغرفتين حنيتان تحيطان بالحنية الرئيسة.[123]

3.3.12 المجاز

وهو رواق مستعرض يمتد أمام الواجهة الغربية للكنيسة ويفصل عنها بصف من الأعمدة أو حائط تتخلله الأبواب، وهو تطور عن المدخل المعمد، واستخدم لتجمع المصلين وغير المعمدين حتى يتمكنوا من سماع العظات الدينية، وهو ما يزال موجودًا حتى الآن في كنيسة المهد في بيت لحم.[124]

---

[121] Butler, H. C. P.R. P: 31.

[122] Piccirillo, M. (1993): The Mosaic of Jordan. ACOR, Amman. P: 45.

[123] Krautheimer, R. (1965): Early Chrisitian and Byzantine Architecture. Penguin Book, Middlesex, England. P: 36.

[124] شيحة، مصطفى عبد الله. (1988): دراسات في العمارة والفنون القبطية. وزارة الثقافة، القاهرة. ص : 70.

3.3.13 الساحة المكشوفة

وهي ساحة مربعة أو مستطيلة محاطة برواق معمد، ويوجد في مركزها بئر أو خزان ماء أو نافورة لغرض المعمودية، واستخدمت الساحة لجمع المصلين قبل الاحتفال الديني وإبعاد الكنيسة عن ضوضاء الشارع، وتقع الساحة دائمًا في الجهة الغربية خارج الكنيسة[125] (صورة 10).

[125] مصطفى. مرجع سابق. ص: 32.

الفصل الرابع: كنائس مدينة بيت لحم ومحيطها الشرقي (دراسة مقارنة)

الكنائس المستخدمة:

3.1 كنيسة المهد

3.2 كنيسة حقل الرعاة

3.3 كنيسة دير ابن عبيد

3.4 كنيسة دير مار سابا

3.5 كنيسة مغارة الحليب

الكنائس المهدمة:

3.6 كنائس هيرودويوم

3.7 كنيسة خربة سير الغنم

3.8 كنيسة دير الراهب

3.9 كنيسة خربة أم العمد

3.10 كنيسة خربة الدير

الفصل الرابع

تمهيد:

على الرغم من شعبية المواقع الدينية والتاريخية في فلسطين إلا أن مدينة بيت لحم لم تكن ملفتة للانتباه وجاذبة للمستكشفين باستثناء كنيسة المهد وبعض الأديرة والكنائس المجاورة، والتي كانت موضوع الاستكشاف في التاريخ الحديث، ويعود ذلك للحراك السكاني وتبدل الحال وازدهار المدينة الحديثة الذي أدى إلى إخفاء الآثار السابقة[126]. وقد كانت معظم الحفريات تتم من قبل الآباء الفرانسيسكان في الأماكن المقدسة والأماكن المرتبطة ببازليكا المهد والأديرة المحيطة ومغارة الحليب[127]، ولعدة عقود متتالية لم تتوفر معلومات أثرية عن مدينة بيت لحم باستثناء بعض المقابر من العصر البرونزي[128]، حتى تأسيس وزارة السياحة والآثار الفلسطينية (1994م) بعد اتفاقية أوسلو عام 1993م حيث بدأت دائرة الآثار والتراث الثقافي بالتعاون مع البلدية والعديد من المؤسسات الأخرى سلسلة من التدخلات والحفريات الأثرية التي تهدف إلى حماية وصون الآثار والمخلفات الأثرية والمباني التاريخية داخل المدينة والمنطقة المحيطة بها.[129]

يتناول هذا الفصل الكنائس الموجودة في الجزء الجنوبي الشرقي من بيت لحم، سواء كانت منفصلة أو داخل الأديرة، كما تقسم الكنائس المستهدفة في هذه الدراسة إلى قسمين، القسم الأول الكنائس المستخدمة، وهي: كنيسة المهد، وكنيسة حقل الرعاة، وكنيسة دير ابن عبيد، وكنائس دير مار سابا، وكنيسة مغارة

[126] Nigro, Lorenzo. (2015): Bethlehem in the Bronze and Iron Ages in the Light of Recent Discoveries by the Palestinian Mota-Dach. "Vicino Oriente", XIX. P 1 -24.
[127] BAGATTI, B. O.F.M. (1952): Gli antichi edifici sacri di Betlemme in seguito agli scavi e restauri praticati dalla Custodia di Terra Santa "Studium Biblicum Franciscanum Collectio Maior 9", Gerusalemme. P. 1948-51.
[128] DADON, M. (1997): A Burial Cave of the Middle Bronze Age I at Giv'at Ze'ev. "Atiqot" 32. P 51, 199*-201*.
[129] Nigro, P..R., P 2.

الحليب، أما القسم الثاني فهي الكنائس المهدمة، وهي: كنيسة سير الغنم، وكنيسة دير الراهب، وكنائس هيروديوم، وكنيسة خربة أم العمد، وكنيسة خربة الدير (شكل 2).

الكنائس المستخدمة

4.1 كنيسة المهد

لا تزال كنيسة المهد محط أنظار الكثير من علماء الآثار والرحالة والمستكشفين حتى وقتنا هذا على الرغم من وفرة الأبحاث والمقالات والدراسات والكتب التي تناولت تاريخ الكنيسة، وتطورها المعماري، والترميمات والتنقيبات حولها، ومكتشفاتها الأثرية، وأيضًا زخارفها وفسيفسائها ومبانيها. وتكمن أهمية كنيسة المهد في كونها تُثري التراث العالمي والنتاج العلمي وتغنيهما باعتبارها من أقدم الكنائس في العالم، فهي كنزٌ لا ينضب من المعلومات والبيانات التي تُضيف لفهم تاريخ البحث العلمي والتطور العمراني للكنائس.

ومن الجدير بالذكر أن الأبحاث حول كنيسة المهد بدأت منذ ثلاثينيات القرن الماضي، حيث تسابق علماء الآثار في مناقشة تاريخها ومقتنياتها وعمارتها وإجراء التنقيبات والحفريات فيها، فلا يوجد تاريخ دقيق لميلاد السيد المسيح، وحتى أن تقصي موقع ميلاده لم يبدأ حتى منتصف القرن الثاني الميلادي، وتوسع هذا البحث في القرن الثالث الميلادي حتى تم بناء الكنيسة في موقعها الحالي في القرن الرابع الميلادي[130]، وتعد أول بناء مسيحي شُيّد فوق المغارة التي ولد فيها المسيح عليه السلام، وقد بنتها القديسة هيلانة والدة

[130] الجعبة ، ن. (2022): كنيسة المهد في بيت لحم الترميم والتأهيل، ص 54.

الإمبراطور قسطنطين من عام 326م إلى عام 333م، وقد تم تدشينها رسميًا عام 339م، وكان الهدف من تشييد هذا المبنى أن يكون ممرًا مقدسًا لمغارة الميلاد.[131]

لقد كانت الحفريات حول البازيلكا وداخلها قليلة نسبيًا[132]، فقد بدأت عام 1934 أثناء الانتداب البريطاني لفلسطين[133]، وركزت على الردهة (atrium) وكانت بقيادة Hamilton (هاملتون)[134] وقد أظهرت هذه الحفريات أن البناء الذي يعود لقسطنطين قد احترق، وفي الأغلب عام 529 عندما تمرد السامريون ضد الحكم البيزنطي.[135]

بنيت كنيسة المهد في بيت لحم على عدة مراحل، وتحتوي على خمسة أروقة مفصولة بواسطة أربعة صفوف من الأعمدة تبلغ بمجملها خمسين عمودًا، ويبلغ قُطر العمود الواحد 1م، وارتفاعه 4.45 م[136]، ويصل ارتفاع العمود إلى 5.40 عند احتساب القاعدة والتاج[137]، ومن الجانب الشرقي يشكل الرواق المركزي مع الأروقة الأخرى شكلًا ثلاثيًا مع الحنيات الثلاث المتساوية الحجم، والتي تقع اثنتان منها في نهاية أذرع الجناح الواحد، والثالثة في نهاية الرواق المركزي، ويبدو أن هذا الهيكل من الناحية المعمارية يعود للقرن الخامس.[138]

---

[131] تعتبر أحد الكنائس القليلة التي لم يهدمها الفرس في فلسطين وذلك بسبب رسومات وصور المجوس الموجودة فيها لأولئك الذين قدموا إلى بيت لحم وقت ميلاد المسيح، حيث اعتقد الفرس أن هذه الكنيسة بنيت لعبادة هؤلاء الملوك الفرس. Crowfoot, Early Churches in Palestine, p 7-9

[132] Nalbandian, G , Strickert, F, The Church of the Nativity, p 6

[133] Bacci, M and others., P.R., p 38.

[134] Hamilton, R W, The Church of Nativity A Guide, p 5.

[135] Cohen, R. (2008): Conflict and Neglect: Between Ruin and Preservation at the Church of the Nativity. Melanie Jane Hall, ed., Towards World Heritage: International Origins of the Preservation Movement, Aldershot, U.K. p 1.

[136] Ovadiah, Corpus of the Byzantine Churches in the Holy Land, p 35.

[137] الجعبة، مرجع سابق.، ص 54.

[138] W.Harvey, Structural Survey of the Church of the Nativity, P 41.

المرحلة الأولى من البناء كانت في عصر قسطنطين، حيث شيدت أول كنيسة فوق المغارة التي تم تحديدها تقليديًا على أنها مكان ولادة المسيح، وقد شيدت تحت رعاية الامبراطور قسطنطين الأول والإمبراطورة هيلانة[139]، وتم تكريسها عام 339م[140]، وتتكون من ثلاثة أقسام معمارية، وهي الردهة Atrium، والبازيليكا، والهيكل المثمن Martyrium [141]، (شكل 3).

أما الردهة فهي محاطة ببهوٍ معمد ولها ثلاثة مداخل من جهتها الغربية، وللبازيليكا أيضًا ثلاثة مداخل من الجهة الغربية، وخمسة أروقة، وأربعة صفوف من الأعمدة مسقوفة بالخشب متصلة من الشرق بهيكل مثمن يحيط بالمغارة وله ثقب دائري في السقف (قوراء)[142]، الأمر الذي مكن المؤمنين من رؤيتها من الأعلى خلال الثقب، حيث لم يكن يسمح للمصلين بالنزول إليها، بعكس رجال الدين الذين كان يسمح لهم بالوصول إليها[143]، كما يوجد سلم من ثلاث درجات في منتصف الجانب الشرقي من الرواق المركزي، والذي يؤدي إلى الهيكل أو البيما[144]، ومقصورتان مستطيلتا الشكل مع مداخل في الطرف الشرقي من الأروقة الخارجية، والتي كانت بمثابة الكنيسة "Diaconicon" و"Prothesis" .

أما سقف الكنيسة الجملوني فكان من القرميد، وكان سقف الرواق المركزي يعلو بقية الأروقة وبه نوافذ تتم من خلالها إضاءة الكنيسة وتهويتها[145]، ومن الواضح أنها كانت مليئة بالزخارف والفسيفساء الأرضية المكونة من الطيور والنباتات والأشكال الهندسية، ومن ضمنها أيضًا كتابات يونانية تحمل اسم السيد المسيح، ويدل الاهتمام الكبير باستخدام الفسيفساء على دلالة ورمزية القداسة لدى الناس، ولا تختلف

[139] Hunt, E. D, Holy Land Pilgrimage in the Later Roman Empire, p 51.
[140] Pringle, D, Church of St Mary (the Holy Nativity), p 137.
[141] Madden, A, A revised Date for the Mosaic pavements of the Church of the Nativity, p 148.
[142] الجعبة، م .س.، ص 51.
[143] الجعبة، ن، كنيسة المهد، ص. 22.
[144] Crowfoot, J W, Early Churches in Palestine, P: 54.
[145] Hamilton. R.W, Excavations in the Atrium of the Church of the Nativity, P 42

خصائص هذه الفسيفساء كثيرًا في طابعها عن تلك في المراحل اللاحقة، ويرجح أنها تعود للقرن الخامس[146]. وتقع هذه الفسيفساء أسفل الأرضية الحالية بعمق 0.75 متر، ولا يزال بإمكان الزائرين رؤية أحد نماذجها في هذا الوقت، بينما الأخرى مغطاة بقطع خشبية تفتح بين الفنية والأخرى لأغراض التهوية والمشاهدة، أما الجدران فعلى الأرجح أنها كانت مغطاةً بالرخام.

لم يتم العثور على مذبح في الكنيسة الأولى، ولكن العلماء مثل Harvey [147] و Vincent [148] حاولوا البحث عن مكان محتمل له وللدرج المؤدي للمغارة[149]، بينما قال العالم Crowfoot[150] أنه لا يوجد مذبح ولا درج من الأساس، وقد استند في رأيه إلى إجماع المستكشفين على أن المخطط الأساسي لكنيسة المهد لا يحتوي على مذبح، وأيضًا بناءً على أدلة Eusebius[151] الذي أشار في كتاباته أن كل من كنيسة المهد وكنيسة القيامة لم تبن لأغراض ليتورجية[152]، وإنما تخليدًا للمسيح، وذلك حتى يتمكن الناس من رؤية الأماكن التي ولد فيها المسيح ودفن وقام من الموت، إذن لم يكن هناك ضرورة لوجود المذبح من وجهة نظر Crowfoot، وإنما يكفي مشاهدتهم للمكان من أعلى.

ومن الناحية المعمارية فهناك تشابه كبير بين مخططات كنيسة المهد في بيت لحم وكنيسة القيامة في القدس (شكل 4) حيث أن بناء كل منهما تم في نفس الفترة تقريبًا عام 326م[153]، وكان البناءان يهدفان إلى التمجيد والتعظيم لدرجة تجاوز المشكلات المعمارية في كلا المكانين بطريقة متشابهة، إلا أنه كان على

[146] Harvey. W, Recent Discoveries at the Church of the Nativity, P 7–17

[147] Harvey, Structural Survey of the Church of the Nativity, P 26.

[148] Vincent H., Aebl, F.M.. Bethléem les anctuaire de la Nativité.

[149] R .Krautheimer, Early Christian and Byzantine Architecture, P. 62

[150] Crowfoot, J. W. Early Churches in Palestine. P 43

[151] مانجو، سيريل. (1999): العمارة البيزنطية. دار المشرق، المغرب. ص 23

[152] ليتورجية: بالانجليزية Liturgy هي مصطلح مستخدم في الديانة المسيحية للدلالة على الاجتماع للعبادة في الكنيسة والقيام بالشعائر والطقوس الدينية، وتسمى أيضًا القداس.

[153] Powers, Tomb. (2004): The Church of the Holy Sepluchre SOME PERSPECTIVES FROM HISTORY, GEOGRAPHY, ARCHITECTURE, ARCHAEOLOGY, AND THE NEW TESTAMENT. Jerusalem. P. 16.

المهندسين المعماريين في حينه تشييد معلم فوق الموقع المقدس، حيث تم فصل الهيكل فوق القبر عن البازيليكا بواسطة فناء داخلي في كنيسة القيامة[154]، بينما في كنيسة المهد تم ربط الهيكل به، أما من الناحية المعمارية فلا يوجد رابط معماري بين العنصرين.[155]

ومن ناحية الأعمدة وتيجانها فقد كانت كورنثية عليها نقش صليب في منتصف الجهة المقعرة لطبلية التاج، وقد اختلف العلماء في تاريخ بنائها، فبعضهم ينسبها إلى فترة قسطنطين، وبعضهم ينسبها لعصر جستنيان. ويرى Vencent أن الأعمدة والتيجان من نفس المكان وتعود لزمن قسطنطين، ثم تم إضافة عدد آخر منها في عصر جستنيان حتى اكتمل عددها في الردهة إلى 14 عمودًا، وكان ذلك في فترة تغيير مخطط الكنيسة[156] (صورة 11).

أما Harvey فيعتقد أنه تم قطع جميع الأعمدة والتيجان في نفس الفترة، أي في عصر جستنيان، في القرن السادس الميلادي، ويعتمد في ذلك على ثلاثة أدلة[157]:

1. ليس من المعتاد أن يكون شكل وقياس الأعمدة والتيجان الموجودة في الردهة مطابقة لتلك الموجودة في الكنيسة لو لم تكن وضعت في نفس الفترة.

2. يمكن بكل سهولة كشف الأعمدة والتيجان الجديدة المضافة إلى الكنيسة في الردهة، بسبب مكوثها مدة 200 سنة في فناءٍ مفتوح عرضة للهواء والعوامل التي ستغير خصائصها، وأيضًا سيكون من السهل معرفة

[154] Gibson, Shimon & Taylor, Joan. (1994): Beneth the church of Holy Sepulcher Jerusalem. Committee of Palestine of the Palestine Expolration Fund, Lndon. P. 2.
[155] W.Harvey. The Early Basilica at Bethlehem, Palestine Exploration Quarterly. P. 28–33.
[156] H.Vincent,F.M. (1914): Abel,Bethléem. lesanctuiredelaNativité,Paris. P: 13.
[157] Harvey etal. (1910): The Church of the Nativity at Bethlehem. P. 57.

ما إذا قد تضررت من النيران التي دمرت الكنيسة في عصر قسطنطين، بينما الأعمدة الموجودة حاليًا لا يظهر عليها علامات تعرض للهواء أو الحريق.

3. العثور على بعض الأعمدة المكسورة غير المكتملة في مادة الحشو التي استخدمها جستنيان لرفع مستوى أرضية الكنيسة، والتي تتطابق قياساتها مع قياسات الأعمدة الموجودة، وهذا يثبت أنها قطعت في نفس الفترة أي قبل بناء كنيسة جستنيان في القرن السادس الميلادي.

في القرن السادس الميلادي تم تدمير كنيسة قسطنطين بالنيران خلال الثورة السامرية عام 529م[158]، وقد كشفت الحفريات في الرواق المركزي عن ترسب كثيف من الرماد والخشب المحروق وبلاط الأسقف المكسور الذي يغطي الفسيفساء والكنيسة الأولى[159]، ومن الجدير بالذكر أن الامبراطور جستنيان قد عمل على إعادة بناء الكنيسة، وأشرف على ذلك بنفسه، ويعد هذا البناء هو المرحلة الثانية من بناء الكنيسة.[160]

المرحلة الثانية في عهد جستنيان، أقيمت على أنقاض كنيسة قسطنطين بشكل أضخم وأكثر فخامةً لتتناسب مع جلالته وامبراطوريته، حيث عمل المهندسون المعماريون في عهده على اتباع التصميم الأصلي للبناء ولكن مع إحداث تغييرات في تصميم هيكل الكنيسة، منها إعادة بناء الأروقة بالكامل وإضافة رواق جديد في الجانب الغربي للبازليكا، وهدم الهيكل المثمن واستبداله بثلاث حنيات (شكل 5، وشكل 6)، وكذلك فتح مدخلين يؤديان إلى مغارة الميلاد من الشمال والجنوب، وإغلاق الفتحة الموجودة في سقف المغارة ورفع

[158] ثورات السامرية (484-573) هي عبارة عن سلسلة من التمردات في مقاطعة فلسطين الأولى، أطلقها السامريون ضد الإمبراطورية البيزنطية.
[159] Cohen, P. R. , P. 1.
[160] Pringle, Denys. (2008): The Churches of the Crusader Kingdom of Jerusalem: A Corpus: Volume 1, A-K (excluding Acre and Jerusalem). Cambridge University Press. P: 10.

أرضية المذبح فوقها، وكسوة الجدران والأرضية بما فيها الواجهة الأمامية الخارجية بالرخام وتزيينها بالفسيفساء، ورفع سقف من الخشب.[161]

تجنبت الكنيسة في السنوات اللاحقة الدمار مرارًا وتكرارًا، ففي عام 614م تعرضت فلسطين للاحتلال الفارسي الذي نهب معظم مدنها، إلا أن كنيسة المهد نجت بطريقةٍ ما، وبعد الفتح الإسلامي قدمت الكنيسة قطعة أرض للمسلمين مقابلها لبناء مسجد والصلاة فيه، وهو ما يعرف باسم مسجد عمر ابن الخطاب، وبقيت الكنيسة مكانًا مقدسًا ولم يتم المساس بها حتى الاحتلال الصليبي عام 1099م.[162]

وعليه، فإنه يوجد اختلافين رئيسين بين مخطط كنيسة قسطنطين والكنيسة الحالية (كنيسة جستنيان) أولها: الجزء الذي يغطي المغارة مثمن الشكل، ويشبه الكنائس التي تعود للقرن الخامس ومرتبطة بالسيدة مريم مثل كنيسة كاثيسما التي تقع على طريق القدس، وكنيسة مريم التي تقع على جبل جرزيم[163]، أما الشكل الحالي فهو ثلاث حنيات بدلًا منه.

الاختلاف الثاني هو امتداد الكنيسة الأولى سبعة وعشرون مترًا جهة الغرب، حيث كانت الردهة الرباعية محاطة باثنين وعشرين عمودًا، وفي فترة جستنيان تم إزالتها، وإضافة المجاز narthex إلى الداخل، وخلال العصر الصليبي تم استبدال السقف الخشبي للمجاز بسقف مقبب (vaulte)، مما دفع الجدار الغربي الخارجي ليتقعر بمسافة 30 سنتيمتر، حيث تم إضافة الدعائم لمنعه من الانهيار عام 1775م. [164]

[161] الجعبة، ن. مرجع سابق، ص: 52.

[162] Pringle, Denys, P. R, P: 12.

[163]Strickert, Fred. (2013): The Church of the Nativity. Diyar Publisher, Bethlehem, Palestine. P: 32.

[164] Pringle, Denys, P.R., P: 16

4.1.1 المعالم الأثرية في كنيسة المهد الحالية (قسطنطين وجستنيان)

4.1.1.1 الساحة الخارجية أمام الكنيسة

هي خالية من الآثار وبنيت في عصر قسطنطين وكانت تحتوي على الأعمدة والقواعد، ومبلطة ببلاط حجري ضخم، كما كانت تحتوي على ثلاثة آبار قديمة استخدمت في الاحتفالات والطقوس الدينية وإمداد الأديرة المجاورة بالماء، إلا أنها أغلقت في ثلاثينيات القرن العشرين، وتقود الساحة المذكورة إلى ساحة داخلية وتحتوي بعض قطع الأعمدة المكسرة القديمة وقواعدها ولا تزال موجودة حتى الآن.[165]

4.1.1.2 الواجهة الأمامية للكنيسة (الباب الرئيس)

وقد مرت بثلاث مراحل، تعود المرحلة الأولى للقرن السادس الميلادي في عصر جستنيان، ويقوم فيها ثلاثة أبواب كبيرة، يقع الباب الرئيس في الوسط، ويبلغ ارتفاعه ستة أمتار وعرضه ثلاثة أمتار، أما البابين الآخرين فهما أقل ارتفاعًا منه، ويقعان جهة اليمين واليسار، ويمكن للناظر تمييزهما على الرغم من إغلاقهما[166]، كما يمكن رؤية حافة قوس الباب على جهة اليسار وهو يطل من خلف الدعامة، أما الباب على جهة اليمين فهو مخفي ببناء دير الأرمن، ولكن لا يزال جزء صغير من القوس يشي به حيث يلتقي جدار الدير بالجدار الأمامي للكنيسة[167] (شكل 7).

---

[165] R.W. Hamilton. (1934): Excavations in the Atrium of the Church of the Nativity. P. 1–8.

[166] الجعبة، نظمي. (2019): كنيسة المهد في بيت لحم الترميم والتأهيل: أول موقع فلسطيني يزال عن قائمة التراث العالمي المهدد. المجلة العربية للثقافة، مجلد 36، عدد 65. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم إدارة الثقافة، تونس. ص 54.

[167] Pringle, Denys, P.R., P: 14.

أما المرحلة الثانية للواجهة فتمت في العصر الصليبي، حيث عمل الصليبيون على تصغير حجم الباب الرئيس، بإضافة قوس مدبب لتقوية الجدار في القرن الثاني عشر الميلادي[168] والذي لا يزال موجودًا حتى الآن (شكل 8).

وفي المرحلة الثالثة عمل العثمانيون على تصغير حجم الباب الرئيس أكثر (الشكل الحالي) وذلك لأسباب أمنية، أو لمنع الخيول من الدخول إلى الكنيسة، ويبلغ ارتفاعه 1.3م وعرضه 0.78م، ولا يمكن دخوله إلا بإحناء الرأس تقديرًا لمن ولد فيها، ولهذا يسمى بباب التواضع[169] (شكل 9)، (صورة 12).

4.1.1.3 المجاز Narthex

ويقع أمام مدخل الكنيسة، ولم يكن موجودًا في كنيسة قسطنطين، وأضافه جستنيان عندما قلص حجم الردهة الخارجية المربعة، فأصبح بعرض الكنيسة كلها، وتم تقسيمه لاحقًا، وكان بدون سقف ويحتوي على أعمدة، ويؤدي إلى البازليكا (الرواق المركزي) ولا يزال المجاز موجودًا حتى هذا الوقت، ويتم الدخول إليه من مدخل الكنيسة.[170]

4.1.1.4 مدخل البازليكا

وهو باب خشبي ضخم مزدوج يفصل المجاز عن البازليكا (صورة 13) تمت إضافته عام 1227م، وقد أهداه اثنان من الأرمن للكنيسة، وفي أعلى الجانب الأيمن يوجد نقش أرمني يعود تاريخه –حسب التقويم الأرمني لعام 676، بينما في الجانب الأيسر يوجد نقش عربي ينص على: (كمل هذا الباب بعون الله تعالى

[168] Nalbandian, Garo & Strickert Fred. (2013): The Church of the Nativity. Diyar Publisher, Bethlehem. pp
[169] Pringle, Denys, P.R., P: 27.
[170] D. Pringl. (1993): The Churches of the Crusader Kingdom of Jerusalem. A Corpus. P. 114.

في أيام مولانا السلطان/ الملك المعظم في تاريخ المحرم سنة أربعة وعشرين وستماية)، ويعود تاريخه حسب التقويم الهجري– لعام 624، ويتوافق كلا التقويمين مع عام 1227م.[171]

4.1.1.5 البازليكا

وهي نمط معماري مستطيل الشكل شائع الاستخدام في العصر البيزنطي، وهي مشتقة من كلمة يونانية تشير إلى (الملك) تبلغ مساحتها 40م × 26م، وتشكل الجزء الخاص بالمصلين، ففي فترة قسطنطين كانت البازليكا ذات شكل مربع أبعاده 26.5م × 26.5م، تم الكشف عنها خلال فترة الثلاثينيات من القرن التاسع عشر الميلادي أثناء الحفريات التي قام بها الآثاريون[172]، وكانت مرصوفة بالفسيفساء على شكل سجادة كبيرة مزخرفة بأشكال هندسية ونباتية تحتوي على نبات الأكانتس أو الأقنثا[173] (صورة 14) وفي الجهة الشمالية تقوم لوحة في مركزها شكل صليب معقوف، هذا وتنخفض الأرضية المذكورة 75سم عن الأرضية الحالية، أما في عصر جستنيان فكانت مبلطة بالرخام الأبيض[174]، يتكون كل عمود في البازليكا من قطعة واحدة monolith من الحجر الوردي بطول 5.7م وقطره متر واحد، ويرتكز على قاعدة حجرية تقوم على الصخر مباشرة، ولكل عمود تاج كورنثي من الرخام الأبيض ومزخرف بنقوش على شكل صليب، وعددها 48 عمودًا، مقسمة على أربعة صفوف تفصل بين خمس أروقة، تحمل السقف الخشبي للكنيسة[175] (صورة 15). أما النقوش الموجودة أسفل الأعمدة فهي من عمل الحجاج والزوار الذين نقشوها بهدف التبرك

---

[171] Nalbandian, Garo & Strickert Fred, P.R . P:90.

[172] R.W. Hamilton. P.R. P: 87.

[173] هي نباتات عشبية معمرة، سيقانها مزهرة بشكل مميز ولها أنواع مختلفة ومتنوعة، حيث تتميز بتوريقات مختلفة وأشكال متعددة، اشتق اسمها من الكمة اليونانية akantha، وتسمى بالانجليزية acanthus، وتعني الشائك وذلك لأن بعض أنواعها يحتوي على أشواك حادة. استخدمها المهندسون كواحدة من أبرز الزخارف في تصميمات الزينة للأعمدة والمباني المختلفة على مر العصور. الفار، مايسة علي أحمد. (2018): تطور الملامح التشكيلية لنبات الأكنتس ودورها في النحت التطبيقي، صناعة الأثاث. ص 3-4.

[174] W.Harvey. (1935): Structural Survey of the Church of the Nativity, Bethlehem. P. 41.

[175] H.Vincent, F.M.Abel. (1914): Bethléem, les anctuaire de la Nativité. P. 12.

من موقع ميلاد المسيح خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلادي[176]، أما الرسومات الموجودة على جدران الكنيسة التي تشكل الرواق الأوسط فتعود للعصر الصليبي عام 1169م[177] (صورة 16).

4.1.1.6 كنيسة مغارة الميلاد

تقع في الطابق الأرضي للبازليكا الذي تتكون من عدة غرف صخرية (كهوف) أو تجويفات، ولها العديد من القصص الدينية[178] وموقعها الدقيق هو أسفل المنصة المرتفعة للحنية الشرقية، وهي في مركز الكنيسة الحالية، ومركز كنيسة قسطنطين، وهي مستطيلة الشكل أبعادها (12.3م × 3.5م) تمتد من الشرق إلى الغرب مع مداخل تتيح الوصول إلى الكهوف الأخرى[179]، ويقوم في جهتها الجنوبية محراب أسفله تجويف يشكل مذود الميلاد، وعلى أرضيته نجمة فضية تمثل النبوة القديمة التي تعلن عن النجم الصاعد للمسيح، (صورة 17) وكذلك كتابة لاتينية يستطيع كل من ينحني للصلاة قراءتها، وتنص على[180]:

"هنا ولد يسوع المسيح من مريم العذراء".

يعلو تجويف المذود خمسة عشر مصباحًا فوق النجمة مقسمة على الطوائف المسيحية، وتشهد على نور المسيح الساطع (صورة 17)؛ أما الحنية الموجودة فوق نجمة الميلاد مباشرةً فكانت مغطاة بالفسيفساء التي تعود للفترة الصليبية، ولكنها تعرضت للدمار نتيجة الحريق عام 1869م الذي ترك الجدران سوداء، ودمر الفسيفساء والمفروشات.

---

[176] الجعبة، نظمي. مرجع سابق. ص: 147.

[177] G.Kühnel. (1988): Wall Painting in the Latin Kingdom of Jerusalem. P: 42

[178] الجعبة، نظمي، مرجع سابق.، ص. 57

[179] Pringle, D, P.R., P: 32.

[180] Pringle, D, P.R.,P: 36.

هذا وقد فتح مدخلان إلى المغارة شمالي وجنوبي في فترة جستنيان للوصول إليها[181] ويتم النزول عبر درج في الحنية الجنوبية، ومغادرتها عبر درج في الحنية الشمالية، وترجع الواجهة الرخامية للدرج إلى الفترة الصليبية.

4.1.1.7 الواجهة الجنوبية

لا تزال قائمة حتى الوقت الحالي، وهي مقسمة بين الطائفة الأرمنية التي تشرف على الجهة الجنوبية الغربية والتي تم تغطيتها ببناء (دير الأرمن) الذي يعود للفترة الصليبية، والطائفة الأرثوذكسية التي تشرف على الجهة الجنوبية الشرقية، ولم يطرأ على الواجهة الجنوبية أي تغيير تقريبًا منذ فترة جستنيان.

4.1.1.8 جرن المعمودية

وهو حوض مثمن الأضلاع منحوت من نفس نوع حجارة الأعمدة، ويقع في الجناح الجنوبي الغربي من الكنيسة، وبجانبه باب تم إغلاقه لاحقًا يعود لعصر جستنيان، ومن الملفت أنه خلال الترميمات التي جرت عام 2019 تم الكشف عن جرن صغير آخر بداخل الجرن الكبير، ومن المرجح أن الجرن الصغير هو تاج لعمود بيزنطي مبكر (كرونثي) (صورة 18) والذي تم تجويفه لعماد الأطفال، وهذا الجرن يوجد بداخل حجر كبير لونه وردي مثمن الشكل عليه نقش لاتيني غائر.[182]

[181] Bacci, M and others. P.R. P: 76.

[182] الجعبة، نظمي.، كنيسة المهد الترميم والتأهيل، مرجع سابق.، ص92 - 93.

4.1.1.9 المذبح

يقع داخل الحنية الشرقية المركزية لكنيسة المهد، ويستخدم لأغراض الصلاة وإقامة الطقوس الدينية، ويرجح أن إضافته تمت خلال القرن السادس الميلادي (صورة 4).

لم يطرأ تغيير على كنيسة جستنيان الأصلية من الداخل، إلا أن بعض الترميمات قد تمت في السقف القرميدي فوق البازليكا والمذبح نتيجة تسرب مياه المطر، كما تمت حركة ترميم عامة لجدر الأديرة الملاصقة لها، وكذلك واجهة البوابة الرئيسة، فأزيل الملاط المتآكل بين حجارة الأبنية ووضع آخر مكانه، وكان مبنى سكن الحجاج الروس الملاصق للدير من الجهة الشمالية قد هدم في ثمانينات القرن الماضي، وشيد مكانه فندق (كازاوفا) مما أدى لفتح بوابتين مقوستين في جدار الساحة الشمالية للدير على بعد ثلاثة أمتار من بوابة الفندق استخدمتا لتسهيل حركة خروج الزوار، كما تم رصف الساحة الخارجية جميعها بالبلاط الحجري.

4.2. كنيسة حقل الرعاة

تقع على بعد كيلو متر واحد من كنيسة المهد شرق بيت لحم في مدينة بيت ساحور، ووفقًا للتقاليد المسيحية فقد أعلن عن ميلاد المسيح للرعاة في هذا المكان لذلك يسمى دير الرعاوات[183] أو كنيسة الرعاوات[184]، ويعد الحاج الإسباني (إجيريا) Egeria هو أول من ذكر حقل الرعاة في كتاباته وقد زار المنطقة حوالي عام 384م، وقد وصف الموقع الراهب بالاديوس Palladius، وهو يوناني عاش في المنطقة من عام 386م إلى عام 388م، بأنه كهف رائع يحتوي على مذبح داخل حديقة مسورة، أما القديس جيروم

[183]Corbo, P. Virgilio. P. R. P:89.

[184] Ovadiah, Asher. (1970): Ovadiah, Asher. Corpos of the Byzantine Churches in the Holy Land. Hebrew University, Jerusalem. P: 102

Jerome الذي أقام في المنطقة منذ عام 386م حتى وفاته عام 420م فقد ذكره عدة مرات في رسائله، كما ذكر الإنجيل أن الرعاة بشروا بمولد المسيح وسط سهل محاط بحقل زيتون.[185]

وقد كشفت الحفريات التي أجرتها البطريركية الأرثوذكسية اليونانية في الموقع عام 1970م عن بقايا أثرية قديمة يرجح أنها تعود للقرن الرابع منها أجزاء من الفسيفساء الملونة مزينة بزخارف هندسية وصلبان سوداء اللون، (صورة 19) وهي واحدة من أقدم الفسيفساء البيزنطية التي تم اكتشافها في البلاد وجدت في كهف يعتقد أنه كهف الرعاة، وتجدر الإشارة أنه قد تم خلال التنقيب الكشف عن سلسلة من خمس مبانٍ رئيسة، وهي: الكهف الطبيعي المقدس، وكنيسة الكهف، وكنيسة السقف، والبازيليكا، وكنيسة الدير. وهي على النحو التالي[186]:

4.2.1 الكهف الطبيعي (الكنيسة الأولى)

وهو كهف طبيعي يعود للنصف الثاني من القرن الرابع الميلادي، يبلغ طوله من الغرب إلى الشرق 10م وعرضه 5.4م وارتفاعه 3.6م، أما سقف الكهف فهو على شكل قوس[187] (شكل 10) ويحتوي على فسيفساء مرصوفة فوق الصخر الطبيعي مباشرة بعد أن تم تسويتها، وتوجد رقعة بمساحة 6م×7م بحالة جيدة، وهي غير محاطة بإطار، وتحتوي على زخرفة غير متماثلة (صورة 20)، أما الشكل العام لها فهو عبارة عن مربع بداخله دائرة مملوءة بنجمة مثمنة الزوايا تكونت من خلال مربعين قطريين، وفي وسطها حلقتان متشابكتان، وفي مركزها صليب (صورة 21)، إضافةً إلى وجود شكل مشابه آخر يقع في الجهة الجنوبية، محاط بالمعينات الهندسية، وبين الشكلين يوجد مجموعة من الصلبان مصممة على خلفية سوداء

[185] Tzaferis, V., "Shepherds' Field", P 1362-1363.
[186] Ovadiah, Ruth & Asher. Hellenistic, Roman and Early Byzantine Mosaic Pavements in Israel. P: 19.
[187] V. Tzaferis, The Archaeological Excavation at Shepherd's Field. P: 64

وحمراء لها دلالات رمزية، كما توجد فسيفساء أرضية ثانية ترتفع عن الأولى بمقدار 10سم، مما يدل على قيام بناء جديد آخر في المكان.[188]

4.2.2 كنيسة الكهف أو المغارة (الكنيسة الثانية)

بنيت الكنيسة بالكامل داخل الكهف السابق الذي تم توسعته بمساحة 11م × 15م، وتعود للقرن الخامس ميلادي، وتحتوي على مجاز إلى جهة الغرب، وقاعة، وحنية نصف دائرية في الجهة الشرقية، وغرفتان أحدهما سكرستيا[189]، والأخرى مدفن أبعادها 4م×2م×4م (شكل 11) وقد تم العثور على جزء من المجاز مزخرف بإطار وملون بثلاثة ألوان، وهي: أسود وأبيض وأحمر (صورة 22). أما القاعة فوجد جزء صغير جدًا منها مغطى بفسيفساء عليها أشكال صلبان وملون بثلاثة ألوان أسود وأبيض وأحمر، كما تم العثور على مصابيح زيت وقلادات صغيرة على شكل صلبان، ومن الجهة الغربية للكنيسة يوجد مدفن الرعاة الذين بُشرّوا بمولد المسيح، وعمودان أمام المدفن، (صورة 23)[190] ، ويظهر (شكل 12) مراحل بناء الكنيسة الأولى والثانية معًا.

4.2.3 الكنيسة الثالثة

مع بداية القرن السادس الميلادي تم توسعة الكهف وإزالة السقف بالكامل لتسهيل عملية بناء كنيسة أكثر اتساعًا، وأرضيتها ذات شكل شبه بيضاوي، أبعاده 4.5م × 4.4م (شكل 13)، وقد تم وضع فسيفساء جديدة ملونة فوق الفسيفساء القديمة، كما تم فتح مدخل فيه سلم حجري يحتوي على 17 درجة يؤدي إلى الملاذ القديم من الجهة الجنوبية، وفي نفس الوقت تم بناء كنيسة صغيرة فوق الكنيسة الأولى، وتعد كنيسة

[188] V. Tzaferis. P. R. P: 58.

[189] سكرستيا: هي غرفة الملابس والأواني المستعملة الطقوس.

[190] Tzaferis, V. (1993): "The Early Christian Holy Site at Shepherds' Field". Ancient Churches Revealed. Old City Press Ltd., Jerusalem. P: 205.

السقف هذه نوع من النصب التذكاري والتي رصفت أرضيتها أيضًا بالفسيفساء المزخرفة بالقوارير الممتلئة بأغصان أشجار العنب وعناقيدها، ويوجد بين الجدار وسجادة الفسيفساء أرضية فسيفساء بيضاء اللون مزخرفة بالصلبان باللونين الأحمر والأسود، وإطارها باللون الأحمر والرمادي على خلفية سوداء (صورة 24)، ويوجد تحت القوارير نقشين يونانيين تخليدًا لأسماء الأشخاص الذين تبرعوا لبناء الكنيسة الصغيرة، كل نقش مكون من ستة سطور، أغلبها مدمر من جهة الجنوب[191]، وما تزال آثارها موجودة حتى الآن (صورة 25).

وتشغل أعلى نقطة في الأنقاض بقايا الكنيسة العلوية، والتي يجب أن تتكون من ثلاثة أروقة للكنيسة مع نهاية مركزية في حنية نصف دائرية من الداخل ومربعة الشكل من الخارج (صورة 26)، كما يمكن رؤية أسس خمسة أعمدة تفصل الرواق المركزي عن الأعمدة الجانبية، ومن الشرق يقوم جدار حجري بني لحماية المذبح، يخفي إطار الحنية الدائري، ولكن يمكن تتبع فلك الحنية عند إزالة بعض الحجارة وجعل بدايته واضحة[192] ، ويظهر (شكل 14) كل من الكنائس الثلاث السابقة معًا.

4.2.4 بازيليكا الكنيسة

في القرن السادس تم إزالة الكنيسة الصغيرة المبنية على سقف الكنيسة، وتم رفع المنطقة المحيطة والكنيسة السفلى، وفي مكانها أقيمت بازيليكا تحتوي على رواق واحد ينتهي بحنية صغيرة، وخلف الجدار الشمالي للكنيسة السفلية يوجد رواق صغير حيث توجد دعامات ذات قوس مزدوج المركز، وتحتوي على صفين من أعمدة الرخام ذات تيجان كورنثية كل صف مكون من خمسة أعمدة، لا تزال بقاياها مبعثرة في الوقت الحالي (صورة 27). أما أرضية الكنيسة فمرصوفة بفسيفساء ملونة بقطع كبيرة، حُفظ قسم صغير منها

[191] Tzaferis, V. P.R . P: 204
[192] Corbo, P. Virgilio. P. R. P:92.

فقط، وقد تم تمييز حرف M منها، وتقع أكبر قطعتين مقابل الجدار الغربي، حيث يوجد في المجاز جزء صغير مزخرف بثلاثة خطوط متوازية باللون الأسود، ويوجد في الرواق المركزي جزء مزخرف بأغصان العنب وأوراق شجر العنب في تركيبة حرة، وأيضًا كتابة يونانية تحتوي على حروف يونانية مربعة الشكل تعود للعصر البيزنطي. أما منطقة المذبح فيوجد فيها جزءان مزخرفان، وبين الأعمدة أجزاء مزينة بالمربعات، أما الألوان المستخدمة فهي الأبيض والأسود والأحمر، وبالقرب من الجدار الشمالي خارج الكنيسة عثر على كتابة يونانية، وقد تم العثور أيضًا على قطع فخارية لها قاعدة واسعة وملونة بلون أحمر.[193]

4.2.5. الدير

أو كنيسة الدير، وتعود للقرن السابع ميلادي، وقد بنيت فوق كنيسة البازيليكا، وأرضيتها مرصوفة بفسيفساء ملونة باللونين الأصفر والأحمر على خلفية بيضاء اللون. ويمكن تمييز المحيط الخارجي لأسوار الدير بالكامل، أما مخطط الدير فهو مستطيل الشكل، لكنه يحتوي على نتوء حنية الكنيسة العلوية في الجدار الشرقي (شكل 15)، وقد تم بناء الدير من كتل حجرية مربعة ومثبتة جيدًا، منها حجارة ذات نتوءات ناعمة مغطاة بالجص الأبيض، والسقف الحجري مدعم بأقواس على شكل صليب يستند على دعائم، أما ساحة البازيليكا فهدمت وأقيم مكانها منشآت زراعية وبئر ومعاصر للزيتون والعنب.[194]

[193] Corbo, P. Virgilio. P. R. P:91.
[194] Corbo, P. Virgilio. P. R. P:90.

أما الأيقونسطاس[195] الذي يفصل بين الهيكل والمصلين فهو من الخشب المنقوش بزخارف، ولما ساءت حالة الخشب تم استبداله بحاجز خشبي آخر، ولاحقًا تم تجديده بالرخام.

إذن، بنيت الكنيسة داخل الكهف الأصلي، وتم الحفاظ عليها بالكامل حتى السقف، وفي القرن الخامس الميلادي كانت الكنيسة بالكامل مبنى تحت الأرض، وفي القرن السادس الميلادي أعيد بناؤها بالكامل وأقيمت البازيليكا، كما أغلق جزء منها واستخدام كمقبرة لقديسي ورهبان البازيليكا، وقد وُجد في المقبرة أكثر من مئة هيكل عظمي، بالإضافة إلى مصابيح زيتية، وعملات معدنية، وأشكال لصلبان صغيرة كانت تلبس كمعلقات، جميعها تعود للقرن السادس، أما المنطقة المحيطة بالكنيسة فرصفت بالفسيفساء وبقيت كفناء مفتوح (صورة 28).

مع القرن السابع الميلادي في التقويم المسيحي للقدس تم ربط البازيليكا مع احتفالات المسيحية الأولى بعيد ميلاد المسيح، وكانت الاحتفالات تبدأ قبله بيوم في كنيسة حقل الرعاة، حيث يذهب القديسون والعابدون في موكب رسمي إلى كنيسة المهد في بيت لحم لإتمام صلواتهم. ويشار إلى أنه تم تدمير البازيليكا في القرن السابع الميلادي على الأغلب خلال الغزو الفارسي عام 614م، ولكن المسيحيين أعادوا بناءها مباشرةً، ولكن عمارتها كانت أقل اتقانًا (شكل 16).

لعل أكثر الكنائس التي نالت حظًا من الاهتمام هي كنيسة حقل الرعاة، فقد لاحظت الباحثة حركة ترميم نشطة تمت مؤخرًا على أبنية الكنيسة وسورها الخارجي، وتم عرض المخلفات العمرانية كتيجان الأعمدة

[195] الأيقونسطاس هو حاجز حجري يحمل الأيقونات في الكنيسة البيزنطية، ويفصل بين الهيكل وصحن الكنيسة.

وأرضيات الفسيفساء للزوار، وتغطية جزء منها بالزجاج، وكذلك كشف بقايا الحنايا من أرضيات الكنائس المتعاقبة ووضع مسقفات فوقها لتقيها عوامل الطبيعة، ثم تنظيم حركة الزوار أثناء المعاينة والمشاهدة.

4.3 كنيسة دير ابن عبيد

هو أحد أديرة الروم الأرثوذكس، ويعود لمنتصف القرن الخامس الميلادي، ويُعرف باسم (دير دوسي) ويسمى أيضًا دير ثيودوسيوس نسبة لراهب يحمل نفس الاسم والذي قرر أن ينقطع للعبادة في مغارة شرق بيت لحم، وللمكان قدسية لأنه يعتقد أن المجوس قد أمضوا في هذه المغارة ليلتهم بعد زيارتهم للطفل يسوع ورجوعهم خلسة إلى بلاهم هاربين من الملك هيرودس، وفي عام 614م كان من جملة الأديرة والكنائس التي أحرقوها الفرس[196]، وقد دُفن في نفس الموقع عام 520م[197]، وانضم إليه 400 راهب من بلاد مختلفة، واقتضت الحاجة أن يتم توزيعهم حسب لغتهم وطقوس عباداتهم، فبنوا ديرًا وكنيسة لها أربعة أجنحة، وكان الدير محاطًا بأبراجٍ عالية، ولكنه تعرض لكثير من الدمار والسرقة[198]، أما الدير الحالي فيعود بناؤه لأواخر القرن التاسع عشر الميلادي وأوائل القرن العشرين الميلادي[199]، وكانت المساهمة الأكبر في الحديث عن المكان تعود للمهندس المعماري شيك (Schick) الذي زاره عام 1877م.[200]

عام 1914م أعيد بناء الدير، ولا تزال آثار الكنيستين والدير ظاهرةً فوق الأرض، وكان (شيك) قد حدد الكهف الذي دفن فيه ثيودوسيوس، والكنيسة المركزية التي بنيت فوقه (صورة 29) كما أنه عثر على غرف سكنية وغرف تخزين متعددة على ثلاث جوانب من الكنيسة، وكان مدخل الدير في الجدار الشرقي،

---

[196] جقمان، مرجع سابق. ص: 206.

[197] Arij, Al 'Ubeidiya Town Profile, P 6.

[198] G. C. Bottini, L. Di Sengni & E. Alliata, Christian Archaeology in the Holy land New Discoveries, p .

[199] Hirschfeld, List of the Byzantine monasteries in Judaean Deseart, p 26 – 28.

[200] Bagatti, Fr Bellarmino. (1984): The church from the Gentiles in Palestine History and Archaeology. Franciscan Printing Press, Jerusalem. P: 33.

وليس كما هو الآن في الجدار الجنوبي، ويحيط بالمجمع الرئيس أسوار (صورة 30) وكان هناك بقايا من مجمع آخر في الجنوب تم بناؤه أيضًا حول فناء داخلي مغلق، والذي يمكن تفسيره على أنه نُزل وأمامه فناء داخلي.[201]

كما تم اكتشاف جزء من جدار ضخم جدًا على بعد 40م شمال غرب الدير، سُمكه 1.3م، الأمر الذي يمكن أن يشير إلى حجم المبنى الضخم، حيث يتوافق اتجاهها من الشمال إلى الجنوب مع الاتجاه العام للأديرة القديمة، وعلى ما يبدو هو جناح للدير الأصلي، إضافةً إلى ذلك تم اكتشاف صهريج ماء ضخم مفتوح على بعد حوالي 800م جنوب شرق الدير، يطلق عليه اسم البركة، ويعتقد أنه كان خزانًا للمياه لدير ثيودوسيوس يغذي الحمام.

وعلى الأرجح أن مجازًا خارجيًا (رواق) (طوله 11.9م) قد أضيف في فترة لاحقة، ورواق داخلي (12م× 3.5م) له مدخل في جداره الغربي، ومدخل آخر في الجدار الشمالي، ومدخل ثالث في الجدار الجنوبي الذي أضيف في مرحلة لاحقة من البناء، وفي الداخل يوجد قاعة مستطيلة الشكل أبعادها 11.4م × 7.7م، تحتوي على عمودين يقسمان الكنيسة إلى الرواق المركزي (أبعاده 2.7م × 5.99م × 2.8م) ورواقين ينتهي عند طرفيهما الشرقيين تجاويف نصف دائرية صغيرة، ويمكن العبور من القاعة باتجاه جناحي الكنيسة الداخليين، حيث يوجد مدخلين بين الجناح والحنية المركزية، أحد المدخلين إلى الشمال والآخر إلى الجنوب، والحنيات الثلاث (اثنتين في الجناح، والحنية الشرقية) لها نفس الحجم، ولكن الحنية المركزية تشير إلى جهة الشرق[202]، تقوم الحنيات الثلاث في هيكل البناء العمراني الأساسي على شكل صليب، الحنية

[201] Hirschfeld, Y. (1992): The Judean Desert Monasteries in the Byzantine Period. New Haven,Conn. P: 15.
[202]Ovadiah, Ashe . P.R. P: 46.

المركزية في الوسط نصف دائرية أكبر قليلًا من الصغيرتين المتماثلتين على الطرفين واللتان تمثلان نصف دائرتين متساويتين في الحجم والعمق (شكل 17).

تم استخدام المكان كمسكن في البداية، ثم استخدم كمقبرة، وتمتد هذه المغارة تحت الكنيسة ثلاثية الحنيات، وأيضًا تحت كنيسة صغيرة حنيتها مفقودة.[203]

4.4 كنائس دير مار سابا

يقع دير مار سابا في صحراء القدس جنوب شرق مدينة بيت لحم أسفل حافة منحدر عميق[204]، وهو دير القديس ساباس (439م – 532م)، وقد ولد القديس ساباس في قرية موتالاسكي في كابادوكيا، وانتقل إلى القدس عندما كان في الثامنة عشر من عمره، ثم انتقل إلى الصحراء للتعبد، ورفع وتيرة تعبده بالصيام والتواضع والطاعة، وعندما بلغ الثلاثين عامًا (469م) عاش خمس سنوات في كهف لوحده. ومن الجدير بالذكر أن ساباس قد توفي عن عمر يناهز التسعين عامًا في الدير ودفن هناك، وبعد خمسة قرون أخرج الصليبيون رفاته ونقلوها إلى القسطنطينية، ومن ثم إلى البندقية عام 1204م، وفي عام 1965م أعاد البابا بولس السادس الرفات إلى فلسطين (مار سابا) أثناء زيارته لها.[205]

أما الدير فهو عبارة عن مستعمرة رهبان مكونة من عدة كنائس يحيط بها سور، أسسها ساباس على منحدرات وادي قدرون أو وادي الراهب أو بما يعرف الآن باسم وادي النار[206]، وكان قد بناه عندما كان عمره

---

[203] Bagatti, Fr Bellarmino. (1984). The church from the Gentiles in Palestine History and Archaeology. Franciscan Printing Press, Jerusalem. P: 25.

[204] The British School of Archaeology in Jerusalem. (1981): Levant. Hinde Mews, Marylebone Lane, London. P: 97.

[205] Al-assa, Aziz. (2021): The Monsatry of Mar Saba SouthEast of Jerusalem: The Avent Grade of the Jerusalemite Monsaties. ***Rimak International Journal of Humanities and Social***. Rimar Acaemy, Faith, Istanbul, 34039 Turkey. V. 3, Issue 8, P:

[206] تكمن اهمية واد قدرون بـأنه يربط القدس بصحرائها، وأن طبيعته الجغرافية ساعدت في حماية المدينة، وتشكل أسطحه الصخرية بيئة مناسبة لبناء الكهوف والمقابر.

أربعين سنة عام 478م، وبعد خمس سنوات بدأ الرهبان يتجمعون حوله حتى وصل عددهم إلى 70[207]، وكانوا يطلقون على الدير اسم (لورا) ويعني الدير العظيم، ويعتبر دير مار سابا الدير الوحيد الموجود في صحراء القدس الذي مازال مستخدمًا من قبل الرهبان حتى الوقت الحاضر، وبلغ عدد الرهبان في ذروة نشاط الدير أكثر من 300 راهب، وكثيرًا ما وصفته سجلات الحجاج، ووصفه المؤرخين في كتبهم[208] (صورة 31).

يتكون الدير من كنيستين قديمتين، أما الأولى فهي عبارة عن كهف طبيعي وهي كنيسة ثيوتوكس (Theotokos) أي (من عمل الإله) وتم تكريسها للقديس نيكولاس عام 491م، والثانية هي الكنيسة الرئيسة أو البازليكا (صورة 32) وقد شُيّدت عام 502م من جهة الشرق، وكانت على شكل صليب، ويعلوها قبة مستديرة مزينة باللوحات والأيقونات، وتسمى ثيوكستوس (Theokistos) تم تكريسها للسيدة مريم والدة المسيح (الشكل 18) الكنيسة الأولى، كنيسة الكهف، وهي عبارة عن ثلاث حجرات متداخلة، لها حنية باتجاه الشرق في غرفة الوسط الكبرى، يتم العبور إلى الحجرات من خلال مداخل داخلية في جدران الكهف.

أما الكنيسة الثانية فهي عبارة عن رواق مركزي تقع في جهته الشرقية حنية نصف دائرية، كما يوجد غرف مساعدة يتم العبور إلى أحدها من طرف الحنية عبر ممر قصير، ويتم العبور إلى غرفتين أخريين من بوابات داخلية وخارجية في الجدران، إذ يوجد غرفتان متجاورتان على جانبي مدخل الكنيسة يفصلهما (مدخل) بعرض الرواق المركزي مقابل الحنية، ويفصلهما فناء يحتوي على قبر القديس ساباس، وغرفة طعام،

[207] J. Patrich. (1995): Sabas, Leader of Palestinian Monasticism. A Comparative Study in Eastern Monasticism, Fourth to Seventh Centuries. Washington, DC: Dumbarton Oaks Research Li-brary and Collection. P 57-66.
[208] G. C. Bottini, L. Di Sengni & E. Alliata. (1990): Christian Archaeology in the Holy land New Discoveries. Franciscan Printing Press, Jerusalem. P: 142.

ومطبخ، ومخبز، وغرف نوم، وحوالي عشرين صهريجًا، ومسكنًا لعشرات الرهبان الذين يعيشون فيه[209]، كما يحتوي على نزل يستقبل الحجاج في الخامس من شهر كانون الأول الذي يصادف يوم عيد القديس ساباس، الذي يستوعب حوالي مئتي حاج.[210]

تمتد بقايا الدير القديم حتى 2 كم على طول حافة الوادي الضيق، أما المنطقة القريبة من المركز فتقع على بعد 250م من كلا الجهتين، وتستوعب كثافة سكانية أكبر، إلا أنه تم بناء وحدات سكنية للرهبان أو الناسكين، تظهر بقاياها للعيان.[211]

خلال التنقيبات عام 1982م– 1983م التي أجراها معهد إرتز من قبل الجامعة العبرية في القدس، حيث تم العثور على بقايا صوامع للدير (صورة 33) ولا يمكن تسميتها (بصومعة ناسك) لأنها في كثير من الحالات عبارة عن مجمعات واسعة من عدة غرف سكنية، ومساحة تخزين، وفناء، ونظام مياه للتجميع والتخزين، وعادةً ما كان يسكن هذا التجمع راهبٌ واحد، ولكن في عدة حالات سكنه أكثر من راهب، كراهب عجوز وتلميذه او خادمه، كما تم استكشاف باقي الكنيسة الأولى في هذا التنقيب، وكذلك تم الكشف عن عدد من كهوف العبادة (صوامع) على الجانب الشرقي للوادي، التي يتم تمييزها عن المساكن العادية من خلال الحنية في الجدار الشرقي.[212]

تعد الكهوف الصغيرة أبسط أنواع المساكن الموجودة في الدير، وهي تميز الفترة الأولى من تاريخ الدير (478 – 483م) وذلك عندما بدأ النساك بالتجمع تدريجيًا حول القديس ساباس، رغبةً منهم في العيش

[209] Corbo, P. Virgilio. P. R. P: 41 – 53.

[210] S. Vailhé. (1898-1899): "Le monastère de Saint-Sabas," EO 2, 332-41; 3 (1899-1900), 18-28 and 168-177.

[211] Frenkel, Y. (2001): "MarSaba during the Mamluk and Ottoman Periods," in The Saba-ite Heritage in the Orthodox Church from the Fifth Century to the Present. vol. 98. ed.J. Patrich; Leuven 111–16.

[212] Patrich, Joseph. (1993): Chapels and Hermitages of St. Sabas' Monastery. Ancient Churches Revealed. Israeli Exploration Society. Old City Press Ltd. Jerusalem. P: 233.

تحت إرشاده وتأثيره الروحي، وقد كان أول مسكن للقديس ساباس عبارة عن كهف طبيعي يبلغ طوله 6 أمتار، وعرضه 3.2 متر، ويقع على قمة جرف صخري، وكان هناك بساط على الأرض وأيقونة قديسين من مصر، وضعت داخل الحنية.

وفيما يلي وصف لبعض الكهوف أو صوامع التعبد (الخلوة) التي تم الكشف عنها خلال التنقيبات[213] (شكل 19)، وقد رقمت لتسهيل الدراسة[214]:

في الصومعة رقم 2 توجد كنيسة صغيرة محفوظة بالكامل بالقرب من قاع الحافة الغربية من الوادي الضيق، تخدم مجموعة صغيرة من الرهبان، وهي غرفة مستطيلة الشكل أبعادها 2.7م × 1.8م، ومدخلها من الشمال، وتحتوي على حنية نصف دائرية تم حفرها في الجدار الشرقي، وهي مكسورة، وعلى الجدار الشمالي من جهة اليسار وفيها محراب مستطيل الشكل، أما سقفها فمحفوظ بشكل مثالي، وهو عبارة عن قبة من الحجارة غير المتجانسة والمدمجة بالطين، وأرضيتها من الجص الأبيض، والسقف والأرضية مغطاة بالطين تحت الجص الأبيض.[215]

وقد تم تزيين جدرانها بلوحات جدارية ملونة بأشكال نباتية مختلفة تم إنشاؤها من خلال دوائر متداخلة، تم حفرها أولًا بواسطة فرجار على الجص الأبيض، ثم رسمها بقلم رصاص أحمر، ولاحقًا تم طلاء المساحات بينها بألوان مختلفة، وقد كانت الحافة الخارجية للقبة نصف الدائرية للحنية محاطة بإكليل نصف

[213] Patrich, Joseph. P. R. P: 233 – 243.

[214] تم ترقيم الصوامع من 1 إلى 50 حسب موقعها جغرافيًا بالنسبة للوادي من الشمال إلى الجنوب، والصوامع التي تناولها هذا البحث هي التي تم الكشف عنها خلال التنقيبات في الفترة المذكورة أعلاه.

[215] Patrich, Joseph. P.R. P: 235 – 236.

دائري مطلي باللون الأصفر والأخضر والأسود والوردي والأحمر والأزرق الفاتح، ومن الجدار الشمالي هناك جزء محفوظ من شريطين متشابكين أحدهما مطلي باللون الأحمر.[216]

وفي الصومعة رقم 21 تم بناء كنيسة صغيرة فوق حجرة السكن لأن المساحة محدودة، وتخدم راهبًا واحدًا فقط، ويدل وجود الحنية نصف الدائرية على وجود كنيسة صغيرة في الصومعة، وهي مقطوعةً بعمق طولي في الصخر العلوي فوق حجرة السكن، ولا تزال مغطاةً جزئيًا بالجص الأصلي، كما يظهر المخطط المعاد بناؤه غرفة أبعادها 2.6م × 3.2م، ولها مدخل من جهة الغرب.

أما الصومعة رقم 23 فتسمى (بيت القديسة صوفيا) وقد أعيد بناؤها مؤخرًا، وتمثل صومعة صغيرة تحتوي على غرفة مسكن ومصلى مفصولين بقاعةٍ داخلية، والمدخل من القاعة الأمامية التي تحتوي على صهريج تحت الأرض، وتبلغ أبعاد المصلى فيها 2.7م × 2.2م، وفي زواياها الأرضية بقايا فسيفساء بيضاء، كما يحيط مجمع الصومعة[217] جدار عالٍ، ووفقًا لنقش إغريقي يعود لعام 657م فقد تم نقل عظام القديسة صوفيا أم القديس ساباس إلى هذا المكان، كما يوجد على الجدران رسومات تمثل صلب المسيح وقيامته والرقاد.[218]

صومعة 28 وتقع إلى جهة الغرب في المنحدرات العالية، وهي مجمع عمودي فيه ستة مستويات مختلفة من غرف السكن، ويسكنها عدة رهبان، وتحتوي غرف المعيشة فيها على أرضيات بيضاء عادية من الفسيفساء، أما الغرفة التي من المفترض أنها كنيسة صغيرة فأرضيتها مرصوفة بالفسيفساء الملونة ونمط شبيه بالسجادة، مكونة من أشكال معينات ومربعات ومثلثات حول (إكليل من الزهور) ويوجد في كل مربع

[216] Patrich, Joseph. P.R. P: 237.

[217] سميت مجمع لأنها تحتوي أكثر من عنصر، منها المصلى، وحجرة السكن، وخزان الماء، وغيرها.

[218] Patrich, Joseph. P.R. P: 241.

نمط هندسي، وفي كل معين ومثلث تصميم أزهار بسيطة، كما أن الجدار الشرقي منهار، ولكن يمكن تمييز حنية مستطيلة الشكل محفورة في الجدار الشمالي الصخري ارتفاعها 1.45م.[219]

صومعة رقم 29 تقع على الجهة المقابلة لوادي قدرون، وتنسب إلى القديس (Johannes Hesychastes) وهو أحد رهبان الدير المميزين، حيث عاش هناك من 491م إلى 559م، وقد تم حفر الصومعة بشكل عمودي في الشق الصخري، وهي مخصصة لراهب واحد، وتتميز كنيستها بتفاصيلها الدقيقة، حيث أن لها حنية عريضة تقع فوق غرفة سكن أبعادها 4م × 2.7م، ويمكن تمييز مرحلتين من بناء كنيستها، المرحلة الأولى تم قطع الكنيسة في الصخر بأبعاد 3م × 4م فوق خزان مياه، وكان عرض حنيتها 2.3م وعمق 1.5م، بينما كان سقف حجرة السكن بمثابة شرفة مفتوحة أمام الكنيسة توفر الإضاءة والمدخل للصومعة، ويمكن الدخول إلى الغرفة السفلى من خلال الشرفة عن طريق سلم من الجانب الجنوبي.[220]

في المرحلة الثانية من بناء الصومعة تم إغلاق الشق بالكامل بجدار طوله 11.5م وبالتالي شكل برجًا للتسلق يتيح الوصول إلى حجرة السكن والكنيسة أعلاه، وتحتوي الكنيسة الآن على مصلى أبعاده 4م × 3.9م، وينخفض درجتين عن الحنية ذات شكل حذوة الفرس عرضها 2.2م وعمقها 2.5م، وتم حفرها لتغطي كافة مساحة الكنيسة الصخرية السابقة، وفي جانبها الشمالي هناك حنية صغيرة أخرى مربعة الشكل وفي جانبه الجنوبي باب يؤدي إلى الشق الصخري الطبيعي، كما تم تغطية الجدران والسقف الصخري والأرضية بالجص.[221]

[219] Patrich, Joseph. P.R. P: 238 - 239.
[220] Patrich, Joseph. P.R. P:238.
[221] Patrich, Joseph. P.R. P: 240.

تم رسم ثلاثة قديسين على جدار الحنية في الصومعة المذكورة فوق طبقة واحدة من الجص بجودة ممتازة،، ومن ثم تغطيتها بالطلاء الأحمر بشكل متكرر، وقد عرفت أسماؤهم من خلال نقوش إغريقية وهم: حنانيا، وزكريا، وميشائيل، وعلى يسار الأشكال الثلاثة وُجد نقش كتب عليه: (مصلى القديس يوهانس في كولونيا)، وعلى الأغلب أنه نقش بعد موت القديس، ومن المرجح أن النقوش الأخرى نقشت بخط مشابه، مثل الرسومات التي تم تجديدها في نفس الفترة.[222]

بنيت كنيسة كاملة مقابل الشق الصخري في الصومعة رقم 32، وكان يستخدمها راهبان على الأقل، ووفقًا للقيود التضاريسية فقد تم بناؤها كمنزل واسع بطول 6 م وعرض 3م، ويتم الدخول إليها من الجنوب من خلال غرفة انتظار طولها 3.5م وعرضها 3م، ويوجد أيضًا حنية نصف دائرية متقنة الحفر بطول 1.3م وعرض 0.75م، وعمق يتراوح بين 0.75م و0.35م تم حفرها في مركز الجدار الشرقي الصخري للصومعة. ولا يزال سطح الحنية نصف الدائري مغطى بطبقة من الجص الممزوج بقطع من الفخار المكسر على طبقة من رقائق الحجر المسطحة، كما أن هناك حنية أخرى أصغر، شكلها مربع غير منتظم تم قصها إلى يمين الحنية المذكورة، أما أرضية الكنيسة فهي مرصوفة بفسيفساء بقطع بيضاء كبيرة، والسقف مدعوم بعوارض خشبية أفقية ترتكز على الجدار الصخري الشرقي وجدار الدير الغربي.[223]

في الصومعة رقم 33 والتي سكنها ثلاثة رهبان، يظهر وجود كنيسة صغيرة داخل الكهف الطبيعي عرضها 5.2م من جهة المدخل، وعمقها 2.8م وقد تم فيها استخدام صخرة كمذبح ارتفاعها 1.1م وعرض

[222] Patrich, Joseph. P.R. P: 240.
[223] Patrich, Joseph. P.R. P: 2.34

1.05م، وعمق 0.6م من الجدار الشرقي، وذلك لعدم وجود حنية في المكان، وقد غطيت الجدران الصخرية والمذبح بجص أبيض من الجير، ورصفت الأرضية بفسيفساء بيضاء اللون. [224]

وتوجد في المكان كنيسة صغيرة أخرى مدخلها من الغرب وتشبه في أبعادها الطابق العلوي لصومعة 28 فوق الكنيسة الموصوفة في صومعة رقم 2، وهي بحالة سيئة بشكل عام، أرضيتها مغطاة بفسيفساء بيضاء تم ترميمها بقطع من الرخام وألواح الشست، وفي الأنقاض تم العثور على أجزاء من حاجز المذبح وقطعتان خرسانيتان صغيرتان من عمود المذبح قطرهما 7.5سم و 8سم، أحدها مرسوم على سطحها الأبيض صليب أحمر، وأجزاء من لوح المذبح الخرساني، كما عثر على صفيحة رقيقة مستطيلة صغيرة من البرونز يفترض أنها كانت تزين صليبًا خشبيًا، وكانت ألواح النوافذ في الكنيسة العلوية دائرية ومثبتة في إطارات مربعة الشكل مصنوعة من الخرسانة. [225]

أما صومعة 34 فكان يستخدمها راهب واحد، وللكهف شرفة مفتوحة فوق بناء يشبه البرج يحتوي على خزان، والكهف مقسم باستخدام جدارين فاصلين في غرفة المسكن (3.5م × 4م) يقود إلى مصلى ومساحة داخلية للتخزين، أما المصلى فطوله 5م وعرضه 4م، وبنيت القاعة مقابل الجدار الشرقي بالقرب من الزاوية الشمالية، وتحتوي على ثلاثة حنايا أكبرها الحنية المركزية، وجميعها مبنية على قاعدة مشتركة، كما رُسم صليبان صغيران أحدهما فوق الآخر على القبة نصف الدائرية المركزية باللون الأسود، وقد بنيت الحنايا الثلاثة برقائق حجرية ملتصقة بالطين، ومغطاة بجص طيني، ومطلية بلونٍ أبيض، والجدران والسقف الصخري والأرضية جميعها مطلية بجص أبيض جيري. [226]

[224] Patrich, Joseph. P.R. P: 235.
[225] Patrich, Joseph. P.R. P:237 – 238.
[226] Patrich, Joseph. P.R. P: 240.

الصومعة 43 تحتوي على كنيسة، وتبلغ أبعادها 2.3 × 3.2 م، ويتم دخولها من الجنوب، وتقع في داخل الكهف الطبيعي، تم إعادة تزيين جوانبها بجدران حجرية لخلق مساحة متوازنة، أما حنيتها فهي مستطيلة الشكل، وهي غائرة في الجدار الشرقي، كما تم حفر فتحتين دائريتين وواسعتين في الجدار الشمالي، ومن جهةٍ أخرى، تم الحفاظ على الطلاء الأحمر الموجود فوق الجص الأبيض الجيري الذي يغطي الحنية والجدران. [227]

إذن، يمكن القول أن كل صومعة تحتوي على حنية أو مذبح، وصليب أو أيقونة، وفي الصومعة يوجد غرفة منفصلة تستخدم كمصلى، وهناك لمسات فنية واضحة في الكنائس، حيث تم تزيينها بالفسيفساء الملونة واللوحات الجدارية والجص، ولكن غير موجودة في غرف المساكن، وجميع الكنائس الصغيرة الخاصة تعتبر جزءًا لا يتجزء من الصومعة التي كان يستخدمها الرهبان الذين سكنوا الغرف المجاورة، هذا ومن المؤكد أنه لم يتم بناء أي كنيسة لإحياء ذكرى الرهبان بعد موتهم، ولكن تم بناء صومعة متقنة مع كنيسة صغيرة لاستخدام راهب متميز، وذلك من قبل سلطات الدير أو أقربائه.

من الجدير بالذكر أن للدير تقاليد صارمة، ولا يسمح للنساء بدخوله، ولكن من المعاينة المباشرة للباحثة عبر الممرات العليا التي تطل عليه من الخارج لوحظ حركة إعمار داخل المجمع المسور، ومواد بناء يتم إدخالها إليه وعند النزول إلى قاع الوادي عبر الممرات المنحدرة إلى الأسفل، والتي سويت كأدراج لوحظ إعادة تجديد وإعمار لاثنتين من الصوامع الكهفية في أعلى الجرف الصخري، وواحدة في الجزء الجنوبي الذي يطل على الأسفل، وذلك بإغلاق فوهاتها بجدر حجرية وترك بوابة عبور، إلا أنها غير مشغولة بالرهبان.

[227] Patrich, Joseph. P.R. P: 234.

كما لوحظ بقاء عشرات الكهوف والمغر التي كانت صوامع يومًا ما على جوانب الممرات وجوانب الجرف الصخري على حالها من الإهمال، إلا أن الكتلة البنائية الأساسية ظلت مأهولة.

4.5 كنيسة مغارة الحليب

تقع جنوب شرق كنيسة المهد على رأس منحدر يطل على جبل موؤاب، وهي مغارة طبيعية موجودة في صخر هش حوري يتم النزول إليها عن طريق سلم حجري، لا تزال بقايا الجدران وأنماط الفسيفساء الهندسية موجودة في الجانب الغربي من جدار الكنيسة الحديثة[228]. وترتبط هذه الكنيسة بأسطورة تروي أن السيدة العذراء توقفت في هذا الكهف لترضع ابنها السيد المسيح، حينها سقطت قطرة من الحليب أدت إلى تبييض جدران الكهف. ومن المرجح أن الكنيسة بنيت في الموقع قبل القرن الخامس الميلادي، كما سُميت تيمنًا باسم السيدة العذراء، ولاحقًا باسم (القديسة باولا) وهي أول من بنى كنيسة فوق هذا المكان سنة 404م في القرن الخامس الميلادي، وبعدها عرفت باسم (القديس نيكولاس) وقد عثر في داخلها على مصلى بيزنطي، ومقبرة،.[229]

من ملاحظات الباحثة أنه جرى بعض التعديلات على المغارة الأصلية، فقد فتح مدخل في الجدار الغربي للكهف، وألحق به دهليز يقود إلى غرفة خارجية مقببة ملاصقة لها بنيت في القرن الماضي، وألحقت بالمغارة للصلاة والاجتماع، كما رممت الفجوات الحورية في جدارها وأضيئت بالكهرباء، وورصفت الأرضيات بالبلاط الحجري.

[228] The British School of Archaeology in Jerusalem, Levant.
[229] Prag, K. Bethlehem: A Site Assessment, pp 169 – 181.

الكنائس المهدمة

4.6 كنائس هيروديوم

ذكرت قلعة هيروديوم في كتابات المؤرخ Pliny ويوسفوس فيلافيوس، وأيضًا وثائق حرب باركوخبا، وتعد شاهدًا على انتصار هيرود على الحشمونيين عام 40 ق. م.[230]، وتم تسميته نسبةً لهيرود نفسه الذي أراد أن تكون القلعة الفخمة مكانًا لدفنه، ويعتبر موقع القلعة استراتيجيًا لسيطرتها على الطرق الرومانية القديمة التي تمتد من جنوب فلسطين حتى شمالها وصولًا إلى مدينة القدس، وللقلعة عدة وظائف تتمثل في الحماية، وحفظ الكنوز ، ومخازن للحبوب.[231]

تقع القلعة على بعد 5 كم جنوب شرق بيت لحم، حيث تم بناء مجمع ضخم يتكون من قصر وقلعة ونصب دفن الملك، وقصر دائري محصن غير عادي تم بناؤه على قمة تل اصطناعي ومعدل، يعرف بهيروديوم.

تم إجراء حفريات في التل من قبل (V. Corbo) عام 1962م– 1967م، والتي كشفت عن وجود بقايا أثرية بيزنطية من ضمنها كنيسة بنيت داخل بقايا هيروديوم، حيث أن جدرانها الجنوبية والغربية تعود لزمن هيرودس، وتبلغ 7.8 م طولًا و 3.4م عرضًا، ويوجد في طرفها الشرقي حنية يبلغ قطرها 2.6م، ومن الواضح أن هذه الكنيسة استخدمها مجموعة من الرهبان الذين اتخذوا مسكنهم على قمة التلة.[232]

---

[230] Netzer, Ehud & Briger- Calderon, Rivka & Feller, Ayala. (1993). ***The Churches of Herodium***. Ancient Churches Revealed. Israel Exploration Society, Jerusalem. P: 219 – 236.

[231] أبو ارميس، ابراهيم. (2012): هيروديوم، دراسة تاريخية أثرية. مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، العدد 28 (1). ص 312 – 324.

[232] Netzer, Ehud. (1987). Herodium An Archaeological Guide. Cana, Jerusalem. P: 44.

وفي عام 1973م – 1983م خلال حفريات أجراها Ehud Netzer تعود للجامعة العبرية في القدس تم اكتشاف ثلاث كنائس على النمط البازليكي[233]، امتدت بقاياها أسفل التل على ما يزيد عن 15 هكتارًا، حيث عمل المواطنون الجدد على استغلال كل جدار وغرفة، ولاحقًا تم بناء أبنية جديدة وكنائس بعضها على قمة التل، وأخرى بجانب البقايا الأثرية مستخدمين حجارتها في البناء.[234]

وهذا تفصيل للكنائس الثلاث:

4.6.1 الكنيسة الشمالية

تتكون هذه الكنيسة من منبر مستطيل الشكل، ومكان الحنية الدائرية غرفة مستطيلة مفتوحة باتجاه القاعة الرئيسة، وعلى الجانب الآخر من المنبر يوجد غرفة صغيرة، كما أن القاعة نفسها محاطة من ثلاثة جهات غرب وشمال وجنوب بمقاعد مدمجة، ويوجد أربعة أعمدة مربعة في كل جانب من القاعة تفصل الأروقة الجانبية عن الرواق المركزي، وهي أعمدة غير مزخرفة وتفتقر للتيجان، وتدعم الأعمدة أروقة حجرية[235]. كما تبلغ أبعاد القاعة الداخلية الرئيسية 8.5م عرضًا و 10.4م طولًا، ورواقها المركزي مع البيما (الهيكل) 13.1 طولًا (شكل 20).

كما تحتوي قاعة الكنيسة على أرضية فسيفسائية معظمها مدمرة، وتشبه شكل السجادة، وتوجد سجادة أخرى على طول الرواق المركزي، وكذلك في الأروقة الجانبية، كما يوجد لوحات فسيفسائية صغيرة بين الأعمدة، والأشكال المستخدمة في اللوحات الفسيفسائية هي أشكال هندسية، كما أن كل سجادة فسيفسائية لها

[233] Ovadiah, Ruth & Asher. Hellenistic, Roman and Early Byzantine Mosaic Pavements in Israel. W.F Albright Institute of Archaeological Research, Jerusalem. P: 46.
[234] (1983): Excavations and Surveys in Israel 1983 Volume 2. English Edition of Hadashot Arkheologiyt Archaeological Newsletter of the Israel Department of Antiquities and Museums, Jerusalem. P: 73.
[235] Netzer, Ehud & Birger- Calderon, Rivka & Feller, Ayala. P.R. P: 220.

زخرفة مختلفة، وعلى الطرف الشرقي من السجادة الكبيرة يوجد نقش مكون خمسة سطور مكتوب باللغة اليونانية على لوح حجري ذو مقبضين (tabula ansata)، كما احتوت البيما على أرضية فسيفسائية، وفي مركزها آثار تدل على وجود طاولة منبر، وآثار تدل على وجود عمودين من أعمدتها الأربعة، يحيط البيما (الهيكل) مذبح الهيكل، والذي لم يتبق له أي أثر، وهناك إشارات على وجود طاولة قراءة مستطيلة الشكل لها درجات عند أطرافها كانت موجودة عند الحافة الشمالية، ولكن تم إزالتها عندما كانت الكنيسة لا تزال قائمة.[236]

يوجد غرفة صغيرة (أبعادها 1.9م × 2.2م) جنوب المنبر، وتحتوي على حوض في مركزها (أبعاده 60سم × 60سم)، وقد بني من الملاط وغُلّف به، وغُمر جزئيًا في أرضية فسيفسائية بيضاء اللون، وعلى الأرجح أنه كان جرن المعمودية، والغرفة نفسها كانت غرفة المعمودية، أما الغرفة شمال المنبر، فتحتوي على أرضية فسيفسائية مزخرفة بخطوط من الأزهار وأنماطٍ أخرى، ويمكن أن تكون غرفة لتحضير الخبز والنبيذ.[237]

يتم الدخول إلى القاعة الرئيسة من الغرب عبر مجاز طويل وضيق ومغلق (narthex) من خلال ثلاثة مداخل، المدخل المركزي يقود إلى الرواق الأوسط، بينما المدخلين الآخريين فيقودان للأروقة الجانبية، ويتم الدخول إليه من الجنوب من خلال فناء غير مكتشف بعد، وليس من الغرب كما هو متعارف عليه، وهو مرصوف بأرضية فسيفسائية مكونة من صفوف متناوبة من الأزهار والمربعات، وفي منتصف المجاز مقابل المدخل الرئيس تم الكشف عن نقشٍ مكتوب باليونانية موجه باتجاه الغرب، وموضوع بطريقة غير تقليدية، حيث يبدو كأنه بوابة تحتوي على صليب يقسمها إلى أربعة ألواح، اللوحين العلويين يحتويان على القسم

[236] Netzer, Ehud & Birger- Calderon, Rivka & Feller, Ayala. P.R. P: 224.
[237] Netzer, Ehud & Birger- Calderon, Rivka & Feller, Ayala. P.R. P: 221 – 222.

الأول من النقش، واللوحين السفليين يحتويان على القسم الثاني منه، كما تقع ثلاث غرفٍ أخرى بجانب قاعة الكنيسة، رواقها يقع إلى الشمال الغربي منها هي الأكبر (أبعادها 3.5م × 7.6م) وتحتوي على أرضية فسيفسائية مكونة من صفوف من الأزهار، وتحتوي في مركزها على نقشٍ مكون من خمسة سطور مكتوب على لوح ذو مقابض مفصلية.[238]

أما الغرفة التي تقع في الجزء الشمالي الغربي فهي الأصغر، وتحتوي على درج يقود إلى طابقٍ علوي، ويتم الدخول إليها عبر الرواق، ويقع الطابق العلوي فوق الأروقة الجانبية والرواق المركزي، وتكشف بقايا حطامها المكون من الفسيفساء والملاط على أنها كانت مرصوفة بالفسيفساء ذات أرضية بيضاء، وبالنسبة للغرفة الثالثة الوسطى فيتم الدخول إليها من خلال سلم، والجدير بالذكر أن آخر غرفتين كانتا مرصوفتان بالفسيفساء البيضاء التي يتخللها بعض الحجارة السوداء والحمراء بدون أي نمط محدد.[239]

إن أنماط الفسيفساء المكتشفة في الكنيسة الأولى هي أنماط تقليدية للفسيفساء البيزنطية في تلك الفترة، أما النقوش المكتشفة في الكنيسة الشمالية فتحمل جميعها أسماء العائلة المتبرعة، وعلى الأرجح أنها تعود لنهاية القرن الخامس الميلادي أو النصف الأول من القرن السادس الميلادي، كما أن إضافة اسم جديد للنقش (وهو اسم طفل) الموجود في الغرفة شمال القاعة الرئيسة يمكن أن يشير إلى إضافة جزء جديد إلى مبنى الكنيسة الأصلي.[240]

[238] Netzer, Ehud & Birger- Calderon, Rivka & Feller, Ayala. P.R. P: 222 – 224.
[239] Netzer, Ehud & Birger- Calderon, Rivka & Feller, Ayala. P.R. P: 224 – 225.
[240] Netzer, Ehud & Birger- Calderon, Rivka & Feller, Ayala. P.R. P: 224.

4.6.2 الكنيسة المركزية

بنيت الكنيستين الشمالية والشرقية كأبنية مستقلة، أما الكنيسة المركزية فقد تم دمجها في جدار من المباني التي تضمنت أيضًا بقايا هيروديون (النصب التذكاري) والتي تم تنظيفها من أنقاضها، وتقسيمها إلى عدد من الغرف[241] (شكل 21).

تبلغ الأبعاد الداخلية للقاعة الرئيسة 11.4م طولًا، و10.2م عرضًا، أما الرواق المركزي مع الحنية إلى طرف البيما فتبلغ 13.8م طولًا، والحنية محاطة بغرفتين صغيرتين، كما يوجد بين الأروقة الجانبية والرواق المركزي للكنيسة صف من أربعة أعمدة، تقف على قاعدة بدائية، كما كشفت الحفريات عن بعض التيجان المختلفة في النقش.[242]

تشير الآثار إلى أن قاعة الكنيسة الرئيسة كانت مغطاة بالفسيفساء مع سجادة مركزية في الرواق المركزي، ولوحة إضافية في كل رواق، حيث تتكون زخرفة فسيفساء الرواق المركزي من تصميم هندسي معقد يجمع بين المعيّنات والدوائر، بينما كانت أنماط الفسيفساء الموجودة في الأروقة زخرفية، وعلى خلاف الكنيستين السابقتين لا يوجد في هذه الكنيسة لوحات منفصلة بين الأعمدة، ولكن بدلًا من ذلك هناك صفوف من أنماط خلفية من الورود والمربعات، تشبه تلك التي تحيط بسجاد الرواق المركزي والأروقة الجانبية، ولكن أكثر كثافة حيث يشبه ذلك الموجود في كنيسة بيت عنيا، ويشبه أيضًا فسيفساء خربة المفجر التي تعود لبداية الفترة العربية، بينما تمثل الأنماط في الأروقة التصاميم الشائعة في الفترة البيزنطية.

[241] Netzer, Ehud & Birger- Calderon, Rivka & Feller, Ayala. P.R. P: 227 – 229.
[242] Netzer, Ehud & Birger- Calderon, Rivka & Feller, Ayala. P. R. P: 222.

وتشير الآثار أيضًا إلى أن البيما (الهيكل) في الكنيسة المركزية كانت مرصوفًة بالفسيفساء بتصميم هندسي، ولكن لم يبق منها سوى جزء صغير، وأيضًا فسيفساء أشجار العنب على جدران الحنية وفي الحطام، وقد تم العثور على قطع من الجبس مزخرفة بنفس الطريقة، ويحمل مركز البيما المحاط بحاجز المذبح آثار أرجل المذبح الموجودة على جانبي المدخل إليه، والمصنوعة والمغطاة بالجبس، وعلى الجدار الغربي للرواق المركزي مقابل الحنية هناك محراب محفور في الصخر الطبيعي وارتفاعه 80 سم فوق مستوى الأرض.[243]

تقع المعمودية في هذه الكنيسة في الغرفة الجانبية الجنوبية للحنية (2×2 م) ويقع في مركزها جرن المعمودية المحفور من صخرة واحدة على شكل أسطوانة، قطره 1.1م وطوله 85 سم، وهو مقسم إلى أربعة فصوص، وله فجوة مربعة في قاعه، كما نُقش صليبٌ صغير في جداره، وبالنسبة للفسيفساء حول الجرن فكانت مزيج بين الأزهار والأشكال الهندسية، وزخرفة صليبية في مقدمته، الغرفة مفتوحة على الرواق الجنوبي تقريبًا بطول عرضه بالكامل، كذلك يوجد شمال الحنية غرفة صغيرة مدمرة جزئيًا، وأرضيتها من الفسيفساء أنها بيضاء اللون.[244]

أما مدخل الرواق الأوسط فيقع إلى الجنوب، وأمام مدخله ساحة مرصوفة، وعلى عكس الكنيستين الأخريين اللتين بنيتا في ظروفٍ أفضل فقد تم حفر الزاوية الجنوبية الغربية للكنيسة من الحجر الطبيعي، لذلك كان الدخول من جهة الغرب صعبًا، أما موقع المدخل الرئيس فيرجع لحقيقة وجود خزان كبير في مكانٍ قريب، والذي تم بناؤه في زمن هيرودس.[245]

[243] Netzer, Ehud & Birger- Calderon, Rivka & Feller, Ayala. P.R. P: 229.
[244] Netzer, Ehud & Birger- Calderon, Rivka & Feller, Ayala. P.R. P: 229.
[245] Netzer, Ehud & Birger- Calderon, Rivka & Feller, Ayala. P.R. P: 230.

يوجد مدخل آخر للقاعة الرئيسة يقع في الغرب مقابل الرواق الشمالي، وقد تم إغلاقه لاحقًا، ولم يتم تسوية أرضية القاعة، ولكنها تبعت التدرج الطبيعي للصخور التي تنحدر من الشمال إلى الجنوب، وقد يكون هناك طابق ثانٍ فوق الرواق يؤدي إلى أروقة أخرى، والدليل على وجود طابق ثان فوق الأروقة وربما فوق الرواق في الغرب أيضًا وجود حطام كبير من أحجار الفسيفساء مع الجص في المكان.[246]

توجد غرفة أخرى متصلة مباشرةً بالقاعة الرئيسة وهي مجاورة للرواق الشمالي بالقرب من زاوية القاعة الجنوبية الغربية، وهي على شكل شبه منحرف ولها مدخلان إلى القاعة الرئيسة، أحدها تم إغلاقه، وقد تم رصف الغرفة بفسيفساء بتصميم هندسي، وكان قد تم تعديلها وإصلاحها عدة مرات، ومع مرور الوقت تم بناء مقاعد على طول الجدران فوق أرضية الفسيفساء الأصلية، تتضمن المقاعد دعامات مدمجة لرأس الشخص أو الجزء العلوي من جسمه.[247]

وكما أشير في البداية أن معظم حجارة الكنيسة المركزية تم أخذها من الأبنية التي تعود لفترة هيرودوس، فبعضها لديه حدبة رئيسة، وبعضها مزخرف، كما أن الغرفتين في النهاية الشمالية للكنيسة بالإضافة للغرفة التي تحتوي المقاعد جميعها فمبنية من نفس المادة، ولكن لها مداخل مختلفة (صورة 34).

يوجد مبنى سابق تداخل مع الثلث الغربي من القاعة الرئيسة للكنيسة، ويوجد له محراب في الجدار الجنوبي، وقد تم إغلاقه لاحقًا، وللمحراب عتبة بطول 1.3م فوق أرضية الكنيسة، كما يوجد هيكل عمراني أسفل الرواق المركزي، لم يتم استخدامه عندما بنيت الكنيسة، ويمكن أن يكون قبر في وقت سابق في الفترة البيزنطية[248].

[246] Netzer, Ehud & Birger- Calderon, Rivka & Feller, Ayala. P.R. P: 231
[247] Netzer, Ehud & Birger- Calderon, Rivka & Feller, Ayala. P.R. P: 231.
[248] Netzer, Ehud & Birger- Calderon, Rivka & Feller, Ayala. P.R. P: 231.

4.6.3 الكنيسة الشرقية

كما في الكنيسة الشمالية يوجد في هذه الكنيسة أيضًا غرفتين على جانبي البيما، ولكن لم يتبقَ منها سوى جنوب الحنية، أما الأعمدة الواقفة على قواعد والمصفوفة والمتراصة فكانت تفصل الأروقة عن الرواق المركزي، ولم يتم العثور على تيجان الأعمدة خلال الحفريات، وفيما يتعلق بالقاعة الرئيسة فكانت مزخرفة بالفسيفساء مثل الغرف الأخرى في الكنيسة، ولكن معظمها محطمة، والأجزاء المتبقية منها تقع في جهة الغرب، تبلغ أبعاد القاعة الرئيسة من الداخل 12.3م طولًا و 8.3م عرضًا، أما الرواق المركزي والحنية والبيما فيبلغ طولها سويةً 14م [249] (شكل 22).

فسيفساء الكنيسة على شكل سجادة في الرواق المركزي والأروقة الجانبية، ويوجد لوحات صغيرة تفصل بين الأعمدة تحتوي على رصائع من أغصان العنب التي تحمل مجموعة من القطوف وأوراقها ومحاليقها (أغصان صغيرة لولبية توجد في النباتات المتسلقة) وتملأ القطع كذلك الحيوانات والطيور، وفيها طائر الطاووس، وكذلك مقطع من ورقة الأكانثس (وهي شجيرة أوراقها سنبلية مخرمة شائعة الاستخدام في الزخرفة اليونانية) ويوجد في الصف الثاني من اليسار شكل أسد محفوظ بالكامل تقريبًا، وإلى جانبه القسم العلوي من رأس نسر، وفي الصف الثالث يظهر القسم السفلي من ساقي طائر، أما باقي لوحات الفسيفساء فهي تتكون من أشكال هندسية، كما تم ملاحظة وجود بقايا دهان بألوان أحمر وأصفر وأخضر على الأرض تحت الفسيفساء بنفس شكل رصائع الأشكال المرسومة، مما يشير إلى أن صانعي الفسيفساء استخدموها لمساعدتهم في تثبيت الرصائع الفسيفسائية.[250]

[249]Netzer, Ehud & Birger- Calderon, Rivka & Feller, Ayala. P.R. P: 225.
[250] Netzer, Ehud & Birger- Calderon, Rivka & Feller, Ayala. P.R. P: 227.

إن بقايا أساسات الحنية بالكاد يمكن تمييزها، ويتم الدخول إلى القاعة الرئيسة من خلال ثلاثة مداخل عبر المجاز كما في الكنيسة الشمالية، ويبلغ عرض الرواق 2.5م وطوله بعرض الكنيسة، كما تم الكشف عن وجود فسيفساء غير مصقولة في الرواق لها إطار بسيط من مكعبات ملونة بالأسود والأزهار.[251]

توجد غرفتان أسفل جنوب القاعة الرئيسة يمكن دخولهما من خلال الرواق الجنوبي للقاعة الرئيسة، وتبلغ أبعاد الغرفة الغربية (2.9م × 4.5م) وهي غرفة المعمودية، حيث بني جرن المعمودية داخل فتحة في مركز الجدار الشرقي، وكانت أرضية الغرفة مزخرفة بفسيفساء من أشكال هندسية، وهي عبارة عن ثماني مربعات تحتوي أوراق ودوائر مرفقةً بأزهار صغيرة، أما تحت الأرض إلى الشمال فتم الكشف عن قبر مغطى بالورود والألواح الحجرية.[252]

يعتقد أن الغرفة الثانية كانت كنيسة صغيرة، وهي أكبر من الغرفة الأولى (2.9م × 7.8م) ولكنها محطمة من الجهة الشرقية، أرضيتها مرصوفة بإطار أسود اللون من الفسيفساء وأنماط من الزهور والمربعات، وكما تم الكشف عن خطوط ملونة تحت الفسيفساء، ويوجد مقابل باب المدخل نقش مكون من أربعة سطور موضوع في لوح ذو مقابض مفصلية، ولكن لم يتبقَ منه سوى قسم صغير، يمكن أن يحتوي السطر الأخير منه على اسم الكنيسة، ومن الجدير بالذكر أن هذا النقش يختلف عن النقوش المكتشفة في الكنيسة الشمالية، ومن الواضح أنه يشير إلى القسم الثاني من القرن السادس الميلادي أو بداية القرن السابع الميلادي.[253]

[251] Netzer, Ehud & Birger- Calderon, Rivka & Feller, Ayala .P.R. P: 226.
[252] Netzer, Ehud & Birger- Calderon, Rivka & Feller, Ayala. P.R. P: 226 – 227.
[253] Netzer, Ehud & Birger- Calderon, Rivka & Feller, Ayala. P.R. P: 227.

إذن، فالكنائس الثلاث المكتشفة وفقًا لتاريخ اكتشافها هي[254]:

1. الكنيسة الشمالية، تم اكتشافها عام 1978م وتقع على شمال طريق زعترة – تقوع، فوق أنقاضٍ أثرية تعود لعهد هيرودس.

2. الكنيسة المركزية (الوسطى)، تم اكتشافها عام 1981م – 1983م، وتقع مجاورةً لجنوب البناء الضخم بالقرب من البركة الكبيرة في قلب هيروديوم، وأقيمت فوق بقايا من فترة هيرودس، حيث تم إعادة بنائها باستخدام حجارة رومانية سابقة.

3. الكنيسة الشرقية، تم اكتشافها عام 1979م– 1980م، وتقع في الجزء الجنوبي الشرقي فوق أنقاض مبنى يرجح أنه كان جناحًا للقصر المركزي في هيروديوم، حيث كانت بعض جدران المبنى الأصلية قواعدًا لمبنى الكنيسة.

ومن الجدير بالذكر أن الكنائس الثلاث تحتوي على خصائص مشتركة، فجميعها بُنيت بحجم متوسط، وجميعها لها تصميم بازيلكي، وجميعها مزينة بأرضية فسيفسائية، وجميعها تحتوي على غرفتين (باستوفوريا) صغيرتين على أحد جانبي الحنية، وجميعها تحتوي على غرفة معمودية.

تقع الكنائس الثلاث في هيروديوم بالقرب من بعضها، ولم يكن وجود عدة كنائس في نفس المنطقة ظاهرة غريبة، ولكن يمكن أن يطرح أسئلة حول ماهية هيروديوم فيما إذا كان بلدة صغيرة، أو قرية، أو قلعة، ولكن تظهر خصائص هذه الكنائس أنها خصائص كنائس قروية، صغيرة والشكل صرحٌ آخر من هذا القبيل،

[254] (1986): Excavations and Surveys in Israel 1986 Volume 5. English Edition of Hadashot Arkheologiyt Archaeological Newsletter of the Israel Department of Antiquities and Museums, Jerusalem. P: 91.

ولها خصائص مميزة أيضًا، مثل الكنيسة الشمالية التي لا تحتوي على حنية وإنما يوجد غرفة مستطيلة مفتوحة على القاعة الشمالية.

وتمتاز الكنائس الثلاث بوجود جرن المعمودية في كلٍ منها، إضافةً إلى مواقع أجران المعمودية في الكنيسة الشمالية والمركزية في غرفة تحيط الحنية من الجنوب، أما موقعه في الكنيسة الشرقية فيقع جنوب القاعة الرئيسة وهو الموقع التقليدي، ومن الخصائص المميزة أيضًا المقاعد الموجودة في الكنيسة الشمالية على طول ثلاثة جدران من القاعة الرئيسة، وهو تصميم فريد.

كما تمتاز الكنائس الثلاث بوجود غرفٍ جنوب أو شمال القاعات الرئيسة، حيث أن وظيفتها مرتبطة بقداس الكنيسة واستخدام الكهنة، وقد بنيت في نفس الوقت الذي بنيت فيه بقية الصرح أو بعدها بقليل، وكانت تستخدم في المناسبات ككنائس صغيرة، وفي حالة واحدة للمعمودية، وأيضًا لجمع القرابين، والتحضير للقربان المقدس.

وتعتقد الباحثة أن سبب تشابه القاعات الرئيسة في الكنائس الثلاث يعود إلى الفسيفساء، حيث أن تكوين الكنائس الثلاث يستخدم نفس المخطط، سجادة مركزية لها فكرة رئيسة، وإطار مزخرف في الرواق المركزي، وسجادات بإطارات بسيطة في الأروقة الجانبية، وفي كنيستين منهما هناك لوحات صغيرة بين الأعمدة، كما يوجد صفوف من الأزهار وأنماط زخرفية على خلفية بيضاء تحيط بالسجادات الرئيسة، ثم هناك تشابه عام بين الفسيفساء في الغرف المجاورة للقاعات الرئيسة.

وعلى الرغم من وجود تشابه بين الكنائس الثلاث في المظهر والتكوين، إلا أن هناك اختلاف واضح في التقنيات وأنماط الزخرفة، ففي الكنيسة الشمالية في الرواق المركزي تعد مجموعة الألوان (أربعة ألوان)

والرصائع الصغيرة متساوية في الحجم بشكل أساسي، مما يعطي الفسيفساء والتصميم الهندسي بشكل خاص خاصية ثنائية الأبعاد، بينما في الكنيسة الشرقية هناك استخدام أكثر للألوان (12 لون وظل) ويختلف حجم الرصائع وفقًا للنمط، وبالتالي هناك اختلاف كبير في فسيفساء هذه الكنيسة ودور أكبر للضوء والظلال، أما الكنيسة المركزية (الوسطى) فتستخدم تسعة ألوان، ويوجد أيضًا اختلاف في حجم الرصائع في الرواق المركزي والأروقة الجانبية، ولكن بدرجة أقل من الكنيسة الشرقية، ويعزى هذا الاختلاف لاختلاف ورشات العمل أو الفترات الزمنية، وتعود أشجار العنب في الكنيسة الشرقية إلى النصف الثاني من القرن السادس الميلادي، أما فسيفساء الكنيسة الشمالية فهي بسيطة الشكل، وربما تعود لنهاية القرن الخامس الميلادي أو بداية القرن السادس الميلادي، ويعود تاريخ الفسيفساء في الكنيسة المركزية لمرحلة لاحقة من الكنيستين الأخريين.[255]

من هنا فإن أفضل طريقة لمعرفة تاريخ الكنائس هو أرضية الفسيفساء، والنقوش المدمجة فيها، فوفقًا لهذه المعايير ومعايير أخرى تتضمن التركيب وتصميم الكنيسة، فإن هذه الكنائس على الأرجح تعود في بنائها للنصف الثاني من القرن الخامس الميلادي وحتى نهاية القرن السادس الميلادي، أما في ترتيب بنائها فقد بنيت الكنيسة الشمالية أولًا ثم الشرقية ثم المركزية (الوسطى)، كما تظهر جميع الكنائس علامات التجديد الحاصلة عليها، بعضها متعلق بالإصلاحات المنتظمة مثل إصلاح الأرضيات، وأخرى تتعلق بالتعديل مثل إضافة طبقاتٍ جديدة من الجص، أو إغلاق بعض المداخل، وهذا ما يثبت استخدام الكنائس لفترة طويلة من الزمن قد تمتد حتى بداية الحكم الإسلامي.

[255] Netzer, Ehud & Birger- Calderon, Rivka & Feller, Ayala. P.R. P: 232 – 234.

أما الكنائس في الوقت الراهن فقد بقي من زخارفها آثار ظاهرة للعيان في الموقع، وهناك الكنيسة العليا في هيروديوم العلوي حيث لم يتبق منها سوى بعض القطع الفسيفسائية والجدران، وهي مردومة، ولا اهتمام يذكر لها، وهي على شكل حنية نصف دائرية اتخذت مصلى فيما سبق (صورة 35). أما الكنائس الأخرى فالشمالية تظهر بقايا أطلال تتكون من ثلاثة مداميك ظاهرة على سطح الأرض، وقد تداخلت مع أبنية قديمة أخرى، وهي مهدمة تمامًا، وقد أحيطت بشارع التفافي حيث عزلها عن محيطها، ثم تم إغلاقها بسياج حديدي يمنع الوصول إليها (صورة 36) إلا أنها ظاهرة للمدقق عبر الشارع.

والثانية (المركزية الوسطى) المحاذية للبركة، فلم يتبق منها إلا أساساتها، وتظهر فيها بقايا متناثرة من الفسيفساء، ثم ما يشبه رواق مركزي يفصل الرواقين الجنوبي عن الشمالي، هذا وقد تم إحاطة الموقع بسياج فصلها عن محيطها الطبيعي.

أما الكنيسة الشرقية فما تبقى منها هو جزء من الحنية، وهي عبارة عن مدماك واحد في الحجر الظاهر، وبقايا أعمدة تشير إلى الرواق المركزي.

4.7 كنائس خربة سير الغنم

أو سيّار الغنم، أو كنيسة الرعاة للفرنسيسكان، ومعنى سِيَر الغنم أي مبيت الغنم وهو اسم محلي أطلقه البدو على الموقع ويشير إلى المكان المسور بالحجارة أو غيرها، تقع على بعد 2 كم شرقي بيت لحم على أطراف سهل صغير يعرف باسم (حقل بوعز) وعلى بعد 1 كم شمال كنيسة حقل الرعاة، ويرجح أنها تعود للقرن السادس الميلادي[256]، ويحيي هذا المقام ذكرى ظهور الملائكة الذين بشروا بميلاد المسيح كما ورد في الإنجيل. وهو دير مستطيل الشكل أبعاده 80م × 42م، وكشفت الحفريات التي أجراها C.

[256] Corbo, P. Virgilio. (1955): Gli Scavi Di Kh. Siyar El-Ghanam. Tipografia Dei PP. Francescani, Gerusalemme. P: 14.

Guarmani عام 1934م عن بقايا أجزاء منه، وحفريات البعثة الفرنسيكانية بقيادة V. Corbo عام 1951م- 1952م عن المجمع بأكمله حيث يحتوي على عدة غرف وساحات ومنشآت زراعية واسطبل[257]. ومن الجدير بالذكر أنه تم بيع المنطقة بأكملها عام 1855م وتبلغ مساحتها 2700م² للقائمين على الحفريات والتنقيب، حيث كانت ملكًا لحمولة المراشدة والشوملي من سكان المنطقة.

بني المجمع خلال عدة فترات، الفترة الأولى الرومانية وتمثلها الكهوف الموجودة تحت أرضية الغرف (شكل 23). أما الفترة الثانية فتعود لأواخر القرن الرابع الميلادي وبداية القرن الخامس الميلادي، وتتضمن الهياكل الأساسية للحنية وبقايا الكنيسة التي نجت منها الحنية وعدد من الغرف في القسم الجنوبي من الدير، وبعض الجدران التي تعود أصل حجارتها لبقايا كنيسة المهد التي بناها قسطنطين (شكل 24). وبالنسبة للفترة الثالثة فتعود للقرن السادس حتى الثامن، وتمثلت في أقصى تطورات الدير، وتتضمن المبنى الذي تم الكشف عنه[258]. وعثر على مخزن للأدوات الفخارية، ومعصرة زيتون، وآبار ماء، وصهاريج، ومخازن لحفظ الحبوب، وكهوف أو مغارات استخدمت لمبيت الماشية، وقنوات تم استخدامها في ري الحقول[259].

وقد بنيت الكنيسة الأولى خلال الفترة من القرن الرابع الميلادي إلى الخامس الميلادي وتقع إلى أقصى الجدار الشمالي للدير، وهي أول بناء تم إنشاؤه من الكنيسة والدير. أما الكنيسة الثانية والتي تعود للقرن السادس الميلادي فهي توسعة الدير للحنية الأولى للكنيسة، ومهما كان حجمها كبيرًا فلم يتبق منها سوى الأسس فقط، وعلى الرغم من اكتشاف محيط الحنية إلا أنه لم يتم التنقيب في الجانبين الداخليين

[257] Ovadiah, Ruth & Asher. Hellenistic, Roman and Early Byzantine Mosaic Pavements in Israel. P: 95.
[258] Corbo, P. Virgilio. (1955): Gli Scavi Di Kh. Siyar El-Ghanam (Campo Del Pastori) E I Monasteri Del Dintorni. P: 47. Pubblicazioni Dello Studium Biblicum Franciscanum N. 11, Gerusalemme. P: 22.
[259] Abu A'mar, Ibrahim, Al-Houdalieh, Salah, Hamdan, Osama & others. (2014): Archaeological Minor Sites in the Mediterranean Basin, Case Study: Beit Sahur in Palestine, Gadra in Jordan, Vito Soldano and Finziade in Italy. Al Adab Press, Jerusalem, Palestine. P: 47, 50.

الشرقي والشمالي لها، وإنما تم التنقيب في الجزء الخارجي من الحنية. في الجانب الشمالي تظهر الأساسات مرتفعة حوالي 3 أمتار نتيجة انحدار حاد للتل المقامة عليه، لتصل جنوبًا حتى أسفله ويظهر الأساس الصخري، وسُمك جدار الحنية الكبير، فمن جهة الشمال يبلغ 2م، ومن الوسط 1.30م، وهي مبنية من كتل كبيرة من الحجر الجيري.[260]

وفقًا للمصادر الأدبية والأثرية لم يتم اكتشاف أية معالم للكنيسة الأولى التي يرجح بناؤها بين القرنين الرابع والخامس الميلادي. وقد تم تشييد كنيسة جديدة في القرن السادس الميلادي مع الدير الجديد[261]، ويرجح أنه تم هدم الكنيسة الأولى باستثناء الحنية التي بقيت كدعامة على المنحدر، وقد تم بناء الكنيسة الجديدة على أنقاض الكنيسة الأولى، بحيث يمتد على أساس حنيتها على الجانب الجنوبي غرفة، ومن جهة الغرب للحنية يوجد غرفة أخرى تقطع الكنيسة القديمة أمام فلك الحنية من الجدار الشرقي للكنيسة، ويتداخل جدارها مع جدار الحنية من الأساسات[262] (شكل 25).

يتم الدخول إلى الدير من القسم الجنوبي من خلال سُلمٍ بعرض 6 أمتار يحتوي ستة درجات حديدية حديثة ويقود إلى قاعة مرصوفة ببلاطٍ كبير، كما وجدت بقايا معمارية عديدة مبعثرة في المكان والتي تعود للكنيسة، ويوجد حنية خارجية مثمنة الشكل، وكذلك عتبة باب العليا كبيرة مزينة بالصلبان، وتقع غرفة طويلة مرصوفة بالحجارة الصغيرة بالقرب من الكنيسة، وتحتوي على ثلاث درجات في زاويتها الجنوبية، وأيضًا مدخلين يقودان إلى غرفة صغيرة في الشرق[263].

[260] Corbo, P. Virgilio. P.R. P: 22.
[261] Abu A'mar, Ibrahim, Al-Houdalieh, Salah, Hamdan, Osama & others. P: 50.
[262] Corbo, P. Virgilio. P.R. P: 23.
[263] Corbo, P. Virgilio. P.R. P: 2

وإلى الجنوب من هذه الغرفة يوجد قاعة محاطة بالعديد من الغرف، أحدها من جهة الشرق وكانت مخصصة للحيوانات وفقًا لما تشير إليه الأحواض الحجرية التي عثر عليها بداخل هذه الغرفة، وفيما يتعلق بالأجزاء المركزية والشمالية من الدير فهي مدمرة بالكامل تقريبًا، أما الجانب الغربي فهو محفوظ جيدًا ويحتوي على غرف عديدة تحتوي على معصرة عنب مبنية ومحفوظة بعناية، وكذلك غرفة طويلة ضيقة تحتوي على فرن يعتقد أنها مخبز، وفي غرفة صغيرة مجاورة مرصوفة بالفسيفساء الملونة يوجد نقشين اغريقيين، يقول أحدها: (يارب نجنا من كل شر) والثاني: (يا رب ساعد) كما تم العثور على أدوات من حجر البازيلت كالمطاحن اليدوية، كما يحتوي الدير على عدة صهاريج ونظام تصريف.[264]

وخلال التنقيب تم العثور على الإسطبل، والاستدلال عليه من عظام للحيوانات الموجودة في ساحة كبيرة ومرصوفة، وأسفلها وجدت مغارة، وبالقرب من الإسطبل هناك غرفة مرصوفة بالفسيفساء تحتوي على حفرتين تستخدمان في التعميد والتنظيف، وتسمى الصالون، وهناك بئر يحتوي على سراج زيت نقش عليه سمكتين يعود زمنه للعصر الروماني المبكر، وأيضًا وجد ثلاثة مدافن تم تحديدها على أنها مقابر الرعاة.[265]

إلى الأسفل عثر كوربو على دير الرهبان وكنيسة ورواق يقود إلى البئر ورواق الدير وإلى الأعلى عثر على أرضيتين مرصوفتين بالفسيفساء، تحتوي الثانية على حفرة يعتقد أنها لجمع الزيت، كما يوجد كذلك بئر بعمق 10م بني على ثلاث مراحل، يحتوي على حفر جانبية عثر فيهاعلى نقود بيزنطية، وعظام تعود ليدٍ بشرية.[266]

[264] Tsafrir, Yoram. (1993): Ancient Churches Revealed. Israeli Exploration Society. Old City Press Ltd. Jerusalem. P: 28

[265] Corbo, P. Virgilio. P.R. P: 16.

[266] Corbo, P. Virgilio. P.R. P: 17.

لاحقًا في القرن السادس الميلادي استخدمت نفس النوع من حجارة كنيسة القيامة المنتشرة في المكان في البناء والتشييد، وذلك لتوسعة الدير والكنيسة، وبعدها تم إهمال الدير وتعرض للنهب والسرقة والدمار، أما حديثًا وتحديدًا في عام 1954 فقد تم بناء كنيسة صغيرة بدعم من المحسنين، على شكل خيمة أبعادها 27 × 24م، تحتوي على ثلاثة صحون مرصوفة بالفسيفساء الملونة، كذلك تم تزيينها بلوحات الفنية.[267]

4.8 كنيسة دير الراهب

يقع دير الراهب في الجزء الجنوبي من دير ابن عبيد، حيث بني كلاهما في نفس الفترة في بداية القرن الرابع الميلادي. ومن خلال المعاينة التي قامت بها الباحثة تبين وجود جزء من حنية الكنيسة، ويشير حجم الحنية الكبير إلى بناء ضخم. وقد لوحظ حفرة في الأرض على مسافة الحنية نتج عن أعمال حفر غير قانونية، كما أن رجوم الحجارة أخفت معالم البناء تمامًا (صورة 37). وقد تم العثور على أساسات جدار الكنيسة من أربع جهات وهو مستطيل مزدوج الحجارة، حيث تقع الحنية في طرف زاويته الشرقية ويقابلها أساسات غرفة على الأغلب هي فناء المذبح الداخلي، وهي مستطيلة الشكل أيضًا، يقع مدخلها في الجدار الجنوبي، وربما كانت مقسومة من الوسط إلى جزئين، وذلك لوجود أساس يشير إلى ذلك. كما يوجد أساس سور خارجي من الجهة الشمالية، يمر بطرف الحنية، ويجاور سور الكنيسة، أو ربما شكّل ممرًا فرعيًا إليها. ومن المعاينة لوحظ امتداد أساسات سور باتجاه الشرق حتى زاوية الحنية الجنوبية إلى الخارج، تنحني نحو الجنوب، ويقابلها أساسات أخرى من الزاوية الخارجية باتجاه الشمال حتى ربع جدار الكنيسة. ربما شكلت هذه الانكسارات ساحة خارجية للمبنى أو رواق خارجي (شكل رقم 26).

[267] Corbo, P. Virgilio. P.R. P: 18.

في الجزء المقابل للحنية يوجد كهف طبيعي يعتقد أنه كان يستخدم للعبادة، ولم يتبق من مدخله إلا فُتحة بسيطة يمكن الدخول منها بصعوبة للكهف. ولم تتمكن الباحثة من دخوله بسبب وجود رجوم الحجارة المتراكمة التي حجبت حيزًا كبيرًا منه. ولكن عند الحديث مع سكان المنطقة قالوا أنهم دخلوا الكهف، وأنه واسع من الداخل، ويستطيع الفرد الوقوف بشكل كامل داخله.

كما وُجد بعض من الكهوف الطبيعية بجوار الكنيسة يعتقد أنها كانت تستخدم للتخزين، تمكنت الباحثة من دخول أحدها وقدرت ارتفاعه بثلاثة أمتار. وأثناء زيارتها للموقع لاحظت العبث في المكان، ودفع الحجارة الكبيرة من مكانها، مما يدل على الدمار والتخريب الحاصلين للموقع.

4.9 كنيسة خربة أم العمد

شجعت المسيحية الرهبان على التوجه إلى بيت لحم لحياة الرهبنة القاسية، والتي كانت تجد في الصحراء المكان المناسب لبعدها عن الدنيا وزينتها وملذاتها وضوضائها، فوجدوا في برية بيت لحم ضالتهم لما توفره لهم من جوٍ ملائمٍ للخلوة. كما كان هناك الكثير من الكهوف في الأودية والمنحدرات الصعبة. أما وجود البرية في منطقة متوسطة فقد سهل الوصول إليها من المدن الأخرى لجلب الضروريات اللازمة للحياة، وقد شكلت هذه المنطقة أيضًا ملاذًا لكل من يتعرض للاضطهاد من قبل السلطات الحاكمة كلّ في وقته وعصره[268]. وكما تم ذكره سابقًا فقد سكنت بيت لحم منذ القدم، وكان أشهر من سكنها الآسينيون.[269]

[268] الشوفاني، إلياس، مرجع سابق.، ص 56.

[269] الأسينيون هم طائفة يهودية ظهرت أثناء فترة الهيكل الثاني من القرن الثاني قبل الميلاد إلى القرن الأول الميلادي.

تقع خربة أم العمد إلى الجنوب الشرقي من بلدة تقوع في بيت لحم، وتحتوي على كنيسة تتوسط الخربة في الجزء الجنوبي الشرقي منها، وعلى الأرجح أنها تعود للقرن الرابع الميلادي. وسميت بهذا الاسم نتيجة وجود الكثير من الأعمدة وتيجانها الكثيرة التي تناثرت هناك، وكان تصميمها على غرار كنيسة المهد.

تم الاستدلال على المكان من البقايا المتناثرة للكنيسة، ومن خلال معاينة الباحثة الميداني تم العثور على بقايا من الحنية الشرقية، وجزء من الحنية الجنوبية، حيث ظهر من أساسات الأولى ثلاثة مداميك حجرية، ومن الثانية مدماكان على مستوى الأرض. ومع تتبع الأساسات الحجرية للمبنى، فقد عثر على أجزاء من آثار جدار مزدوج في أقصى الجهة الشمالية، وجزء آخر من الجهة الجنوبية يوازي الأول وقريب من الحنية. كما عثر على بقايا لمدماك تألف من حجرين مزدوجين، وآخر تألف من حجر واحد مزدوج على التوالي في الجهة الغربية، مما سهل رسم مخطط البناء (صورة 38، و39).

تتألف الكنيسة من بناء مستطيل الشكل، وثلاث حنايا، مع غرفتين خارجيتين مربعتين صغيرتين على جانبي الحنية الشمالية والجنوبية من الخارج. ويعتقد أن مدخلها في الجدار الشرقي مقابل المذبح على غرار كنيسة المهد، كما يعتقد أن الغرفتين تشكلان سكنًا للرهبان وخدمة الدير لالتصاقهما بالدير (شكل 27).

الحنايا غير متماثلة في الحجم بدلالة الآثار المتبقية، كما يعتقد أن المبنى الأساسي قام على أعمدة بدلالة وجود بقايا لأعمدة وتيجانها متناثرة في الجوار، وكذلك من الاسم المحلي الذي أطلق عليها (خربة أم العمد) دلالة على كثرة الأعمدة هناك.

لاحظت الباحثة الدمار الذي حل بالمكان بصورة متعمدة من خلال العبث والتنقيب العشوائي، حيث وجدت الباحثة كمية كبيرة من قطع الفسيفساء الملونة مازالت في مكانها، وفيها الألوان الأخضر والأسود والبني

والأزرق، كما وجدت قطعًا أخرى لأحجام كبيرة، وكذلك الكثير من الفخار العائد لتلك الفترة، منها بقايا أوانٍ للطبخ وكذلك قطع من القرميد المتناثر (صورة 41). كما لاحظت الباحثة وجود قنوات مياه استخدمت في تسييل الماء إلى عدة آبار رومانية ضخمة على شكل إجاصة (صورة 40)، وإلى بركة تجميع كبيرة في الموقع، مما يدل على وجود نظام مائي. وهذه دلالة أيضًا على حجم الوحدة السكانية الكبيرة وتنظيمها، حيث يعتقد أن المكان شكل وحدة عمرانية كبيرة.

ولاحظت الباحثة أجزاء من أعمدة الموقع في أماكن بعيدة، ويعتقد أن البعض حاول نقلها ثم تركها على الطريق لثقل وزنها وضخامة أحجامها (صورة 42).

4.10 كنائس خربة الدير

وتسمى أيضًا خربة تقوع، وكنيسة القديس نقولا، وتقع في وادٍ ضيق يؤدي إلى وادي عروجوت (Nahal Arugot) في منتصف الطريق بين قرية تقوع وعين جدي، وتتضمن بقايا دير يعود للفترة البيزنطية، ويقع على نتوء صخري إلى الجنوب[270]. وهو نوع مميز من الكنائس تم تطويرها خلال الفترة البيزنطية، ففي صحراء القدس هناك الكثير من الأودية التي تحتوي على الكثير من الكهوف، ولكن قلةً منها تم استخدامها ككنائس.[271]

[270] Hirschfeld, Y.(1993): ***The Cave- Church at Khirbet ed-Daeir***.Ancient Churches Revealed.Old City Press Ltd, Jerusalem. P: 244 – 258.

[271] The Early Byzantine Monastery of Khirbet ed-Deir in the Judean Desert: The Excavations in 1981-1987. By Yizhar Hirschfeld, R. Barkay, R. Ben-Arieh, R. Calderon, E. Cohen, L. di Segni, L. Habas, and R. Talgam. P: 98.

تم اكتشاف الموقع خلال الحفريات التي أجريت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي، التي تشير إلى تاريخ الكهف الذي يعود لنهاية القرن الخامس الميلادي أو بداية القرن السادس الميلادي، وتم هجره في منتصف القرن السابع الميلادي[272]، حيث عثر على هيكل شبه مربع أبعاد 12.5م × 10.45م، وجدران خارجية سميكة مبنية من كتل صخرية كبيرة. ويتألف المبنى من جناحين متماثلين مرتبطين برواق ضيق عرضه 1.78م.[273]

استغل البناؤون طبقات الأرض وتضاريسها غير المألوفة للوادي والنتوء الصخري فوقه لأقصى حد. ويقع الدير على ثلاثة مستويات؛ في قاع الوادي حيث وضعت الحدائق فوقها متاخمة لجدار الوادي الشمالي وبنيت قاعة طعام ومجمع الكنيسة، وفوقها على النتوء الصخري أقيمت غرف صغيرة لعبادة الرهبان، ويصل بين هذه المستويات الثلاثة وعناصرها رواق يعتبر الشريان الرئيس للحياة في هذا الموقع. ويتضمن مجمع الكنيسة كل من الكنيسة، والمعمودية، وسرداب الدفن، وتتصل هذه العناصر مع بعضها وتكون الدير المكرس للعبادة.[274]

4.10.1 كنيسة الكهف

عبارة عن كهف كبير، فتحته تقابل سهل تملؤه أشجار الزيتون (واد سعير حاليًا)، وتم استغلاله للكنيسة الأم التي كانت قائمةً فوقه. وقد وجدت أجزاء من طاولة في أحد الغرف (طاولة المذبح) كما وجدت حنية مقصوصة في الصخر، وقد حفرت فجوتان في الجدار الخلفي منها، كانتا تستخدمان لأغراض القداس، أو حفظ الأواني المستخدمه فيه. كما وجدت لوحة فسيفساء في الجزء الأمامي تحمل أنماطًا متشابهة لصفوف

[272] Conder, C.R. & Kitchener, H. H. (1883): The Survey of Westren Palestine. London. P: 327.
[273] Ovadiah, Ruth & Asher. Hellenistic, Roman and Early Byzantine Mosaic Pavements in Israel. W.F Albright Institute of Archaeological Research, Jerusalem. P: 98.
[274] Hirschfeld, Y. P. R. P: 244.

من الأزهار محاطة بإطار، ووجدت أرضية مصنوعة من قطع فسيفسائية بحجم متوسط، كانت الفسيفساء ذات ألوان متعددة، منها الأسود والأحمر والبني والأصفر، كما وجد فيها نقش يوناني معمول بحروف بارزة. تم الحفاظ على سقف الكهف إلى وقت قريب ثم انهار أثناء عمليات الحفر والتنقيب غير القانونية، مما أدى إلى سقوط الجدار الخارجي المفترض الذي تم بعد فترة وجيزة من هجر الرهبان للموقع. وما يدل على ذلك حالة الضرر الكبير التي لحقت بالمبنى عمومًا، وحجم الدمار والكتل الصخرية التي تكونت في المكان.[275]

إن وجود آثار نيران مخيمات حول المكان وفي داخله يدل على وجود رعاه من البدو أقاموا في الموقع فترة وجيزة سنويًا حيث تراكمت على مر السنين فوق أرضية الكنيسة. كما وجد صهريج واحد يخدم الكنيسة والمعموديه له فتحتان ويبلغ حجمه 3م × 3.5م، وهو محفور في الصخر، ويبلغ عمقه 4 أمتار. ووجد أيضًا مدخل لغرفة ينزل إليها بثلاث درجات وكانت أرضيتها مرصوفة بفسيفساء غير مصقولة، تمت بعثرتها فيما بعد. وإلى الجوار في الركن الغربي وجد مستوى منخفض من الأرض بعمق 10 سم وقطر 30سم، ويبدو أنه استخدم كحوض لجمع بقايا المياه المستخدمة في تنظيف أرضية المكان. وإلى جواره سطح آخر قطره 25سم استخدم لوضع جرة فخارية. كما وجد محراب نصف دائري محفور في الصخر، ترتفع قاعدته حوالي متر واحد عن الأرض.[276]

4.10.2 كنيسة القديس نيقولا

بالنسبة لكنيسة نيقولا فهي على غرار كنيسة المهد، وقد تم الاستدلال عليها بالزيارة الميدانية حيث تم معاينة الحنية التي تقع في الشرق (صورة 43)، ويمتد منها جدار باتجاه الجنوب، وثمة فتحة في وسطه، ربما كانت مدخلًا. كما يوجد جدار آخر يمثل الواجهة الغربيه تخرج منه سلسلتان حجريتان مزدوجتان، الأولى

[275] Hirschfeld, Y. P. R. P: 245 – 246.
[276] Hirschfeld, Y. P. R. P: 254 - 255

تبلغ مترًا واحدًا، تقابلها الثانية والتي تبلغ نصف متر، أما الواجهة الشمالية فلا يوجد لها أي أثر. وقد لوحظ وجود مدماكان حجريان من الحنية المذكورة، كما لوحظ وجود مدماكين آخرين من الرواق المفترض في الجهة الجنوبية. ويفترض أيضًا وجود أعمدة بازليك تكوّن ثلاثة أروقة، على غرار أعمدة كنيسة المهد، تقود هذه الأروقة إلى الهيكل أمام الحنية. كما يفترض وجود سقف من القرميد، وذلك لعدم وجود أي آثار تدل على انهيار سقف حجري (عقد حجري). هذا وقد اختفت معظم أبنيه الكنيسة وهياكلها وجدرانها، وتم استخلاص ذلك من خلال المعاينة الميدانية والرسم الهندسي[277] (شكل 28).

وُجد في الموقع جرن معمودية تعرض للسرقة، ثم استعادته بلدية تقوع، ثم استولت عليه دائرة الآثار الاسرائيلية. والجرن يعود إلى كنيسة القديس نيقولا، وهو عبارة عن كتلة حجرية مجوفة بإفريز من الداخل ويوجد نقش على شكل صليب، ثم نجمة ثمانية على واجهة أخرى من المضلع الثماني الذي يتكون منه، والجرن من الحجر الوردي الصلب ويبلغ ارتفاعه في حدود متر ونصف تقريبًا (صورة 44، و45). وهذا كل ما تبقى من كنيسه القديس نيقولا ومن كنيسة الكهف. ومن الملاحظ أن الكنيسة والكهف كانا ضمن بناءٍ ضخم احتل مساحة كبيرة من التل الذي قامتا عليه، وقد تبعثر معظم محتوياتها المفترضة نتيجة البحث والحفر الجائر الذي ازداد مع عمليات الاغلاق ومنذ جائحة كورونا، مما أدى إلى خراب كبير في الموقع بحيث فقد مدلوله العمراني.[278]

[277] مقابلة شفوية مع الدكتور إبراهيم أبو أعمر بتاريخ: 26- 5 - 2023م.
[278] مقابلة شفوية مع الدكتور إبراهيم أبو أعمر بتاريخ: 26- 5 - 2023م.

الفصل الخامس: فنون الكنائس الشرقية

5.1 الفسيفساء

5.2 الرسومات

5.3 النقوش

الفصل الخامس

تمهيد:

بدأ أثر الحضارة الرومانية بالزوال مع مطلع القرن الرابع ميلادي، وكان قسطنطين قد أثبت نفسه وتجذر في الشرق ورسّخ مبادئه وديانته وأصوله، ومثل هذه العظمة والجبروت والعبقرية كان حريٌ أن يتم التعبير عنها وتخليدها. وعلى الرغم من أن قسطنطين قد مات وخلفه العديد من الملوك والحكام إلا أن لاسمه الأثر الأكبر في تكريس الفنون الدينية، ولأن عاصمته القسطنطينية تقع في منتصف المسافة بين الشرق والغرب، فقد خلق مزيجًا فريدًا من الفنون عرفت بالفنون البيزنطية.

5.1 الفسيفساء

مصطلح الفسيفساء أصله لاتيني من كلمة بيفوسيس ويدل على القطع الصغيرة التي لا تتجاوز حجمها عادةً 1 سم^3، وقد وجدت بمقاييس أخرى ولكنها تظل صغيرة جدًا، وقد تشكلت هذه القطع من الرخام والحجر والعاج والزجاج والصدف والمعادن والأحجار الكريمة، ويتم رصفها بجانب بعضها بعضًا بطريقة منظمة ومنسقة لتشكل لوحات زخرفية متغايرة تعبر عن العقيدة أو الطبيعة أو الناس أو الحيوانات أو أشكال خيالية وخرافية، ولها عدة أسماء مثل الموازييك والكالات.[279]

ظهرت شخصيات متنوعة في لوحات الفسيفساء منها الخيالية ومنها الواقعية، ومنها الآدمية ومنها صور الحيوانات، فكان هناك الصور التخيلية للآلهة والأبطال والحكماء ورجال الدين والسيد المسيح عليه

[279] Dunbabin K.M. (1999). *Mosaic of the Greek and Roman World*. Cambridge. P: 32.

السلام، وكذلك أشكالٌ للحيوانات والطيور والنباتات والفواكه والخضراوات، كما وجدت المظاهر المختلفة للطبيعة من أنهار وبحيرات وجبال وحدائق، وقد ظهر استخدام الأشكال الهندسية المختلفة مثل المربع والمثلث والمضلع وغيرها، وكان يتم تنسيق جميع هذه الأشكال باستخدام قطع الفسيفساء المختلفة في الحجم واللون بما يتناسب مع مضمون اللوحة وموضوعها.[280]

ومن الجدير بالذكر أن الفسيفساء كانت تعتبر أحد أنواع الصناعات التي ابتكرها الإنسان لغاية تحسين وتزيين المنزل، ومن ثم استخدمها الفنانون في لوحاتهم الفنية ورسوماتهم خاصة الجدارية، وتعد الآن أحد أنواع الفن والتصاوير الجميلة والمبدعة. [281]

ويوثق تاريخ اكتشاف الفسيفساء للقرن الرابع قبل الميلاد، على الرغم من اكتشافها في بلاد ما بين النهرين والحضارات الفينيقية والآرمية والمصرية، وكانت الفسيفساء ظاهرة وواضحة منذ العصر الكلاسيكي حتى الهلينتسي والقرون الثلاثة الأولى بعد الميلاد التي اعتبرت عصر الفسيفساء الذهبي، كما كانت تعكس معتقدات الشعوب الدينية، وكانت تستخدم بدلًا من التماثيل التي كانت تستخدم في عهد الوثنية.[282]

أما في العصر البيزنطي وبعد انتشار الديانة المسيحية كانت الفسيفساء أحد أشكال التعبير التي استخدمت لمعارضة الوثنية والديانات القديمة، كما كانت تصور الأنشطة اليومية التي يقوم بها الناس مثل الصيد وقطف العنب وغيرها، وبطبيعة الحال تم استخدامها في الكنائس للتعبير عن المعتقدات والديانة الجديدة، وقد تم استخدام قطع الفسيفساء الزجاجية ووضعها في النوافذ والقباب بطريقة معينة من أجل

[280] Dunbabin K.M. P. R. P: 103.
[281] Avi-Yonah M. (1934). Mosaic Pavements in Palestine (A Summary). QDAP III. P: 75.
[282] Avi-Yonah M. (1934). Mosaic Pavements in Palestine (A Summary). QDAP III. P: 75.

استغلال الضوء في الانعكاس وإرسال رسائل ضمنية من خلاله، بينما استخدمت قطع الفسيفساء من الحجارة لوضعها على الأرضيات حتى تتحمل الثقل ولا تتلف.[283]

كما تم الكشف عن العديد من أنواع الفسيفساء في الفترة البيزنطية المبكرة، وكانت الفسيفساء الأرضية أكثر أنواع الفنون التي نجت من التدمير[284]، وقد تنوعت الزخارف في الأرضيات الفسيفسائية في العصر البيزنطي في بلاد الشرق نحو أنماط محددة من الوحدات الزخرفية، وهي على النحو التالي:

أولًا: الزخارف الهندسية في أرضية فسيفسائية: وهي الأكثر تميزًا في الحضارة البيزنطية خاصة في بلاد الشرق التي تركت بصمتها وأثرها على هذه الزخارف، وكان استخدامها منتشرًا وشائعًا في المباني الدينية في الفترة البيزنطية المبكرة، وكانت تعكس معانٍ دينية متنوعة، كما كانت الأشكال الهندسية المستخدمة بسيطة وكثيرة منها الشكل الحلزوني والمربع والمثلث والدائرة والمعين كالتي توجد على أرضيات فسيفسائية في كنيسة حقل الرعاة، ومن الجدير بالذكر أن جميع أشكال وأنماط الزخارف قد تداخلت وتشاركت في رسمٍ واحد في كثيرٍ من الأحيان[285]، وقد وجدت أنماط متعددة من الزخارف الهندسية في الكنائس البيزنطية مثل الصلبان المكونة من دوائر متقاطعة، كما أن الديانة المسيحية قبلت الأنماط الهندسية المجردة، والتي يمكن أن تكون بسيطة أو معقدة، ويمكن رسمها في أي مساحة متوفرة، وتكرارها لملئ مساحاتٍ أكبر، فقد تكون دوائر متداخلة ومعقدة، وكذلك مستطيلات أو مربعات متداخلة تشكل رصائع ذات أشكال مختلفة تعبر عن الأشياء أو النباتات أو الحيوانات كما في كنيسة المهد، وكنائس حقل الرعاة، وكنائس هيروديوم، إلا أنه من الجدير

[283] Runciman, S. (1965): Byzantine Civilization. Meridian Books Ltd, England. 9th Printing edition. P: 86.
[284] Dunbabin K.M. (1999): Mosaic of the Greek and Roman World. Cambridge. P: 68.
[285] Runciman, S., P.R. P: 14.

بالذكر أن الزخارف الهندسية المجردة على الفسيفساء في الكنائس البيزنطية لم يكن لها أي معانٍ رمزية[286] (صورة 21).

ثانيًا: الزخارف النباتية في أرضية فسيفسائية: استخدمت الألوان الهادئة في رسم الزخارف في العصر البيزنطي، وكانت تدل على الوقار والاتزان، واتصفت بالتدرج اللوني حيث تم استخدام تقنية الظل والنور، واللون الذهبي والبني والأزرق والأخضر والأبيض والأحمر والأسود، إضافة إلى استخدام رقائق الفضة، ومن الملاحظ أنه كان يتم تحديد الزخارف المرسومة قبل أن يتم تلوينها وتخطيطها باللون الأسود.[287]

وقد غلب على العناصر الزخرفية النباتية رسم النباتات وأوراق النباتات؛ ولعل أشهرها شجرة العنب وأوراق العنب التي كان لها دلالة مهمة جدًا لما لها من رمزية كبيرة في الديانة المسيحية والكتاب المقدس، حيث كانت تعبر عن السيد المسيح عليه السلام بنفسه، وقد وجدت شجرة العنب وأغصانها وأوراقها وقطوف العنب كما في زخارف كنائس هيروديوم في بيت لحم، وكثيرًا ما كانت تتداخل أوراق العنب الزخرفية وزخارف شجرة العنب مع زخارف الأشكال الهندسية، ومن النباتات التي لا يمكن تجاهلها بسبب كثرة استخدامها في الزخارف البيزنطية الغار، حيث كانت زخارف الغار ترسم مع المزهريات والسلال على شكل إكليل.[288]

ومن الجدير بالذكر أن استخدام عناصر النباتات في الفسيفساء كان أقل انتشارًا من الأشكال الهندسية، ولعل أهم أسباب استخدامها هو إنهاء تصميم اللوحة الفسيفسائية، ومن النباتات الشائعة أيضًا في رسم الفسيفساء أوراق الأكانتس، كذلك النباتات والأزهار المختلفة، وكان إطار اللوحة الفسيفسائية إما من

[286] Riback, Eliya. (2005): Religious Communities in Byzantine Palestina: the Relationship Between Judaism, Christianity and Islam, AD 400-700. PHD, The University of Reading, England. P: 79.

[287] Runciman, S. (1965): Byzantine Civilization. Meridian Books Ltd, England. 9th Printing edition. P: 54

[288] Dunbabin K.M. P.R, P: 30.

أزهار اللوتس، أو أزهارًا تحتوي صليبًا بداخلها، أو براعم الأزهار[289]، ومن الأمثلة عليها زخارف كنائس المهد (صورة 46) وحقل الرعاة وهيروديوم ومار سابا.

ثالثًا: الزخارف الحيوانية في أرضية فسيفسائية: وهي الأكثر شيوعًا، حيث ظهرت عناصر الحيوانات والطيور في مواضيع اللوحات الفسيفسائية الأرضية في المباني الدينية، وكانت مشهورة وشائعة الاستخدام في الكنائس البيزنطية في فلسطين، ومن الحيوانات المستخدمة حيوانات برية محلية ظهرت في مشاهد الصيد، ومنها الغزال والأسد، ويقال أن بعض هذه الحيوانات كانت تعبر عن السيد المسيح عليه السلام. أما الطيور فهي أكثر استخدامًا وظهرت بأنواع مختلفة، ويعتقد أن لهذه الصور رمزية دينية إضافةً إلى المغزى التمثيلي منها[290]، خاصةً الحمام والطاووس الذي في أرضية كنيسة المهد ، وأيضًا تلك الموجودة في كنائس هيروديوم ومار سابا (صور 46، و47، و48).

رابعًا: زخرفة المواد أو الأدوات: وهي الأقل شيوعًا بين مواضيع اللوحات الفسيفسائية، ففي هذا الموضوع يتم رسم المواد والأدوات المستخدمة في الحياة العامة، وأكثرها شيوعًا القوارير، ويعتقد أن لها رمزيةً في الديانة المسيحية تعود لاستخدام النبيذ في الحياة العامة، كما تستخدم أدوات أخرى مثل الكؤوس والجرار والصحون وأقفاص الطيور والسلال، ويمكن أن لا يكون لها هدف في تكوين اللوحة الفسيفسائية، أو أن توضع بشكل عشوائي، إلا أنه عادةً ما يتم وضعها في اللوحات[291]، وقد وجدت هذه الأدوات في اللوحة الفسيفسائية على أرضية كنيسة حقل الرعاة في القرن السادس الميلادي (صورة 49).

[289] Riback, Eliya. (2005): Religious Communities in Byzantine Palestina: the Relationship Between Judaism, Christianity and Islam, AD 400-700. PHD, The University of Reading, England. P: 29.
[290] Riback, Eliya, P. R. P: 22.
[291] Riback, Eliya, P.R. P: 26

خامسًا: زخرفة الصور الشخصية والقصص: بحيث تعكس اللوحة الفسيفسائية صور شخصيات بشرية، أو تروي قصة من خلالها مثل القصص الدينية أو الأسطورية، وتعتبر الصور الشخصية المستخدمة في الفسيفساء نادرة، أما الصور الأسطورية فكانت شائعة حيث عثر على بعضها في لوحات الفسيفساء على أرضيات الكنائس، ويعود ذلك لأن الصور المماثلة كانت لا تزال تحمل ما يكفي من ارتباطاتها الوثنية القديمة التي أصبحت تعتبر غير مناسبة لسياق الديانة المسيحية، ولكن الصور الدينية كانت واضحة الاستخدام في السياق الديني المسيحي وأكثر قبولًا .[292]

سادسًا: زودياك أو دائرة البروج: حيث عادةً ما كانت تصور الشمس أو هيليوس في المركز ومحاطة بعلامات عن اثني عشر نجمًا والفصول الأربعة في الزوايا، ولم يكن لهذه الدائرة معانٍ دينية في المسيحية، ولكن كان يرمز هيليوس في بعض الأحيان للسيد المسيح في العصور القديمة.[293]

سابعًا: الرموز الدينية: مثل الصلبان الموجودة على لوحات فسيفسائية على أرضيات الكنائس، حيث وجدت على أرضية فسيفسائية في كنائس حقل الرعاة وكنيسة المهد في القرن الرابع الميلادي (صورة 50).

ثامنًا: النقوش في أرضية فسيفسائية: وجدت العديد من النقوش على أرضيات فسيفسائية في المباني البيزنطية الدينية، وكانت هذه النقوش باللغة اليونانية في الكنائس، مثل الأسماء اللاتينية، والأسماء السامية مثل اسم زكريا[294]، وقد ظهرت في كنيسة المهد وكنائس حقل الرعاة.

[292] Weiss Z. (2004): Biblical Stories in Early Jewish Art: Jewish-Christian Polemic or International Dialogue in Levine L.I. (ed.) Continuity and Change: Jews and Judaism in Byzantine- Christian Palestine Jerusalem. P: 45.
[293] Riback, Eliya. P.R. P: 61.
[294] Avi-Yonah M. P. R. P : 37.

ومن الجدير بالذكر أنه وجدت أيقونات تمثل عناصر بشرية اللوحات الفسيفسائية في الكنائس البيزنطية، خاصةً صورة المسيح. ولكن في عام 726م عمل بعض رجال الدين على تحطيم الأيقونات التي تمثل صورًا للمسيح لاعتقادهم أنه لا يمكن لأيقونة مجردة أن تحتويه، كما كانت حجتهم أن في "العهد القديم" ما ينص على تحريم عبادة الصور، حيث عمل الناس على أن يتبركّوا بهذه الصور ويقدسونها ويبجلونها حد العبادة، حتى بلغ تحريم استخدام أيقونات وصور المسيح ذروته في عهد قسطنطين الخامس (741م – 775م)، واستمر هذا التحريم حتى عام 787م. وفي عام 814م عادت حركة تحطيم الأيقونات للظهور، واستمرت حتى عام 842م. ولم تعادي هذه الحركة الفن في جملته، وإنما حولت مساره إلى وجهة جديدة، وهي الزخرفة، بحيث أخذت موضوعات الأيقونات تتجه نحو الطبيعة، مثل مشاهد الصيد والحدائق والطيور.[295]

ثلاث طرق يتم فيها تحطيم الأيقونات في اللوحات الفسيفسائية، وهي على النحو التالي:

أولًا: يتم إزالة بعض العناصر من اللوحة الفسيفسائية تاركةً ثقوبًا مكانها، مثل إزالة العيون البشرية من اللوحة.

ثانيًا: إزالة الصور واستبدالها بعناصر أكثر قبولًا، مثل إزالة الأيقونات البشرية أو الحيوانية واستبدالها بعناصر نباتية أو هندسية.

ثالثًا: إزالة الأيقونات واستبدالها بقطع خشبية صغيرة لسد الفراغ في اللوحة الفسيفسائية، ويعتقد أن سبب إزالة بعض الأيقونات هو عدم تفضيل وجود صور بشرية أو حيوانية في أماكن العبادة والمباني الدينية.[296]

---

[295] عاكشة، ثروت. (1993): الفن البيزنطي. موسوعة العين تسمع والأذن ترى، الجزء الحادي عشر. دار سعاد صباح، الكويت، ط1. ص: 205-209.

[296] Riback, Eliya, P.R. P: 91.

وقد تم اكتشاف العديد من لوحات الفسيفساء في الكنائس البيزنطية الموجودة في فلسطين والتي بنيت من القرن الرابع الميلادي وحتى السابع الميلادي، وعلى سبيل المثال كنائس هيروديوم التي تحتوي على أرضيات من الفسيفساء، وقد كانت الأرضيات منقوشة باتقان ومحفوظة بجودة عالية تدل على دقة الصناعة والأسلوب الرائع لأرضيات الفسيفساء البيزنطية، وقد وجدت الفسيفساء هنا بأشكال هندسية، حيث وجدت على شكل دائرة محاطة بنمط الضفيرة الفسيفسائية من حولها، وتم اكتشاف أرضية فسيفسائية في الكنيسة الشرقية من كنائس هيروديوم تكشف عن تفاصيل كثيرة في غاية الروعة والجمال، تتكون من سجادة رئيسة مرصعة بمخطوطات عنب وتحتوي على الطيور والحيوانات، وكان أكثر حيوان واضح في السجادة هو الأسد، ومن الملفت للنظر أن الحمامات أيضًا في هذا المكان كانت تحتوي أرضيات من الفسيفساء فقد كانت ظاهرة للعيان في جزء تيبيداريوم[297] وفي غرفة الساونا أيضًا التي تحتوي على زخارف هندسية وزهرية وفواكه مثل العنب والرمان، وأشكال زخرفية جديدة كانت محظورة عند اليهود مثل الكائنات الحية.[298]

أما كنيسة المهد فقد زخرفت بالفسيفساء الرائعة التي تدهش الأنظار، وشهد بناء الكنيسة في القرن الرابع الميلادي فسيفساء تظهر الحنية المثمنة، ووجدت أيضًا أرضية من الفسيفساء الناجية من البازيليك الأصلية تحتوي على رسوم معقدة من الطيور والزهور وشجرة العنب وتتميز بتصميمها الفسيفسائي، كما أدخلت الفسيفساء إلى كنيسة المهد في القرن الثاني عشر الميلادي حيث أن جدرانها من الأعمدة حتى النوافذ إما مغطاة بالرخام الأبيض أو مرصعة بقطع الفسيفساء الرائعة التي تحتوي على شخصيات من العهد القديم والعهد الجديد.[299]

[297] Bergin, B. (2017): Herodium Herod's Innovation Masterpiece Final. Cultural and Religious Studies. P: 53.

[298] Netzer, E. (1999): Herodium: An Archaeological Guide. Old City Press Ltd, Jerusalem. P: 48.

[299] Bernabei, M. Bontadi, J. (2012): "Dendrochronological analysis of the timber structure of the Church of the Nativity in Bethlehem". Journal of Cultural Heritage. P: 124

كما وجدت لوحات من الفسيفساء أضيفت في القرن التاسع عشر الميلادي على جدران الكنيسة، في الجزء السفلي منها توجد فسيفساء تعرض شجرة الحياة لأجداد المسيح وكل الأنبياء الذين تحدثوا عن مجيء السيد المسيح[300]، وفي الوسط تعرض قرارات المجالس الإقليمية والمسكونية، أما الجزء العلوي من الجدار فيعرض سلسلة من الملائكة بين النوافذ، (صورة 16) وجميع هذه الفسيفساء مرسومة وبارزة على جدران الرواق المركزي، وعلى بعد خطوات من مكان مولد السيد المسيح أيضًا في الجزء المملوك للروم الكاثوليك تم الكشف عن أجزاء من الفسيفساء التي تعود للقرن الثاني عشر ميلادي [301] ، وهناك أيضًا تحت مستوى الأرضية الحالية يمكن رؤية فسيفساء قسطنطينية ذات أشكال هندسية رائعة تعود لعهد الامبراطور جوستنيان.

وفي كنيسة حقل الرعاة في بيت ساحور تم الكشف عن سلسلة من بقايا لأرضية فسيفساء، كذلك كنيسة مغارة الحليب فقد كشفت الترميمات عن وجود فسيفساء على جدران الكنيسة ومدخلها وقد أضيفت في الترميم لها، وهنا يمكن القول أن الفسيفساء البيزنطية تخلت عن الأشكال الكلاسيكية المعتادة في القرون السابقة.

5.2 الرسومات

هدفت الحضارة في العصر البيزنطي وخاصة في القرن الرابع الميلادي وحتى القرن السابع الميلادي إلى ترسيخ المفهوم الديني بعد انتصار المسيحية على الوثنية في بلاد الشرق، خاصة في فلسطين مهد السيد المسيح عليه السلام، ولذلك بدأت بتثبيت الإيمان في نفوس المؤمنين من خلال مشاهد الرسومات المختلفة التي تحمل في ثناياها معانٍ ورموز عميقة تستدعي الفهم والتدبر والتفكر وتغرس الإيمان في النفوس وتعزيزه،

[300] اللجنة الرئاسية العليا لشؤون الكنائس في فلسطين، (2015). ص: 13.

[301] Wenzel, F, Szaktilla, S, Pliett, H. (2003): The Roof of the Church of Nativity in Bethlehem. In Proceedings of the International Congress More than Two Thousand Years in the History of Architecture, UNESCO, Paris. P: 41.

وكان المكان الأفضل لهذه الرسومات هو الكنائس، وكثير منها ما زال واضحًا للعيان حتى يومنا هذا، وقد اتسمت الرسومات البيزنطية بمميزات متعددة أهمها الثبات والهدوء وقلة الحركة بعد أن كانت سابقًا تعج بالصخب والعنفوان.[302]

إضافة إلى ذلك تميزت رسومات العصر البيزنطي برسم الأشخاص والشخصيات، فلم يقتصر تشخيصها على الفسيفساء فقط وإنما تم رسمها أيضًا، فكثير من الرسومات كانت لأشخاص يمثلون رجال الدين والقديسين وأخرى تعبر عن السيد المسيح والسيدة مريم العذراء، فبالنسبة لرجال الدين كان يتم رسمهم منتصبين ومتجاورين يحملون الكتاب المقدس ويظهر عليهم علامات الخشوع والخضوع والتعبد، أما السيد المسيح فكانت صورته الأكثر شهرة في الشرق وهي لرجل ثلاثيني ذو شارب ولحية وشعر طويل حتى الكتفين، وقد وجدت أيضًا رسومات رمزية تدل على السيد المسيح مثل الحمل والسمكة[303]، وتمثلها صورة قصة المسيح في كنيسة المهد وكنيسة حقل الرعاة.

ومن الملفت للنظر أولًا رسم السيد المسيح عليه السلام بطريقة تجعل كل عابد يشعر بالقسوة والعذاب اللذان عانى منهما، حيث رُسم على وجهه خطوط الألم والوجع والقوة والجد، وبالتالي كل من يرى رسومات السيد المسيح يخالجه خليط من المشاعر والتعاطف والإيمان، وثانيًا طريقة رسم الإمبراطور التي تدل على عظمته وهيمنته، بحيث لم يسمح بارتكاب أي خطأ خلال الرسم.[304]

والأهم من ذلك أن الرسومات لم تعد تمثل معارك حربية ومشاهد دموية وصورٍ من الحياة اليومية كما كانت في العصر الروماني، وإنما باتت رسومات ذات موضوعات دينية، وكان الهدف منها زيادة الوعي

[302] Runciman, S. (1965): Byzantine Civilization. Meridian Books Ltd, England. 9th Printing edition. P: 105.
[303] Dunbabin K.M. (1999): Mosaic of the Greek and Roman World. Cambridge. P: 12.
[304] Dunbabin K.M., P.R., P: 47.

الديني وزرع الوازع الإيماني في قلوب المؤمنين، لذلك تم رسم صورة تدل على عبور سيدنا موسى عليه السلام للبحر، وكذلك صورة تمثل ابتلاع الحوت لسيدنا يونس عليه السلام، ومن أهم الرسومات التي تخص السيد المسيح عليه السلام هي صورة العشاء الأخير[305]، ومثال آخر وجود جداريات خلابة تصور الملاك الذي يجسد السيد المسيح يظهر للرعاة في كنيسة حقل الرعاة.[306]

كما وجدت الرسومات على 30 عمودًا من أعمدة الرواق المركزي لكنيسة المهد، وكانت هذه الرسومات تظهر السيدة مريم العذراء والطفل عيسى عليهما السلام، كذلك كان هناك لوحات للقديسين، ولكن الإضاءة وعمر الرسومات كان كفيلًا بأن يجعلها صعبة الرؤية[307]، وبتفصيل أكثر هناك سلسة من الرموز والأيقونات البيزنطية تقليدية الشكل والمرسومة على أعمدة الرواق الجنوبي من الرواق المركزي، بقي منها 30 رمزًا، وهذه الرموز هي صور أمامية لها إطار أحمر وتظهر شخصيات تقف بشكل مستقيم، وجميع الرسومات متساوية الحجم تقريبًا، ولكن ترتيبها عشوائي على الأعمدة، حيث يوجد 22 رسمة على 22 عمود في الرواق المركزي، و6 رسومات على 6 أعمدة في الرواق الجنوبي، وتشمل هذه الصور قديسين يتعبدون من كلا الجنسين من العهد القديم والعهد الجديد ومن العالم المسيحي أجمع، ويذكر أن هذه الشخصيات تشمل الإناث العذارى والمعترفون الذكور، والملوك والأساقفة والمحاربون والزاهدون المتدينون، وقديسون معروفون للمسيحيين عالميًا ومحليًا[308] (صورة 16).

[305] Runciman, S. (1965): Byzantine Civilization. Meridian Books Ltd, England. 9th Printing edition. P: 67.

[306] Encyclopaedia Britannica. (2011): Church Architecture. Accessed on : 26-12-2021, see the link: https://www.britannica.com/topic/church-architecture

[307] Shomali, Q., P.R. P: 33.

[308] Folda, J. (2015): Twelfth Century Pilgrimage Art in Bethlehem and Jerusalem: Points of Contact between Europe and the Crusader Kingdom. British Archeological Association. P: 64.

5.3 النقوش

حفظت الفسيفساء النقوش التي تتعلق بالصروح المقدسة، والتي من خلالها يمكن التعرف على أسماء المؤمنين والبنائين والمتبرعين، وتغطي النقوش حقبة زمنية محددة لا تتعدى القرن الخامس الميلادي، كما أن الصيغة المستخدمة في النقوش هي أربع صيغ فقط موجودة في الكنائس:

1. "تحت الأسقف الأقدس ..." أو "أصدقاء الله العظام، الكهنة، رؤساء الأديرة".

2. "من أجل راحة الأموات .." أو "لخلاص المؤمنين ..."

3. "إهداء من ..."

4. "بالدعاء إلى الرب المحسن ..."

ومن الصيغ الأقل استخدامًا في النقوش هي ذكر سبب رغبة المتبرع في تبرعه للصرح المقدس، وفي بعض الأحيان كان فنان الفسيفساء يضع اسمه بعد اسم المتبرع مباشرةً، لأنه نادرًا ما كان يتم وضع اسمائهم في اللوحات التي يصنعونها.[309]

[309] Bagatti, Fr Bellarmino. (1984): The church from the Gentiles in Palestine History and Archaeology. Franciscan Printing Press, Jerusalem. P: 92.

الفصل السادس: الخاتمة

6.1 الخاتمة

6.2 النتائج

6.3 التوصيات

6.1 الخاتمة

احتفظت بيت لحم بخاصية فريدة ميزتها عن مدن العالم قاطبة، رغم بقائها النسبي على حالها فوق قمة الهضبة التاريخية منذ ما يزيد على ألفي عام، فهي لم تتطور صناعيًا أو عمرانيًا أو سكانيًا أسوة بمدن العالم، ولم تصبح مدينة مليونية أو تجارية، إلا أنها لم تتراجع عن مكانتها التي وسمها بها ميلاد المسيح، وظلت تحتفظ بهالة القداسة والهدوء رغم التطورات الهائلة التي حدثت منذ تلك الفترة.

وقد ظلت كنيسة المهد شاهدًا خالدًا على هذه السمة، بالإضافة إلى كنائس أخرى فيها وفي محيطها رغم تبدل الأحوال، حيث سكنت وعي العالم بأنها مدينة الميلاد ومنطلق رسالة سماوية هامة.

ورغم عدم الاهتمام العالمي الفعلي بالمدينة وصروحها الدينية نتيجة الظروف الموضوعية وعوامل الطرد السياسي والاقتصادي وحالة الحصار التي رافقتها، إلا أنها ظلت رمزًا حيًا ومحطًا لأنظار ملايين المؤمنين مسيحيين ومسلمين في شتى بقاع الأرض. وعلى صغر حجمها، وقلة مواردها وإمكانياتها إلا أن تاريخها يضعها في مصاف المدن العالمية من حيث الشهرة والخلود.

وقد تناولت الدراسة الكنائس الموجودة في الجزء الجنوبي الشرقي من بيت لحم، سواء كانت منفصلة أو داخل الأديرة، حيث تم تصنيفها إلى قسمين، القسم الأول الكنائس المستخدمة، وهي: كنيسة المهد، وكنيسة حقل الرعاة، وكنيسة دير ابن عبيد، وكنائس دير مار سابا، وكنيسة مغارة الحليب، أما القسم الثاني

فهي الكنائس المهدمة، وهي: كنيسة سير الغنم، وكنيسة دير الراهب، وكنائس هيروديوم، وكنيسة خربة أم العمد، وكنيسة خربة الدير. كما تناولت الدراسة الفنون والزخارف الموجودة في الكنائس، كالفسيفساء والنقوش والرسوم والصور التي زينتها وكان لها مدلولات رمزية ودينية، والتي شكّلت أنماط فنون الكنائس الشرقية، وإسقاطها على مجموعة البحث عبر المقارنة والاستخدام للأنماط المذكورة لتثبيت المفاهيم في الكنائس الشرقية المحلية.

6.2 النتائج

ظهرت نتائج الدراسة كما يلي:

1. بدأت عبادات المسيحية سرًا في البيوت، وعلى هذا نشأت الكنائس الأولى (الكنيسة البيت) التي اختفت منذ زمن بعيد، ولم يعرف أيا منها في المدينة.
2. توطد الدين الجديد بعد صراع طويل مع الوثنية، دين الدولة الرومانية الرسمي بعد تبني قسطنطين للمسيحية، وظهوره للعلن.
3. تحولت (الكنيسة البيت) إلى بناء ظاهر أو اختفت بعد تمكن الدين وظهوره.
4. نشأت الكنيسة البازليكا مواكبة لمؤسسات الدولة الأخرى وأبنيتها كحالة من الأهمية والمشاركة في الحياة العامة والحكم (كنيسة المهد).
5. ظهر ما يعرف بكنيسة الكهف (مغارة) وكانت نفسها الكنيسة، أو أقيم فوقها كنيسة مركزية أو بناء كنسي عادي فوق كهف للاعتقاد بحالة قديس دفن فيها (كنيسة الكهف) أو شخصية دينية مرت أو عاشت فيها ككنيسة المهد أو مغارة الحليب (مريم العذراء).

6. بنيت الكنائس على أنقاض كنائس أقدم هدمت أو دمرت مرة أو أكثر (كنيسة المهد الحالية)، أو هجرت (كنائس هيروديوم).
7. ظهر نوع من صوامع العبادة شرقي بيت لحم وتحول إلى كنائس أو بقي بالقرب منها وهي عبارة عن كهوف تنسك لراهب أو اثنين في الجبال وجروف الصخر (مارسابا) إلا أنها هجرت، وبقي المجمع المركزي مأهولًا، وتجري محاولات لترميم بعضها.
8. هناك حالتان لكنائس بيت لحم، المأهولة منها كدير ابن عبيد وكنيسة الرعاة، والمهجورة المهدمة ككنيسة خربة أم العمد وكنائس هيروديوم، وسير الغنم، نتيجة الحراك السكاني الذي نتج عن عوامل طبيعية وبشرية.
9. في فترات زمنية متلاحقة في بيت لحم استخدمت حجارة المعابد والقصور القديمة في بناء كنائسها (قصر هيرودس وكنائسه) واستخدمت حجارة الكنائس الأقدم في بناء الأحدث (حقل الرعاة) كما استخدم السكان المحليون القدماء أبنية ومرافق الكنائس المهدمة في احتياجاتهم (كنيسة سير الغنم).
10. ما زال بالإمكان رؤية بقايا الكنائس من حجارة الفسيفساء والفخار والأعمدة وتيجانها مبعثرة في الأرض المكشوفة الظاهرة للعيان (خربة أم العمد) وهذا ما يدعو المؤسسات المسؤولة للقيام بجمعها وحفظها.
11. تعرضت الكنائس المتروكة المهملة في محيط المدينة الشرقي للتنقيب والحفر الجائر، وكذلك للنهب والعبث بحجارتها.
12. بنيت حول الكنائس أديرة لسكن الرهبان وخدمة الكنيسة مع تطور الحراك الإنساني في بيت لحم ومحيطها، وأصبحت مجمعات كبيرة، وألحقت بها الآبار وخزانات المياه والأراضي.

13. زينت الكنائس بالصور ورصفت جدرانها وأرضياتها بالفسيفساء الملون كحالة جمالية أو تعبيرًا عن رموز قداسة أو قصة المسيح والقديسين، أو انعكاسًا للطبيعة المحلية، وحملت رموزًا ودلالات (حقل الرعاة).

14. تنوعت رسوم الزخارف وألوانها وصورها، كالصور والأشكال الهندسية والزهور والحيوانات والطيور.

15. عزل بعض من مخلفات الكنائس القديمة وتم ترميمها وعرضها للزوار (مخلفات حقل الرعاة) كأرضيات الفسيفساء والحنايا والأعمدة وتيجانها وجرون المعمودية.

16. خضعت الكنائس الشرقية في بيت لحم للدراسات والأبحاث إلا أنها غير كافية نظرًا لعدم الاهتمام والإهمال وخاصة تلك الموجودة في الصحراء في المحيط الشرقي لمحافظة بيت لحم.

17. من الصعوبة الوصول إلى بعض الكنائس نتيجة عزلها وتسييجها بالأسلاك الشائكة ومنع الدخول إليها، أو وجودها في منطقة محظورة على الناس، مثل كنائس هروديوم وكنيسة أم العمد.

18. سابقة التحول من الشكل المثمن لبناء الهيكل إلى شكل الحنية الثلاثية كسابقة عمرانية (كنيسة قسطنطين – جستنيان) وجدت في كل كنائس بيت لحم الشرقية، والتي تم الاستدلال بها على شكل وهيئة واتجاه الكنائس المهدمة (أم العمد).

6.3 التوصيات

توصي الباحثة بما يلي:

1. عرض المعلومات النظرية للجمهور والتي تتعلق بكنائس بيت لحم ومحيطها الشرقي في الكتب، والمجلات، وعبر وسائل الاتصال والتواصل المختلفة، من خلال وزارة السياحة والآثار.
2. إشراف جهة فلسطينية على بقايا الكنائس المهدمة المذكورة في الدراسة في محيط بيت لحم الشرقي.
3. جمع بقايا الكنائس المهدمة المذكورة في الدراسة ودراستها وعرضها في متاحف خاصة بها.
4. صيانة وترميم (ما تبقى من الكنائس في بيئتها المحلية) وبناء مبانٍ وحراسات تشرف عليها.
5. فتح طرق توصل إلى هذه الكنائس أمام الزوار والطلبة وذلك لإظهار الإرث المحلي الوطني.
6. التواصل مع مؤسسات محلية ودولية للمساعدة في الإشراف على ترميم كنائس الدراسة وتأهيلها.
7. إدخال هذه الآثار في المناهج التعليمية وتدريسها للطلاب.
8. عمل برامج تعليمية هادفة لنشر الوعي المجتمعي المتعلق بهذه الآثار.
9. رصد ميزانيات للتنقيب الأثري على مستوى الدولة، وذلك لإكمال أعمال صيانة وتأهيل كنائس الدراسة.
10. العمل على فتح الأماكن المحظورة عسكريًا التي تحتوي على كنائس وذلك بالتنسيق مع المؤسسات الدولية مثل اليونسكو وغيرها.

ملحق الأشكال

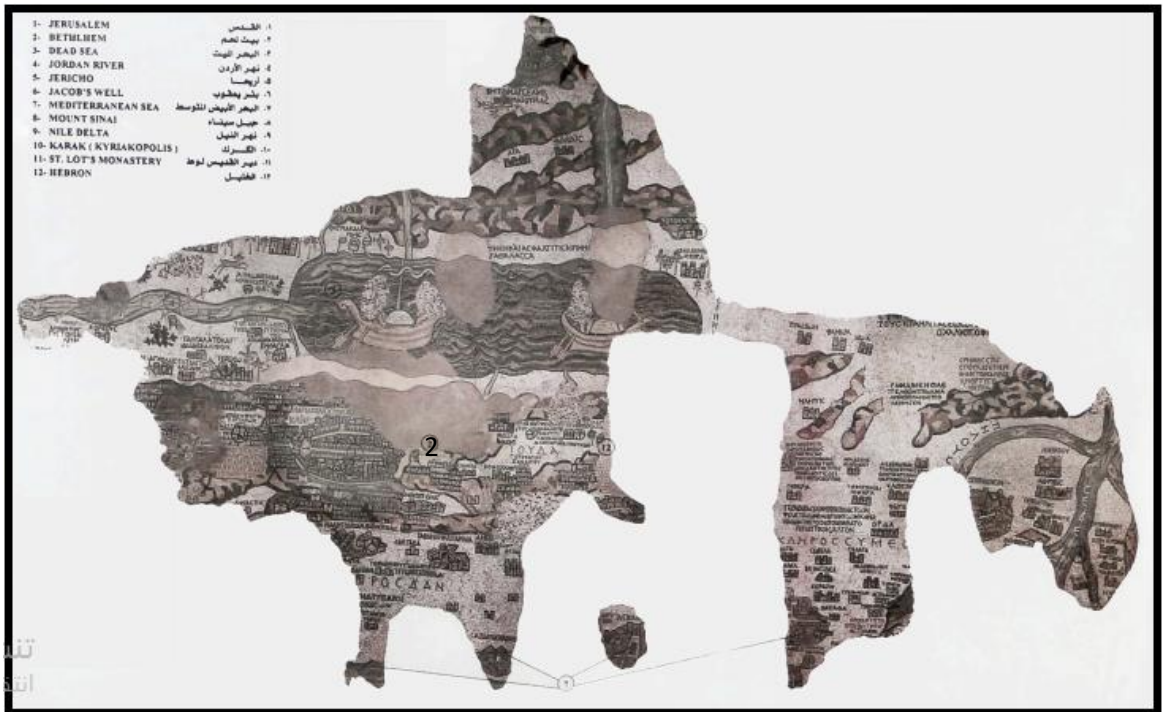

شكل 1: خارطة مادبا حيث يظهر رقم 2 موقع بيت لحم حسب مفتاح الخارطة[310]

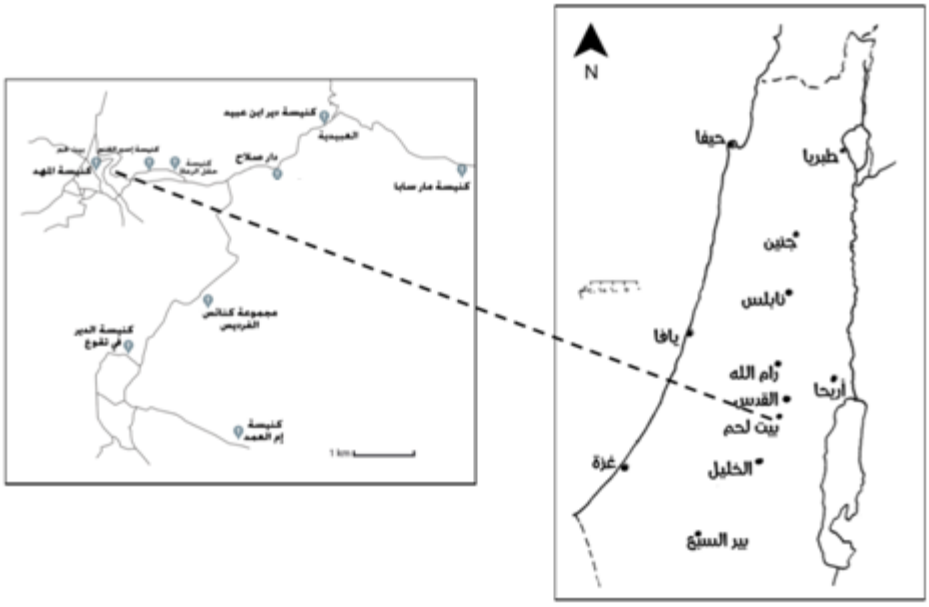

شكل 2: مواقع الكنائس في الجزء الجنوبي الشرقي من مدينة بيت لحم

[310] Nebenzahl, K. P. R. P: 24 – 25.

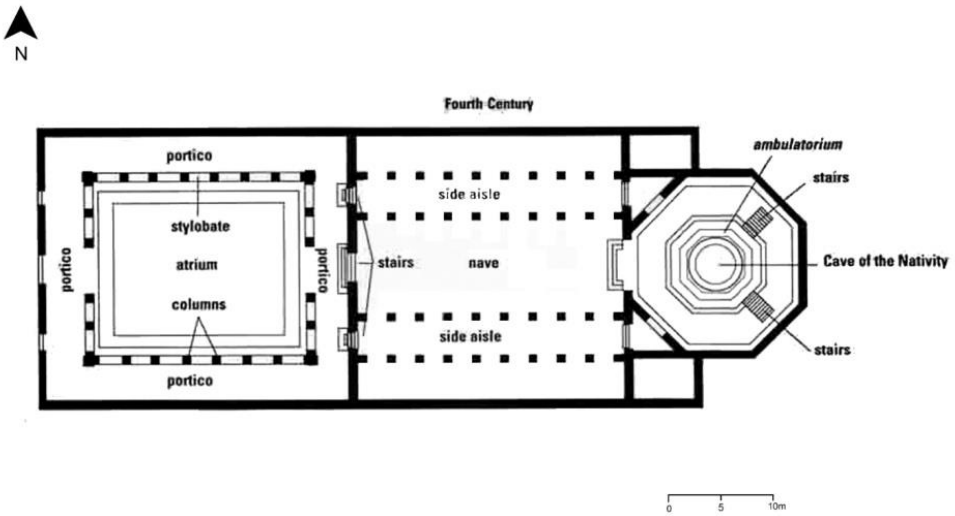

شكل 3: المرحلة الأولى من بناء كنيسة المهد في عهد قسطنطين، وتتكون من الردهة والبازليكا والهيكل المثمن[311]

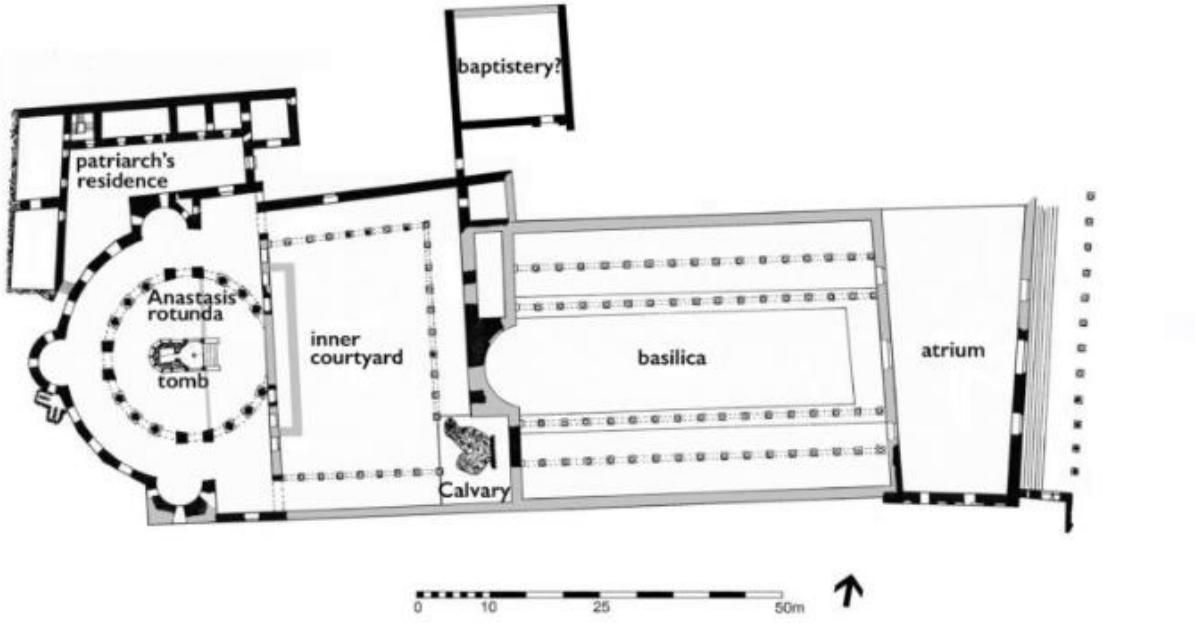

شكل 4: كنيسة القيامة في القدس يظهر فيها التشابه بينها وبين كنيسة المهد في عهد قسطنطين[312]

[311] Tsafrir, Y. (1993): The Development of Ecclesiastical Architecture in Palestine. In: Ancient Churches Revealed. Old City Press, Jerusalem. P: 7.

[312] Patrich, J. (1993): The Early Church of the Holy Sepulchre in the Light of Excavations and Restoration. In: Ancient Churches Revealed. Old City Press, Jerusalem. P: 102.

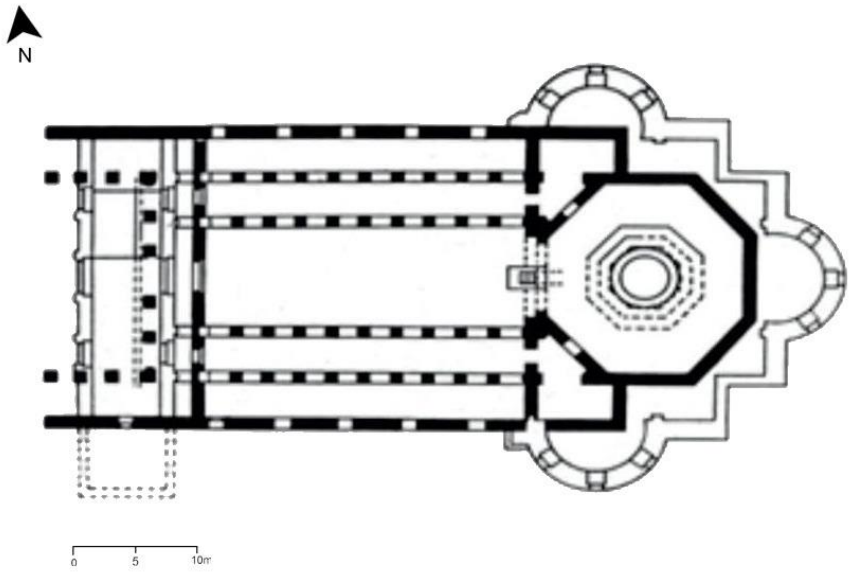

شكل 5: المرحلة الثانية من بناء كنيسة المهد في عهد جستنيان، حيث تم إضافة الحنيات الثلاث[313]

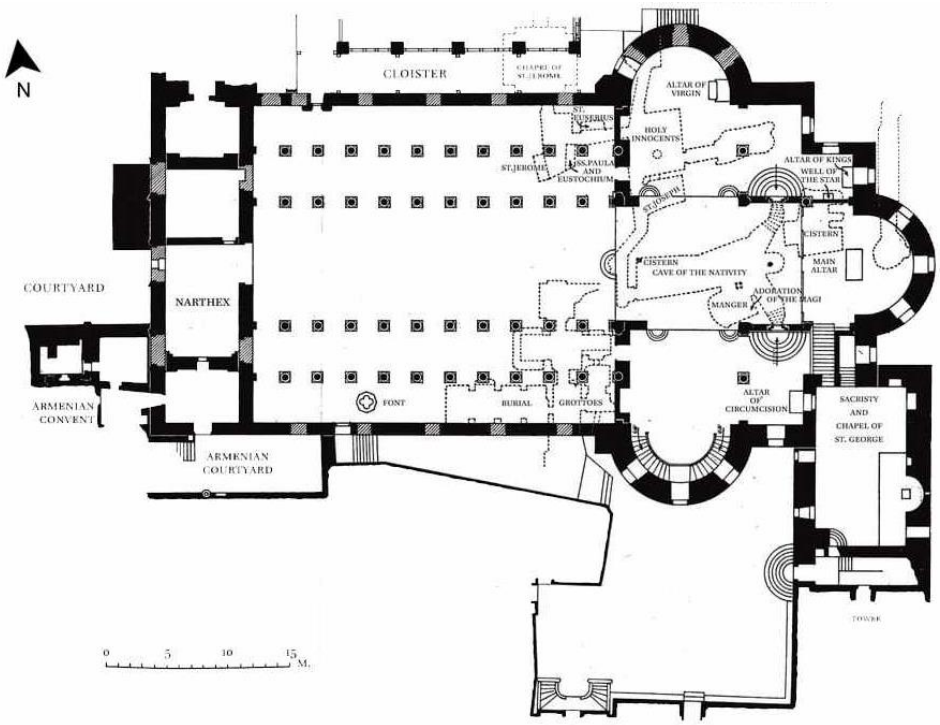

شكل 6: المرحلة الثانية من بناء كنيسة المهد في عهد جستنيان، حيث تم هدم الهيكل المثمن، وإضافة المجاز [314]

[313] الجعبة، ن، كنيسة المهد في بيت لحم، مرجع سابق. ص: 53.

[314] Nalbandian, G , Strickert, F,The Church of the Nativity, p: 14.

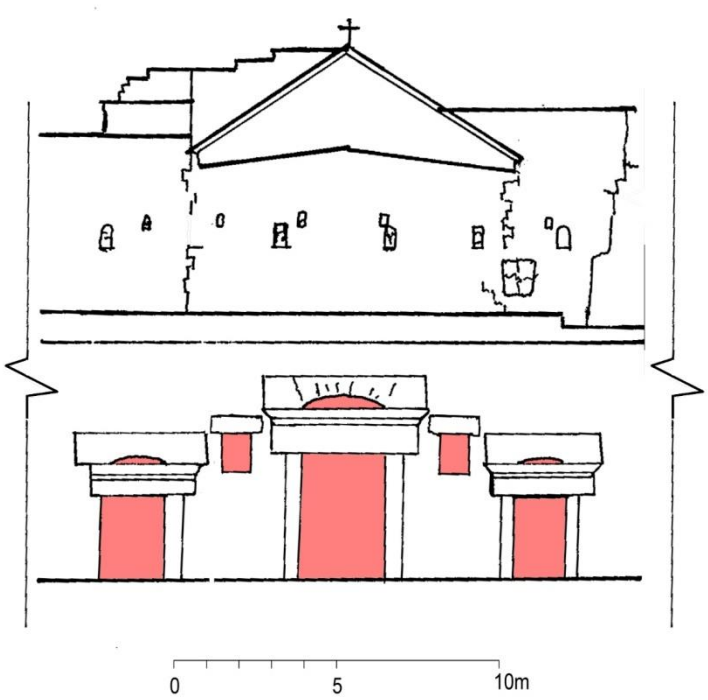

شكل 7: المرحلة الأولى من بناء الواجهة الأمامية لكنيسة المهد في عهد جستنيان، حيث يظهر ثلاثة أبواب كبيرة للكنيسة، وتظهر باللون الأحمر[315]

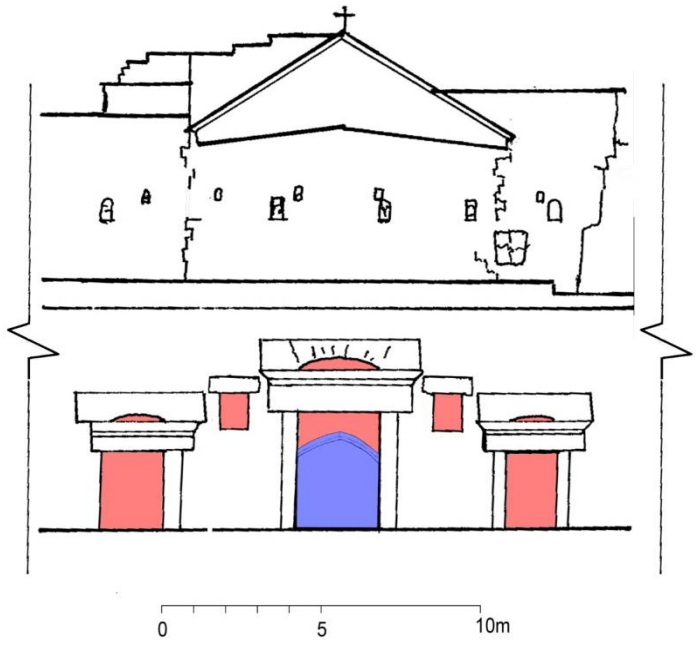

شكل 8: المرحلة الثانية من بناء الواجهة الأمامية لكنيسة المهد، حيث تم تصغير حجم الباب الرئيسي في العصر الصليبي، ويظهر باللون الأزرق[316]

[315] عمل الباحثة، الرسام إبراهيم قطيط، بتاريخ: 26- 5 - 2023م.
[316] عمل الباحثة، الرسام إبراهيم قطيط، بتاريخ: 26- 5 - 2023م.

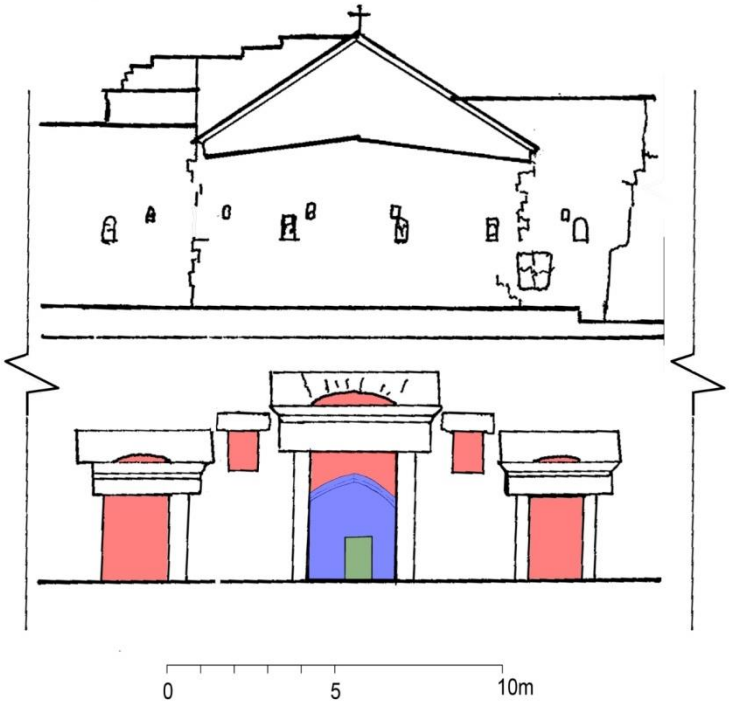

شكل 9: المرحلة الثالثة لبناء الواجهة الأمامية لكنيسة المهد، حيث تم تصغير حجم الباب الرئيسي على شكله الحالي، ويظهر باللون الأخضر[317]

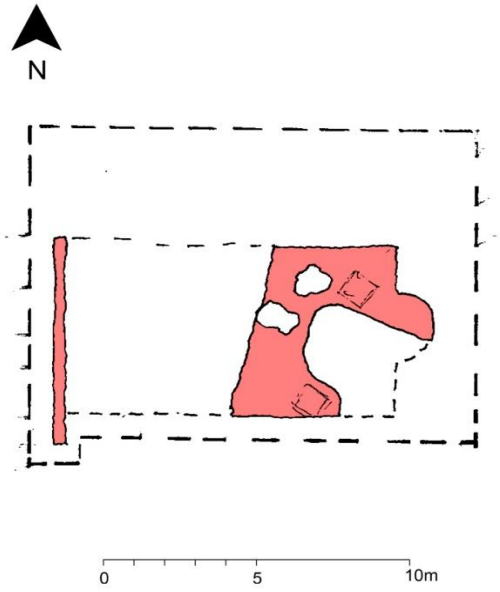

شكل 10: الكنيسة الأولى من حقل الرعاة تعود للقرن الرابع[318]

[317] عمل الباحثة، الرسام إبراهيم قطيط، بتاريخ: 26- 5 - 2023م.
[318] عمل الباحثة، الرسام إبراهيم قطيط، بتاريخ: 26- 5 - 2023م.

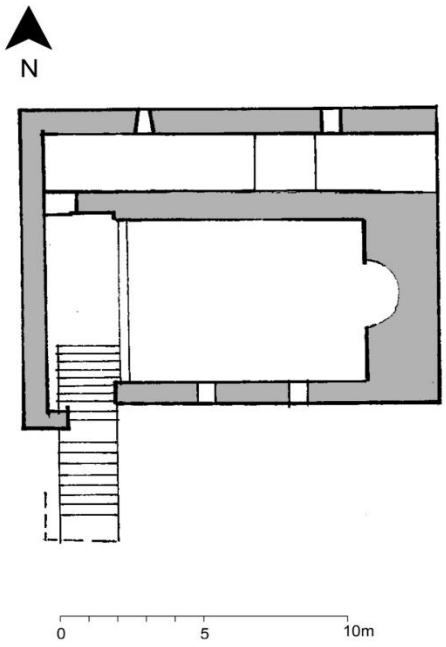

شكل 11: الكنيسة الثانية من حقل الرعاة تعود للقرن الخامس[319]

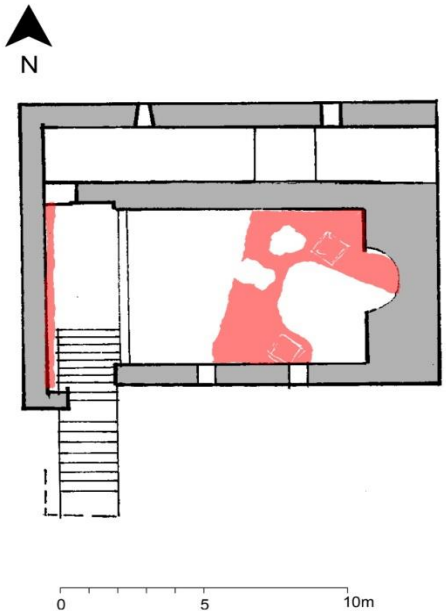

شكل 12: كنيسة حقل الرعاة في القرنين الرابع والخامس الميلادي[320]

[319] عمل الباحثة، الرسام إبراهيم قطيط، بتاريخ: 26- 5 - 2023م.
[320] عمل الباحثة، الرسام إبراهيم قطيط، بتاريخ: 26- 5 - 2023م.

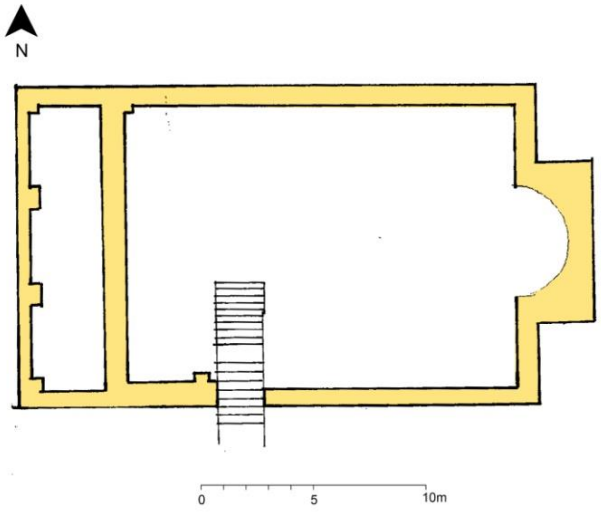

شكل 13: الكنيسة الثالثة من حقل الرعاة في القرن السادس الميلادي[321]

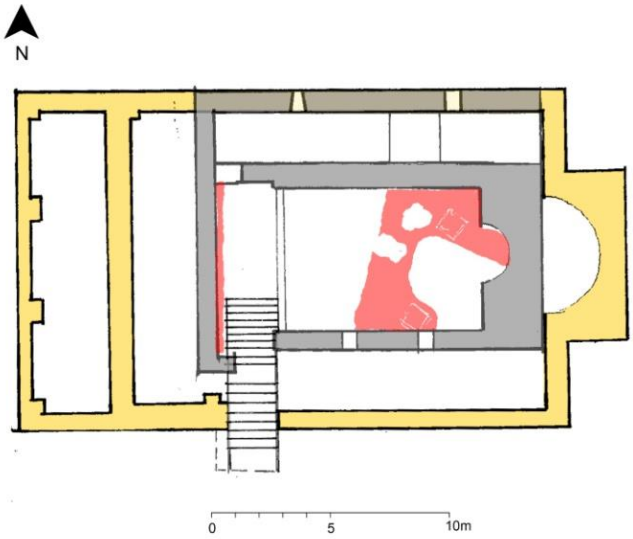

شكل 14: مراحل بناء كنيسة حقل الرعاة من القرن الرابع حتى السادس الميلادي[322]

[321] عمل الباحثة، الرسام إبراهيم قطيط، بتاريخ: 26- 5 - 2023م.
[322] عمل الباحثة، الرسام إبراهيم قطيط، بتاريخ: 26- 5 - 2023م.

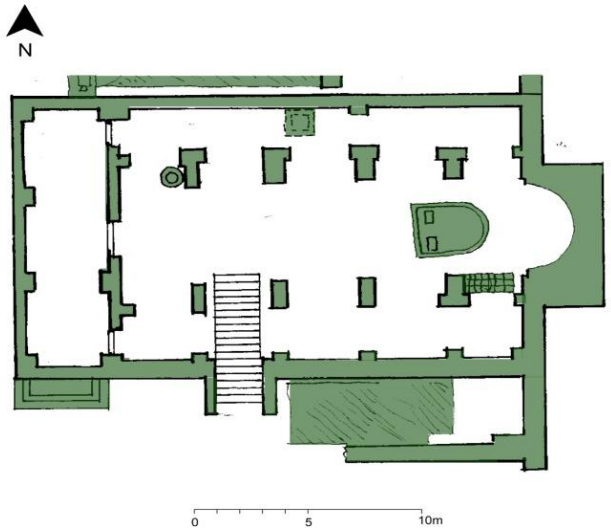

شكل 15: كنيسة الدير من حقل الرعاة في القرن السابع الميلادي[323]

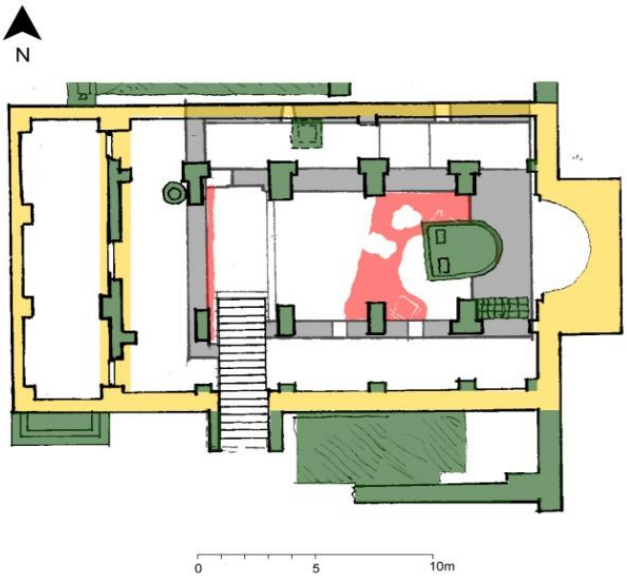

شكل 16: مراحل بناء كنائس حقل الرعاة من القرن الرابع حتى السابع الميلادي[324]

[323] عمل الباحثة، الرسام إبراهيم قطيط، بتاريخ: 26- 5 - 2023م.
[324] عمل الباحثة، الرسام إبراهيم قطيط، بتاريخ: 26- 5 - 2023م.

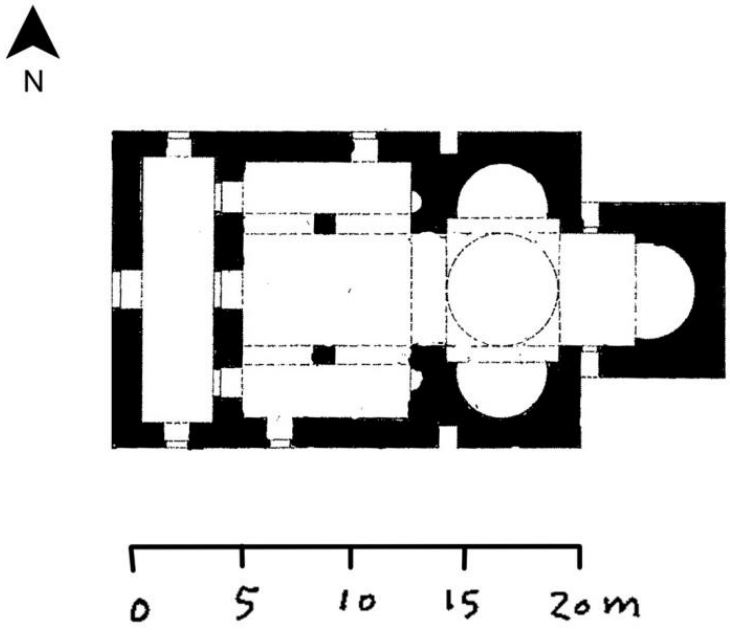

شكل 17: كنيسة ابن عبيد[325]

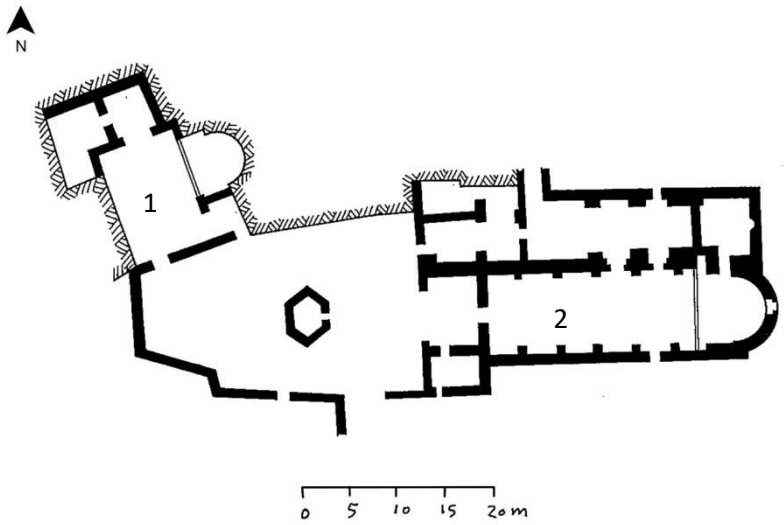

شكل 18: كنائس دير مار سابا، حيث يوضح رقم 1 كنيسة ثيوتوكس (الكهف الطبيعي)، أما رقم 2 فيوضح كنيسة ثيوكستوكس (البازليكا أو الكنيسة الرئيسية)[326]

[325] Pringles, D. (1998): Churches of the Crusader Kingdom of Jerusalem. Cambridge University Press. Vol: II. P: 256 – 268.

[326] Patrich, J. P. R. P: 235.

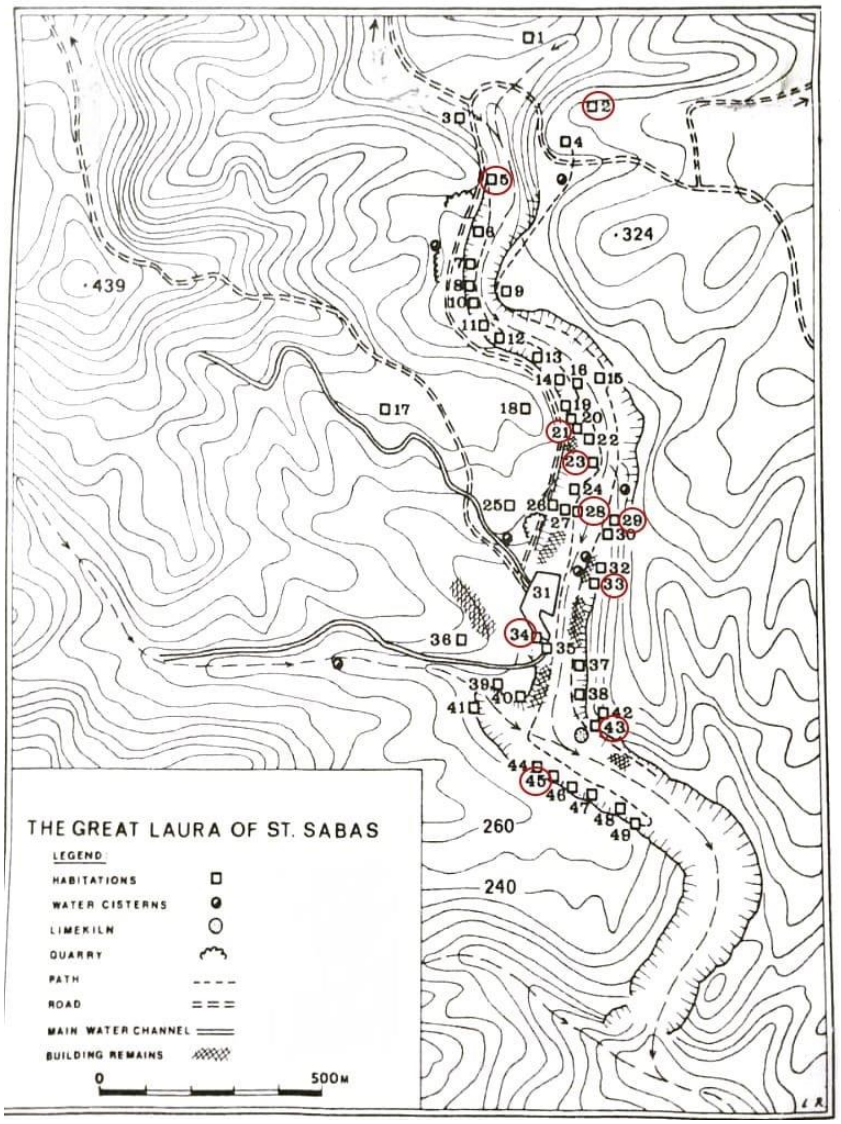

شكل 19: الصوامع التي تناولتها الدراسة في دير مار سابا، تم وضع دائرة حولها وهي تمتد من الشمال إلى الجنوب[327]

[327] Patrich, J. P. R. P: 235.

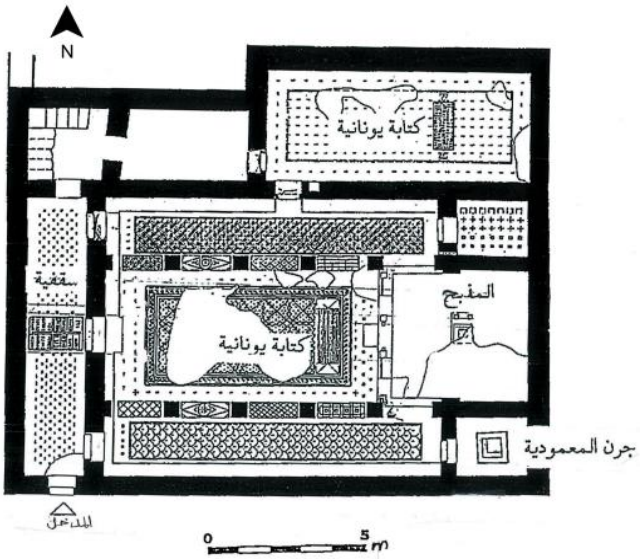

شكل 20: الكنيسة الشمالية من كنائس هيروديون[328]

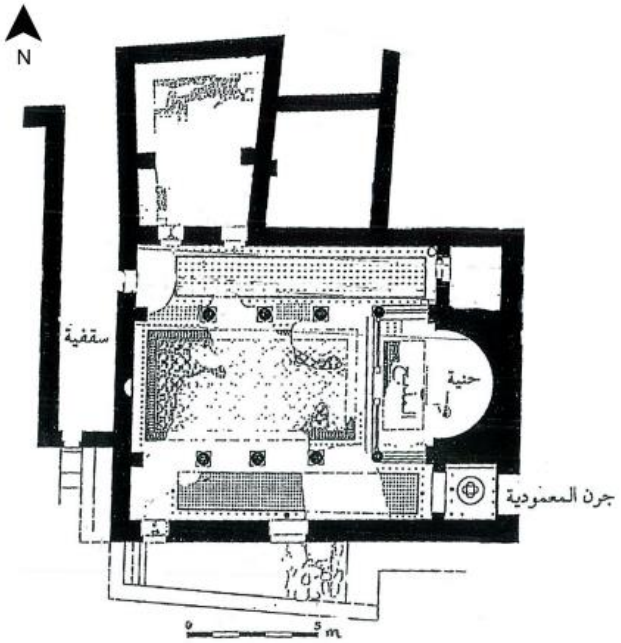

شكل 21: الكنيسة الوسطى من كنائس هيروديون[329]

328

329 Netzer, Ehud . (1981): Greater Herodium. Institute of Archaeology, Hebrew University of Jerusalem. P: 50 – 52.

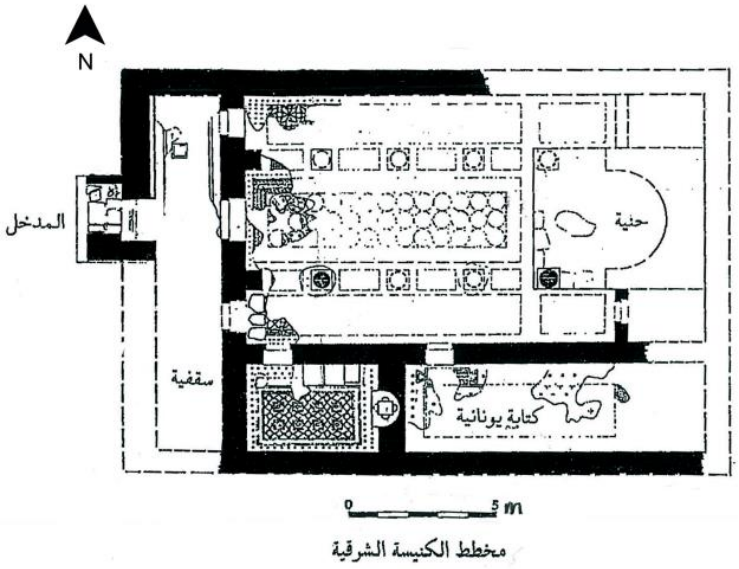

شكل 22: الكنيسة الشرقية من كنائس هيروديون[330]

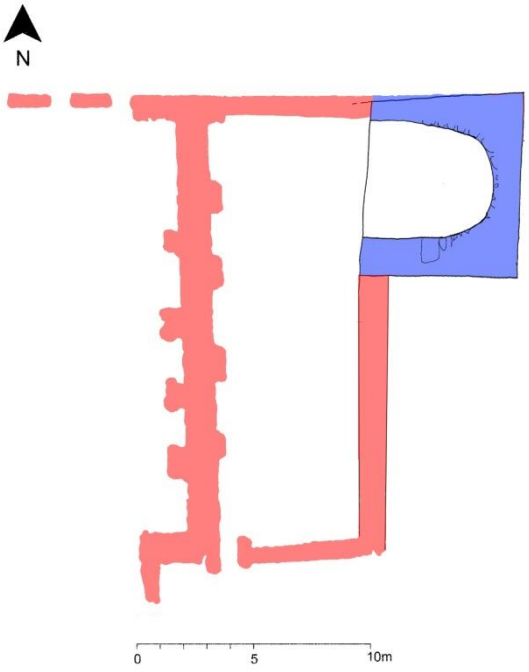

شكل 23: كنيسة سير الغنم في الفترة الأولى[331]

[330] Netzer, Ehud P.R. P: 50 – 52.

[331] عمل الباحثة، الرسام إبراهيم قطيط، بتاريخ: 26- 5 - 2023م.

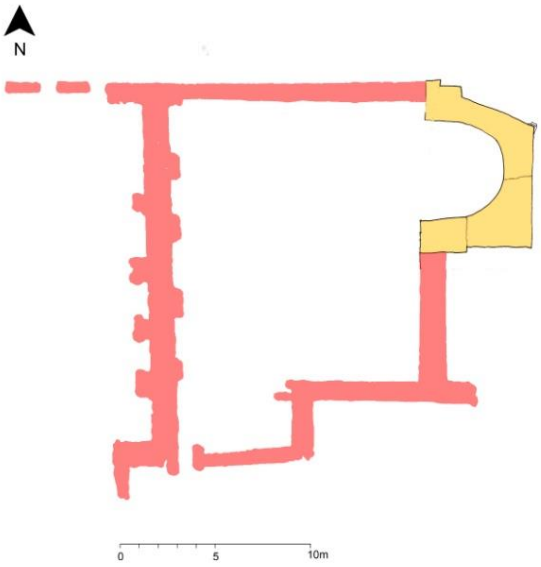

شكل 24: كنيسة سير الغنم في الفترة الثانية[332]

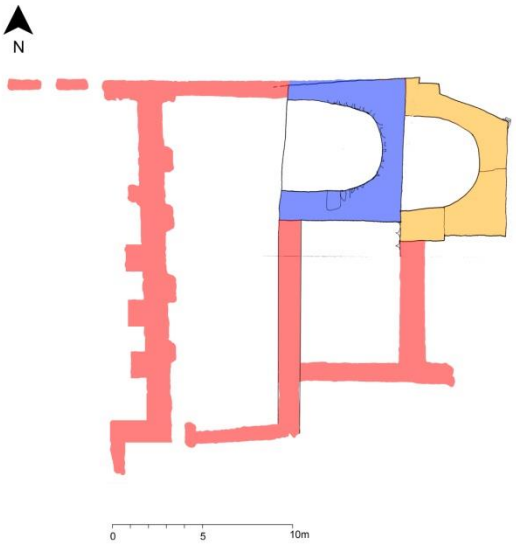

شكل 25: كنيسة سير الغنم في المرحلتين الأولى والثانية[333]

[332] عمل الباحثة، الرسام إبراهيم قطيط، بتاريخ: 26- 5 - 2023م.
[333] عمل الباحثة، الرسام إبراهيم قطيط، بتاريخ: 26- 5 - 2023م.

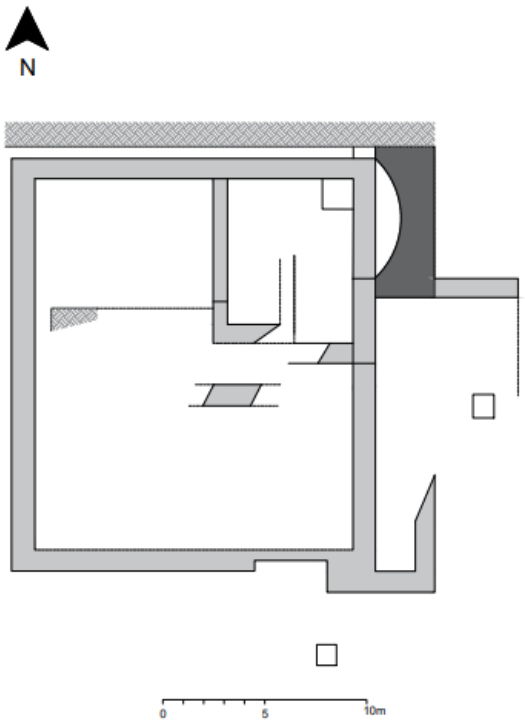

شكل 26: كنيسة خربة دير الراهب[334]

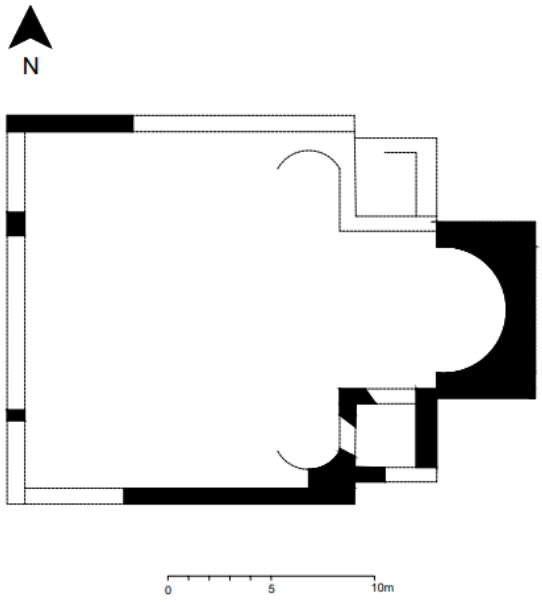

شكل 27: كنيسة خربة أم العمد[335]

[334] عمل الباحثة، الرسام إبراهيم قطيط، بتاريخ: 26- 5 - 2023م.
[335] عمل الباحثة، الرسام إبراهيم قطيط، بتاريخ: 26- 5 - 2023م.

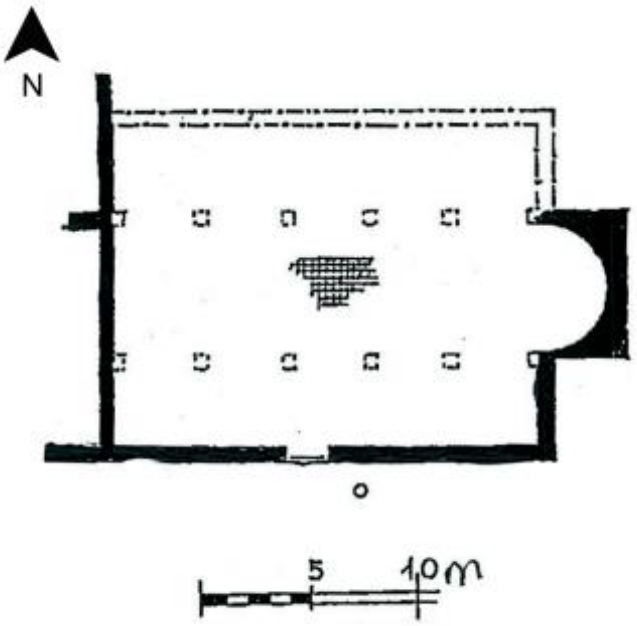

شكل 28: كنيسة القديس نيقولا (خربة الدير)[336]

[336] عمل الباحثة، الرسام إبراهيم قطيط، بتاريخ: 15- 9 – 2023م.

ملحق الصور

صورة 1: الهيكل في كنيسة المهد[337]

صورة 2: حاجز الهيكل في كنيسة المهد[338]

[337] تصوير الباحثة، بتاريخ: 26- 5 - 2023م.

[338] تصوير الباحثة، بتاريخ: 26- 5 - 2023م.

صورة 3: الحنية الموجودة في كنيسة أم العمد[339]

صورة 4: المذبح الموجود في كنيسة المهد[340]

[339] تصوير الباحثة، بتاريخ: 26- 5 - 2023م.

[340] تصوير الباحثة، بتاريخ: 26- 5 - 2023م.

صورة 5: المظلة فوق المذبح في كنيسة المهد[341]

صورة 6: مقعد رجال الدين في كنيسة المهد[342]

[341] تصوير الباحثة، بتاريخ: 26- 5 - 2023م.

[342] تصوير الباحثة، بتاريخ: 26- 5 - 2023م.

صورة 7: المقاعد الجانبية في كنيسة المهد[343]

صورة 8: المنبر في كنيسة المهد[344]

[343] تصوير الباحثة، بتاريخ: 26- 5 - 2023م.

[344] تصوير الباحثة، بتاريخ: 26- 5 - 2023م.

صورة 9: جرن المعمودية في كنيسة المهد[345]

صورة 10: الساحة المكشوفة لكنيسة المهد[346]

[345] تصوير الباحثة، بتاريخ: 26- 5 - 2023م.

[346] تصوير الباحثة، بتاريخ: 26- 5 - 2023م.

صورة 11: أعمدة كنيسة المهد تحمل تيجانًا كرونثية[347]

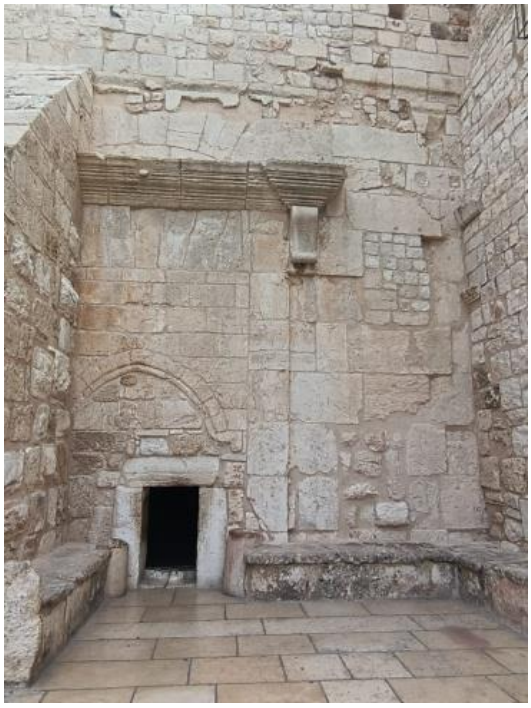

صورة 12: الواجهة الأمامية لكنيسة المهد على هيئتها الحالية[348]

[347] تصوير الباحثة، بتاريخ: 26- 5 - 2023م.
[348] تصوير الباحثة، بتاريخ: 26- 5 - 2023م.

صورة 13: الباب الخشبي لمدخل البازليكا في كنيسة المهد[349]

صورة 14: جزء من أرضية فسيفسائية كبيرة في كنيسة المهد يظهر عليها زخارف، وتنخفض 75 سم عن أرضية الكنيسة الحالية، ومغطاة بألواح خشبية[350]

[349] تصوير الباحثة، بتاريخ: 26- 5 - 2023م.
[350] تصوير الباحثة، بتاريخ: 26- 5 - 2023م.

صورة 15: السقف الخشبي لكنيسة المهد الذي تحمله الأعمدة[351]

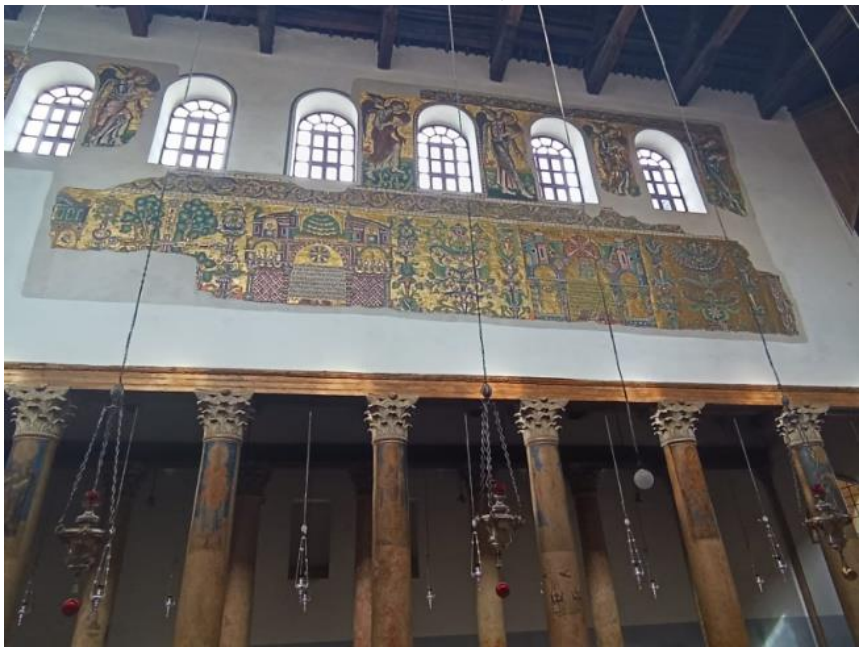

صورة 16: الجدار الشمالي لكنيسة المهد حيث يحتوي على رسومات بألوان زيتية، ويظهر أيضًا في الصورة الرسومات الموجودة على الأعمدة[352]

[351] تصوير الباحثة، بتاريخ: 26- 5 - 2023م.
[352] تصوير الباحثة، بتاريخ: 26- 5 - 2023م.

صورة 17: النجمة الفضية في مكان ميلاد السيد المسيح في كنيسة المهد[353]

صورة 18: جرن المعمودية في كنيسة المهد حيث يظهر الجرن الصغير بداخله[354]

[353] تصوير الباحثة، بتاريخ: 26- 5 - 2023م.
[354] تصوير الباحثة، بتاريخ: 26- 5 - 2023م.

صورة 19: فسيفساء ملونة تحتوي على صليب باللون الأسود موجودة في كنيسة حقل الرعاة (الكنيسة الأولى)[355]

صورة 20: فسيفساء مرصوفة فوق الصخر الطبيعي موجودة في كنيسة حقل الرعاة (الكنيسة الأولى)[356]

[355] تصوير الباحثة، بتاريخ: 26- 5 - 2023م.
[356] تصوير الباحثة، بتاريخ: 26- 5 - 2023م.

صورة 21: فسيفساء موجودة في كنيسة حقل الرعاة عبارة عن مربع بداخله دائرة مملوءة بنجمة مثمنة الزوايا تكونت من خلال مربعين قطريين، في وسطهما حلقتان متشابكتان، وفي مركزها صليب (الكنيسة الأولى)[357]

صورة 22: جزء من فسيفساء المجاز في كنيسة حقل الرعاة مزخرف بإطار، وملون بثلاثة ألوان أسود وأبيض وأحمر (الكنيسة الأولى)[358]

[357] تصوير الباحثة، بتاريخ: 26- 5 - 2023م.
[358] تصوير الباحثة، بتاريخ: 26- 5 - 2023م.

صورة 23: مدفن الرعاة الذين بشروا بمولد المسيح الموجود في كنيسة حقل الرعاة (الكنيسة الأولى)[359]

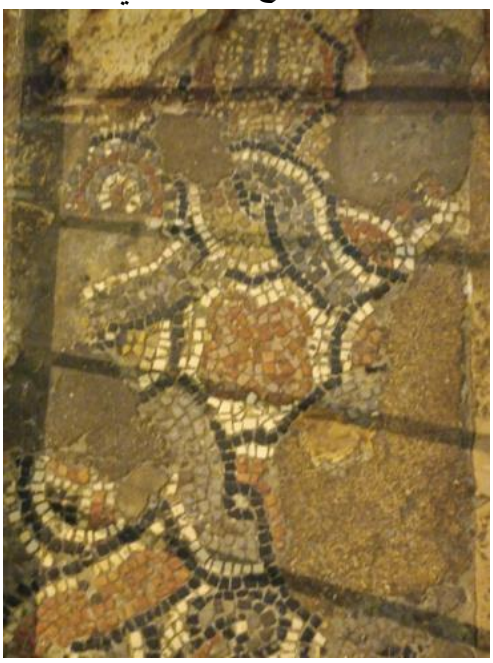

صورة 24: أرضية فسيفسائية موجودة في كنيسة حقل الرعاة، بيضاء اللون مزخرفة بالصلبان باللونين الأحمر والأسود، وإطارها باللون الأحمر والرمادي والأسود (الكنيسة الثانية)[360]

[359] تصوير الباحثة، بتاريخ: 26- 5 - 2023م.
[360] تصوير الباحثة، بتاريخ: 26- 5 - 2023م.

صورة 25: نقش يوناني موجود في كنيسة حقل الرعاة تحت القوارير الفسيفسائية (الكنيسة الثانية)[361]

صورة 26: حنية نصف دائرية من الداخل ومربعة الشكل من الخارج في كنيسة حقل الرعاة (الكنيسة الثالثة)[362]

[361] تصوير الباحثة، بتاريخ: 26- 5 - 2023م.
[362] تصوير الباحثة، بتاريخ: 26- 5 - 2023م.

صورة 27: تاج كرونثي يعود لأعمدة البازليكا في كنيسة حقل الرعاة[363]

صورة 28: أرضية فسيفسائية محيطة بكنيسة حقل الرعاة وبقيت كفناء مفتوح[364]

[363] تصوير الباحثة، بتاريخ: 26- 5 - 2023م.
[364] تصوير الباحثة، بتاريخ: 26- 5 - 2023م.

صورة 29: كنيسة دير ابن عبيد[365]

صورة 30: السور الخارجي لدير ابن عبيد[366]

[365] من الشبكة العنكبوتية العالمية (الانترنت).
[366] من الشبكة العنكبوتية العالمية (الانترنت).

صورة 31: دير مار سابا[367]

صورة 32: كنيسة دير مار سابا[368]

[367] من الشبكة العنكبوتية العالمية (الانترنت).
[368] من الشبكة العنكبوتية العالمية (الانترنت).

صورة 33: الصوامع في دير مار سابا[369]

صورة 34: الكنيسة الوسطى من كنائس هيريديوم[370]

[369] من الشبكة العنكبوتية العالمية (الانترنت).
[370] من الشبكة العنكبوتية العالمية (الانترنت).

صورة 35: الكنيسة المصلى في هيروديوم العلوي[371]

صورة 36: كنيسة هيروديوم الشمالية مغلقة بسياج من جميع الجهات من قبل الاحتلال الاسرائيلي[372]

[371] تصوير الدكتور إبراهيم أبو أعمر.

[372] تصوير الباحثة، بتاريخ: 26- 5 - 2023م.

صورة 37: حنية كنيسة دير الراهب[373]

صورة 38: حنية كنيسة أم العمد[374]

[373] تصوير الباحثة، بتاريخ: 26- 5 - 2023م.

[374] تصوير الباحثة، بتاريخ: 26- 5 - 2023م.

صورة 39: بئر في خربة أم العمد[375]

صورة 40: بئر موجودة في خربة أم العمد على شكل إجاصة[376]

[375] تصوير الباحثة، بتاريخ: 26- 5 - 2023م.

[376] تصوير الباحثة، بتاريخ: 26- 5 - 2023م.

صورة 41: قطع فسيفساء وفخار من كنيسة أم العمد[377]

صورة 42: عمود ضخم من أعمدة أم العمد تم تركه في الموقع[378]

[377] تصوير الباحثة، بتاريخ: 26- 5 - 2023م.
[378] تصوير الباحثة، بتاريخ: 26- 5 - 2023م.

صورة 43: حنية كنيسة القديس نيقولا (خربة الدير)[379]

صورة 44: جرن المعمودية من كنيسة القديس نيقولا يظهر نقش الصليب[380]

[379] تصوير الباحثة، بتاريخ: 26- 5 - 2023م.

[380] تصوير الدكتور إبراهيم أبو أعمر.

صورة 45: جرن المعمودية من كنيسة القديس نيقولا يظهر عليه نقش النجمة الثمانية[381]

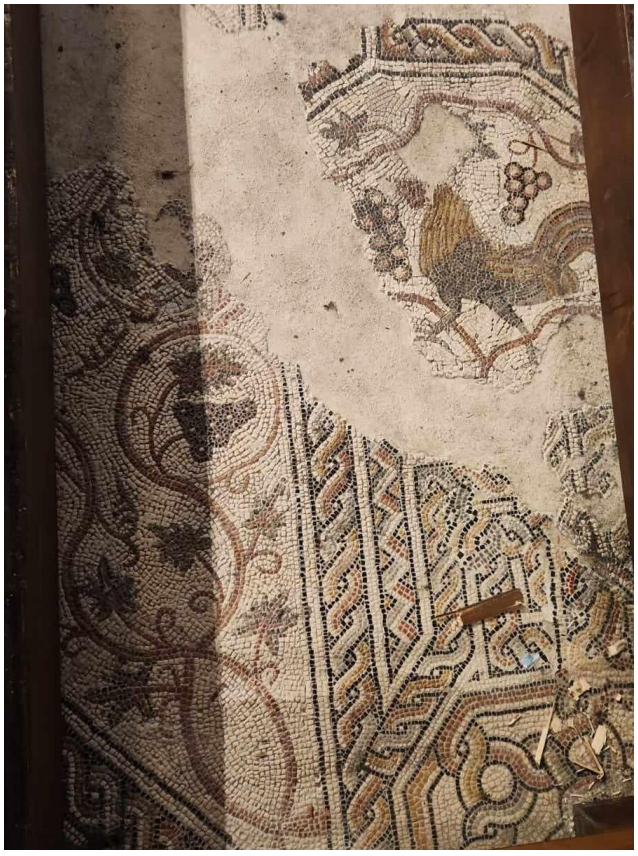

صورة 46: زخارف نباتية وحيوانية على أرضية فسيفسائية موجودة في كنيسة المهد[382]

[381] تصوير الدكتور إبراهيم أبو أعمر.

[382] تصوير الباحثة، بتاريخ: 26- 5 - 2023م.

صورة 47: زخارف حيوانية على أرض فسيفسائية موجودة في كنيسة مار سابا[383]

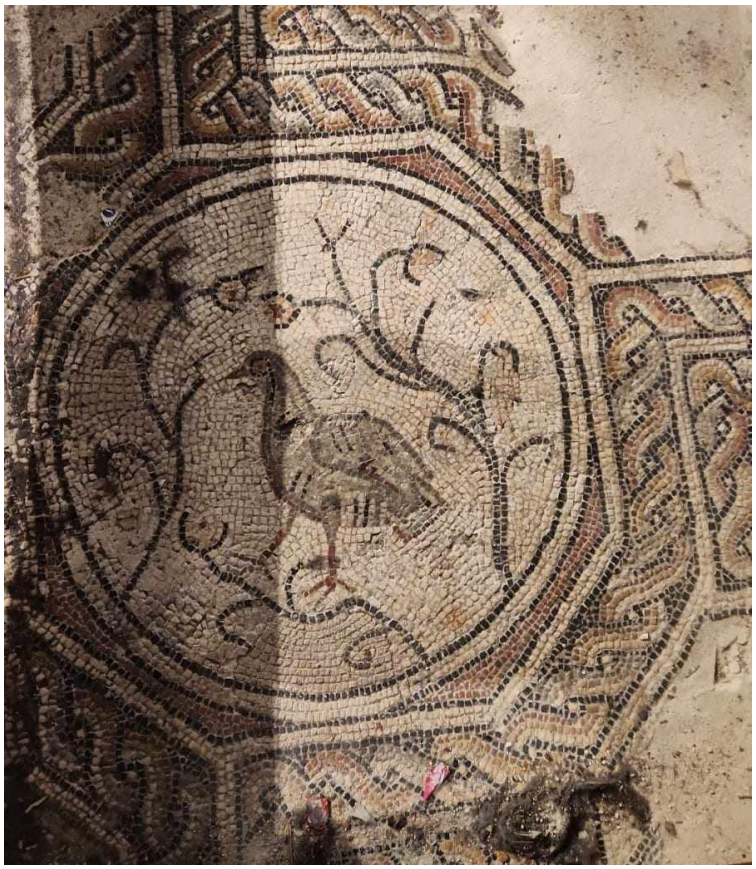

صورة 48: زخارف حيوانية على أرضية فسيفسائية موجودة في كنيسة المهد[384]

[383] من الشبكة العنكبوتية العالمية (الانترنت).
[384] تصوير الباحثة، بتاريخ: 26- 5 - 2023م.

صورة 49: زخرفة مواد وادوات على أرضية فسيفسائية في كنيسة حقل الرعاة[385]

صورة 50: زخرفة رموز دينية على أرضية فسيفسائية في كنيسة حقل الرعاة[386]

[385] تصوير الباحثة، بتاريخ: 26- 5 - 2023م.

[386] تصوير الباحثة، بتاريخ: 26- 5 - 2023م.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم، سورة مريم، آية: 22.

الإنجيل سفر راعوت، الإصحاح الرابع، 11-12.

الإنجيل، سفر التكوين، 19

ابراهيم، ابراهيم خميس وآخرون. (2003): **معالم التاريخ البيزنطي السياسي والحضاري**. دار المعرة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع، الاسكندرية، جمهورية مصر العربية.

ابن بطوطة. (2003): **رحلة ابن بطوطة**، مؤسسة الكتب الثقافية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

الاصطخري، ا. (1961): **المسالك والممالك**. ترجمة وتحقيق محمد الحيني ومحمد غربال. دار الفكر العربي، القاهرة، مصر.

أمين، أ. (2015): **العمارة المسيحية المبكرة**. مكتبة الاسكندرية، الاسكندرية، مصر.

بنورة، ت. (1982): **تاريخ بيت لحم، بيت جالا، بيت ساحور، افراتا**، مطبعة المعارف، القدس، فلسطين.

بورشارد. (2016): **وصف الأرض المقدسة بوساطة الرحالة الألماني بورشارد من دير جبل صهيون**، ترجمة سعيد البيشاوي. دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان الأردن.

الجعبة، ن. (2022): **كنيسة المهد في بيت لحم أقدم كنائس فلسطين دراسة في العمارة والفنون والتاريخ والتراث**، الطبعة الأولى. مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت.

جقمان، حنا. **جولة في جغرافية بيت لحم من أقدم الأزمنة حتى اليوم**، ملفات بلدية بيت لحم.

جقمان، حنا. (2009): **جولة في جغرافية بيت لحم من أقدم الأزمنة حتى اليوم**، ملفات بلدية بيت لحم.

الحويري، م. (1993): **رؤية في سقوط الإمبراطورية الرومانية**، القاهرة، مصر.

خميس، س، ف. (1995): **الكنائس البيزنطية المركزية في الأردن**. أطروحة ماجستير غير منشورة. الجامعة الأردنية.

دانيال. (2003): **وصف الأرض المقدسة في فلسطين للحاج الروسي دانيال الراهب 1106 – 1107م**، ترجمة: سعيد البيشاوي، دار الشروق للنشر، عمان، الأردن.

الدباغ، مصطفى.(2002): **بلادنا فلسطين ج1؛ جغرافية فلسطين وتاريخها – نظرة عامة**، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، لبنان.

رأفت، ع. (2014): **الدولة والكنيسة**. دار القباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر.

سايولف. (1997): **وصف رحلة الحاج سايولف لبيت المقدس والأراضي المقدسة**، ترجمة سعيد البيشاوي، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

شيحة، مصطفى عبد الله. (1988): **دراسات في العمارة والفنون القبطية**. وزارة الثقافة، القاهرة. مصر.

الشوفاني، إلياس. (1996): **الموجز في تاريخ فلسطين السياسي منذ فجر التاريخ حتى سنة 1949م**، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، لبنان.

طبري، م. **تاريخ الأمم والملوك (تاريخ الطبري)**. اعتنى به أبو صهيب الكرمي. بلا طبعة وتاريخ نشر، بيت لأفكار الدولية، الأردن.

عطية، ع، س. (2005): **تاريخ المسيحية الشرقية**، مكتبة المحبة السلسلة، دراسات تاريخية متعمقة، القاهرة، مصر.

عاكشة، ثروت. (1993): **الفن البيزنطي**. موسوعة العين تسمع والأذن ترى، الجزء الحادي عشر. دار سعاد صباح، الكويت، ط1.

كفافي، زيدان. (2005): "**أصل الحضارات الأولى**"، دار القوافل للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية.

محيسن، سلطان. (1994): **بلاد الشام في عصور ما قبل التاريخ: المزارعون الأوائل**، الأبجدية للنشر، دمشق، سوريا.

مصطفى، ص، ل. (1983): **نظرة على الحضارة الأوروبية**. دار النهضة العربية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

مصطفى، وليد. (2016): **الموارد الطبيعية في فلسطين، محددات الاستغلال وآليات تعظيم الاستفادة**، رام الله، فلسطين.

المقدسي، ش. (2002): **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

نسيم، ج. (1984): **تاريخ العصور الوسطى الأوروبية وحضارتها**، دار الحسن للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

ياسين، خ، ن. (1991): **جنوبي بلاد الشام تاريخه وآثاره في العصر البرونزي**، لجنة تاريخ الأردن، عمان، الأردن.

مقالات:

ابو ارميس، إبراهيم. (2012): "هيروديوم دراسة تاريخية أثرية". ***مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات***. 28. ص ص 311 – 352.

الجعبة، نظمي. (2019): "كنيسة المهد في بيت لحم: الترميم والتأهيل: أول موقع فلسطيني يزال عن قائمة التراث المهدد". ***المجلة العربية للثقافة***، 65. ص 45– 96.

الشمري، ن. (2019): الجذور التأريخية وأصولها الحضارية في فلسطين دراسة تطبيقية في النصوص القديمة، عدد خاص بالمؤتمرات للعام الدراسي 2018–2019 الجزء الثاني، مجلة مداد الأدب، كلية الآداب، الجامعة العراقية.

مؤتمر:

أبو أعمر، إبراهيم. (2008): ***معاصر العنب في العصر البيزنطي (منطقة بيت لحم).*** في: المؤتمر الدولي المحكم – التراث المعماري "الواقع وتحديات الحفاظ". ص ص 294 – 309.

Foreign References:

Abu A'mar, Ibrahim, Al-Houdalieh, Salah, Hamdan, Osama & others. (2014): **Archaeological Minor Sites in the Mediterranean Basin, Case Study: Beit Sahur in Palestine, Gadra in Jordan, Vito Soldano and Finziade in Italy.** Al Adab Press, Jerusalem, Palestine.

Al-Houdalieh, Salah & Others. (2016): **Palestinian Mosaic Art International Conference**. 11 – 13 May 2016 Jericho – Sebastia – Bethlehem (Palestine). Studio Alpha, Al Ram, Palestine.

Applied Research Institute- Jerusalem (Arij). (2010): **Al 'Ubeidiya Town Profile,** Palestinian Localities Study, Bethlehem Governorate.

Arterbury, A.E. (2005): Entertaining angels: **Early Christian hospitality in its Mediterranean setting**, Phoenix Press, Sheffeld.

Avi-Yonah, M. (1934): **Mosaic Pavements in Palestine** (A Summary). QDAP III.

Bacci, M and others. (2012): Historical and archaeological analysis of the Church of the Nativity. ***Journal of Cultural Heritage***.

Baker, G. P. (2001): **Constantine the Great: And the Christian Revolution**. Cooper Square Press. New York, United States of America.

Bernabei, M, Bontadi, J. (2012): Dendrochronological analysis of the timber structure of the Church of the Nativity in Bethlehem**.** ***Journal of Cultural Heritage***.

Birnbaum, R., Ovadiah, A. (1990): A Greek Inscription from the Early Byzantine Church at Apollonia. ***Israel Exploration Journal*** 2/3), 182-191. Retrieved August 18, 2021, from http://www.jstor.org/stable/27926182

Bottini, G. C., Di Segni, L. and Alliata, E. (1990): **Christian Archaeology in the Holy Land. New Discoveries. Essays in Honour of Virgilio C. Corbo OFM**. Franciscan Printing Press, Jerusalem.

Chadwick, H. (1967) 1986: **The early church,** Pelican, Harmondsworth.

Corbo, V. C. (1955): **Gli scavi di Kh. Siyar el-Ghanam (Campo dei pastori) e i monasteri dei dintorni**. Tipografia Del PP Francescani, Jerusalem.

Darwish, Mahmoud Ahmed. (2016): The Architectural Octagonal Planning (Dome of the Rock and European Churches). ***The Journal of International Academic Research for Multidiscilinary***. Impact Factor 2.417, ISSN: 2320-5083, Volume 4, Issue 8.

Dreyer, W.A. (2012): **The Amazing growth of the early church,** HTS Teologiese Studies.

Dunbabin K.M. (1999): *Mosaic of the Greek and Roman World*. Cambridge.

Eusebius, E. (2007): **The Church History**. trans. Paul L. Maier. Kregel Publications, Grand Rapids, MI.

Finegan, J. (1969): **Light from the Ancient Past**, **Vol. 1: The Archaeological Background of the Hebrew-Christian Religion**. Princeton: Princeton University Press.

Folda, J. (2015): **Twelfth Century Pilgrimage Art in Bethlehem and Jerusalem: Points of Contact between Europe and the Crusader Kingdom.** British Archeological Association

Hamilton. R. W. (1947): **The Church of the Nativity Bethlehem A Guide**. Government of Palestine Department of Antiquities, Jerusalem.

Heather, P. (2007): **The Fall of the Roman Empire: A New History of Rome and the Barbarians**. Oxford University Press, New York, the United States of America.

Hirschfeld, Y. (1990): **List of the Byzantine monasteries in the Judaean desert**. in G. Bottini, L. DiSegni, and E Alliata, eds., Christian Archaeology in the Holy Land: New Discoveries, Jerusalem: Franciscan Printing Press, (Pp.1-89).

Hirschfeld, Y. (1992): **The Judean Desert Monasteries in the Byzantine Period**. New Haven and London, Yale.

Hirschfeld, Y. (1999): **The Early Byzantine Monastery at Khirbet ed-Deir in the Judean Desert: The Excavations in 1981-1987.** Institute of Archaeology, the Hebrew University of Jerusalem .

Hirschfeld, Yizhar. (1993): ***The Cave- Church at Khirbet ed-Daeir***. Ancient Churches Revealed, Israeli Exploration Society, Old City Press Ltd, Jerusalem. PP 244 – 258.

Krautheimer, R. **Early Christian and Byzantine Architecture**. Penguin Books.

Netzer, E. (1987): **Herodium An Archaeological Guide**. CANA, Jerusalem.

Netzer, Ehud . (1981): **Greater Herodium. Institute of Archaeology**. Hebrew University of Jerusalem, Jerusalem.

Patrich, J. (2006): **Early Christian Churches in The Holy Land. Christians and Christianity in the Holy Land From the Origins to the Latin Kingdoms**. Turnhout : Brepols.

Riback, E. (2005): **Religious Communities in Byzantine Palestina: the Relationship Between Judaism, Christianity and Islam, AD 400-700**. PHD, The University of Reading, England.

Runciman, S. (1965): **Byzantine Civilization**. Meridian Books Ltd, England. 9th Printing edition.

Shomali, Q. (2003): **Church of the Nativity: History and Construction**. in: Proceedings of the International Congress More than Two Thousand Years in the History of Architecture, UNESCO, Paris.

Stark, R., (2007**): Discovering God: The origins of great religions and the evaluation of belief**. Harper Collins, New York.

Treadgold, W. (1997): **A history of the Byzantine State and society**. Stanford University Press, Claifornia, the United States of America.

Tsafrir, Y. (ed). (1993): **Ancient Churches Revealed**. Israel Exploration Society, Jerusalem.

Viola, F. & Barna, G. (2008): **Pagan Christianity ?: Exploring the roots of our church practices**, Tyndale House Publishers Inc., Carol Stream, Il.

Weiss Z. (2004): **Biblical Stories in Early Jewish Art: Jewish-Christian Polemic or International Dialogue in Levine L.I**. (ed.) Continuity and Change: Jews and Judaism in Byzantine- Christian Palestine Jerusalem.

Wenzel, F, Szaktilla, S, Pliett, H. (2003): **The Roof of the Church of Nativity in Bethlehem**. in: Proceedings of the International Congress More than Two Thousand Years in the History of Architecture, UNESCO, Paris